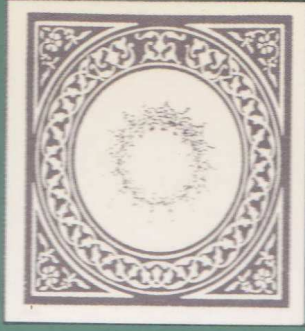


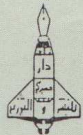
رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مصادر الأخبار في العهد المكي

تأليف
أحمد محمد الزعنين



دار صبر للنشر والتوزيع
بمكة المكرمة - شارع مكة - فرع مكة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

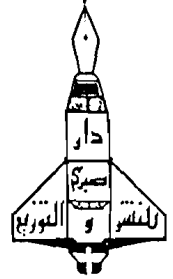
مَصَانِدُ الْأَخْبَلِ
العهد المكي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار صبري للنشر والتوزيع

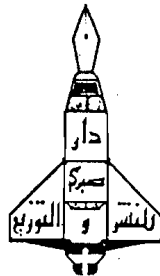
لصاحبها د. زهدي صبري الخواجا

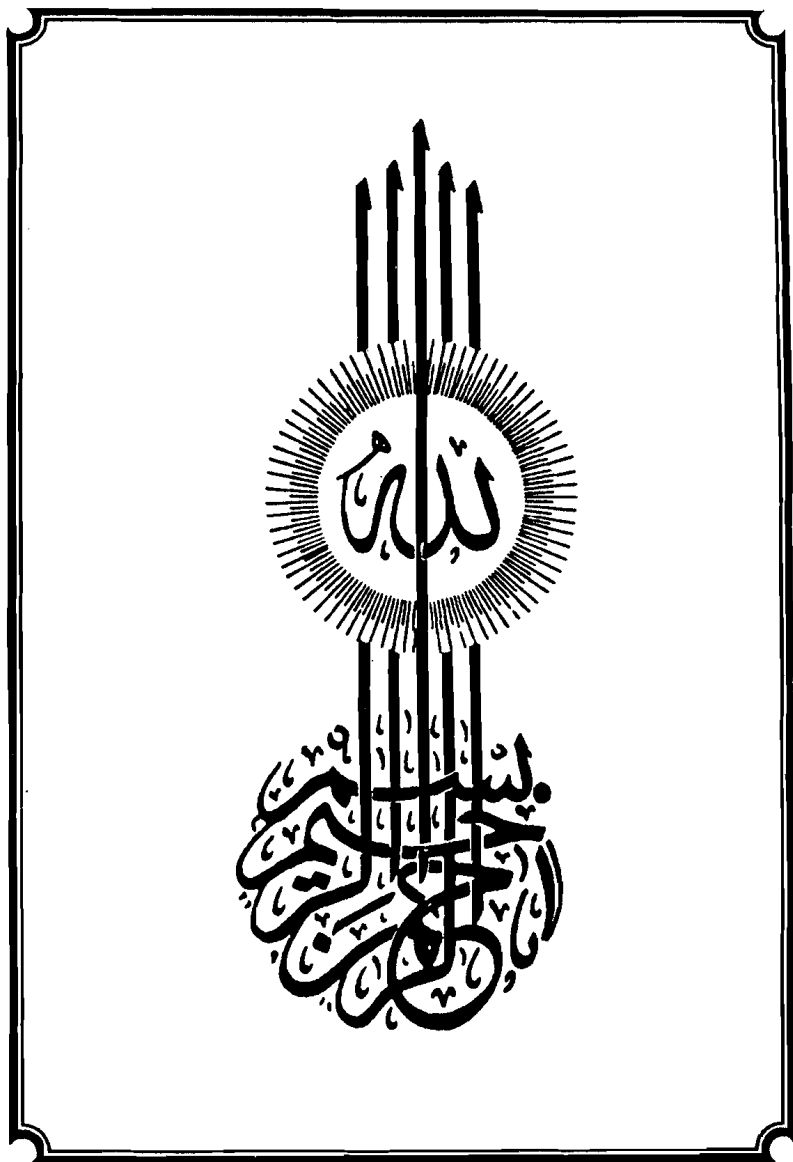


مصادر الأخبار في العهد السعودي

« وبه دراسة تحليلية مقارنة لمصادر الأخبار الحديثة في ضوء منهج
الإسلام في الخبر »

تأليف
أحمد محمد محمد الزعنين





بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

** إلى صاحب السمو الملكي الأمير سطاتم بن عبد العزيز آل سعود، إذ له الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - في جعل هذا البحث يرى النور، ويعم نفعه. أيده الله بالحق وأيد الحق به.

** وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن سطاتم بن عبد العزيز آل سعود، أمير العلم والثقافة، فهو الذي تولى حفظه الله نشره وطباعته أمد الله في عمره، وأجرى الخير على يديه.

نال المؤلف بموجب هذا البحث درجة الماجستير في الإعلام بتقدير امتياز من
جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض وكان المشرف على الرسالة
سعادة الدكتور «مصطفى حسين كمال»

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وبعد:

إِنَّ مِنْ وَاسِعِ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَجْزِيلِ عَطَائِهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، أَنَّ مَنْ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا رَسُولًا هَادِيًّا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مَنْ آمَنَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَتَابِعَهُ وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ هُدًى وَفَازَ، وَمَنْ عَصَاهُ وَكَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ ضَلَّ وَحَبِطَ عَمَلُهُ.

وَمِنْ عَظِيمِ مَا أَمَتَنَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي آدَمَ عَامَةً: أَنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، جَرَتْ سُنَّتُهُ: أَنْ لَا يَعْذِبَهُمْ حَتَّى يَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَيَحْذَرُونَهُمْ سَبِيلَ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْإِسْلَامَ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ وَأَكْمَلَهَا، وَجَعَلَ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ دَسْتُورَ حَيَاةٍ، وَرِسَالَةَ تَوْحِيدِ خَالِدَةٍ، وَكِتَابَ تَشْرِيعٍ، وَكَنْزَ حِكْمٍ وَأَمْثَالٍ وَأَخْبَارٍ، لِإِقَامَةِ صِرْحِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَتَبْذِيرِ الْأَنْدَادِ وَإِبْطَالِ عَقَائِدِ الْكُفَّارِ، وَتَسْفِيهِ مَنَاهِجِ الْجَاهِلِيِّينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَقَدْ جَعَلَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى سُنَّةَ نَبِيِّهِ وَحِيًّا وَاجِبَ الْإِتْبَاعِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ تَعَالَى:

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [سورة الحشر :

٧] .

ونص في كتابه الكريم على أن من عناصر خَيْرِيَّةِ هذه الأمة وأفضليتها على الأمم أنها تأمر بالمعروفِ تنهى عن المنكر:

قال تعالى :

﴿ كُتِمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُوِّعُ مَنْ بِلِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وجعل سبحانه وتعالى من قرائن إيمان العبد: القول السديد، وأمر بالبلاغ المبين، والصدق، وقول الحق، والتزام الخير وإلّا فالصمت أولى . وجعل الجوارح والأعضاء مَسْؤُولَةً عَنْ كُلِّ مَا يُصْدِرُ عَنِ الْعَبْدِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَأَنَّهَا سَتَكُونُ شُهُوداً عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ .

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ يُبَسِّرُ لَهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ مَنْ يَأْخُذُونَ بِبَيْدِهَا فِي طَرِيقِ الْحَقِّ، وَيُعِيدُونَهَا بِالذَّعْوَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحِ إِلَى حَظِيرَةِ الدِّينِ، وَطَرِيقِ النَّجَاةِ، وَيَكُونُونَ لَهَا عَوْنًا عَلَى أَعْدَائِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ وَتَنَوَّعَتْ عُدَّتُهُمْ .

وأمة الإسلام في هذا الزمان خَرَجَتْ مِنْ اسْتِعْمَارِ صُلَيْبِي وَشِيعِي كَافِرٍ حَاقِدٍ، سَامَهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ، وَخَلْفَ وَرَاءَهُ إِلَى جَانِبِ تَبْعَاتِ التَّخْلِفِ الْمَادِيِّ شُبُهَاتٍ تَرَكَّتْ مَعَالِمَهَا عَلَى مَعْتَقَدَاتِ الْبَعْضِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى سُلُوكِ كَثْرَةٍ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، فِي مَجَالَاتِ السِّيَاسَةِ وَالْاِقْتِصَادِ وَالْقَانُونِ وَالْاجْتِمَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْإِعْلَامِ . وَهَذَا أَخْظَرُ مَا تَرَكَهَ الْاسْتِعْمَارُ، فَإِنَّ كَلَّمَ الْجِسْمِ يُدَاوِي بِسَهُولَةٍ، وَمُظَاهِرُ التَّخْلِفِ الْمَادِيِّ تُعَالِجُ بِسُرٍّ، وَلَكِنْ كَلَّمَ الْفِكْرِ وَالْعَقِيدَةِ يَحْتَاجُ إِلَى جُهِودٍ مُضْنِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ مُتَجَرِّدَةٍ لِلَّهِ وَحْدِهِ .

حتى يسر الله للأمة أن تحس بواقعها، وعمق مأساتها في آثار التسلط

الفكري، والغزو المعنوي، فقام الغيورون من أبنائها يحملون مشعل الدعوة، ويعملون على إعادة الأمن إلى النفوس الخائفة، والهدى إلى القلوب الواجفة، وكانت حركة المسلمين في العودة إلى دينهم - سرقوتهم، وعنوان عزتهم - وكانت مناهج الفكر الإسلامي الحديث في الدعوة والعمل في جميع المجالات، ومنها مجالات الإعلام التي سبقنا إليها الكُفَّارُ والفُسَّاقُ وتمكنوا من فنونها وأساليبها ومهاراتها في هذا الزمان، رغم وجود أصولها وقواعدها في أصل العقيدة وفي المنهج النبوي. فكان المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض ثمرة خير من ثمرات العمل الصالح الذي تقوم به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتشجيع ودعم مخلص من حكومة صاحب الجلالة.

وكان لي شرف الدراسة بالمعهد واخترت موضوعاً (للماجستير) بعنوان «مصادر الأخبار في العهد المدني».

ذلك لأن المتأمل في كتب الإعلام، وخاصة فيما يتناول الخبر ومصادره بالدراسة، يجد أن الدراسات غالباً ما تبدأ بالتأريخ لهذا الموضوع باليونان القدماء، ثم يمر الدارسون بالرومان، ثم يُسهبون في عرض ما تم في أوروبا في بداية ما يعرف بالنهضة الأوروبية من مظاهر الاهتمام بالأخبار وابتكار مصادرها، أولاً: بدافع عسكري وسياسي، ثم بدافع تجاري، وما نتج عن ذلك من نشأة المكاتب الإخبارية التي تحولت إلى وكالات الأنباء، ثم تطور الطباعة وما نتج عنه من تقدم في الإعلام المطبوع، حتى وصلنا إلى مظاهر الإعلام (التقني)، الذي يُسخرُ آخر ما توصل إليه العقل البشري من اختراعات وفنون وأساليب اتصال بلغت درجة عالية من التقدم والتطور والتعقيد.

ولا يهتمون من قريب أو من بعيد بمصادر الإسلام في الخبر وإذا أشار إليها البعض فإنما يعرضونها بأسلوب مختصر، وبطريقة عاطفية، وإذا حاول بعضهم أن يتعمق قليلاً لا يتعدى الإتيان ببعض الألفاظ التي وردت عن الخبر

ومصادره في القرآن الكريم، أو السنة العطرة، يتبعها بعض الشروح ثم يعود إلى الخط المنسجم مع منهجه الفكري الذي التزم به، وهو منهج الغرب أو الشرق حسب نوع دراسته أو ثقافته.

ولم يصدر أحد ممن درس مصادر الأخبار عن منهج إسلامي ملتزم يستند إلى علوم القرآن والسنة، ويسترشد بمنهج السلف الصالح في المتابعة والبعد عن الابتداع.

إذ لا يكفي في الدراسات الإعلامية في الإسلام أن يكون المرء مسلماً طيباً فحسب، بل لا بد مع ذلك من الالتزام بالبدايات المنهجية التي تنسحب على طريقة البحث وتؤدي إلى نتائج منسجمة مع المقدمات في منهج يطرده الباحث في مراحل بحثه.

أمّا لماذا «مصادر الأخبار»؟

فلأن مصادر الإسلام في دولته الأولى (القدوة) وكما ينبغي أن تكون في كل عهد كانت مصادر دعوة للخير، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، مصادر متعالية عن مصادر الماديين والملحدين، وهي وإن اختلفت في وسائلها وأدواتها، عن المصادر الحديثة - فإنها مصادر علوية تُشكّل خيرية هذه الأمة، وتقدم ضوابط العمل الإخباري للمجتمع والفرد المسلم في كل زمان ومكان.

وأما لماذا العهد المدني؟

فلأن هذا العهد على عكس ما يحاول أعداء الإسلام تصويره كان عهد بناء، بعد أن رَسَخَت الدعوة، وصَلَبَ عودها، وربّاهَا خَيْرُ الوحي وعناية السماء، وجهُ رسول الله ﷺ، وصحَابته الأوائل دولة تميّزت عقدياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً هذه الدولة (القدوة) الأولى هي التي تُعطى الشرعية لغيرها من الأنظمة أو تحريمها منها، لأن المقاييس التي اعتمدت عليها في بناء دولتها: هي المقاييس المثلى والأقوى والأفضل.

كان العهد المدني من اليوم الأول عهد تأسيس من الناحية العملية لدولة استكملت كل المقومات والعناصر:

- لها قائد مختار من الله تعالى خالق البشر.
- ولها أرض معترف ببدايتها ونهايتها تشمل الكرة الأرضية والكون كله.
- ولها شعب حُدّد في البداية بجماعات الإيمان القاطنين في المدينة المنورة وما حولها، وفتح المجال ليتسع للعالمين، وللثقلين من الإنس والجن.
- ولها دستورُها الذي يتنزّل به الروح الأمين نُجوماً على الحوادث والأيام.
- ولها عهودُها ومواثيقُها التي يُنظّمها ويدعو إلى احترامها القرآن الكريم.
- ولها مقرّ الحكم وهو المسجد الذي بوشّر بينائه منذ اليوم الأول لوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة.

- ولها أجهزة الاتصال والدعوة والإعلام كأنشط وأدق وأخلص ما تكون هذه الأجهزة، وبالقياس إلى كثير من الدول التي تتسمى بهذا الاسم في هذه الأيام فإن دولة الإسلام الأولى تفوقها في استكمال مقومات الدول، فكلمة دولة الآن أصبحت كلمة مهانة عندما تطلق على وحدات سياسية لا يتجاوز تعدادها خمسين أو مائة ألف من البشر معظمهم يعيشون كما تعيش الأنعام. مع أنه كان في دولة الإسلام من الشخصيات الذي كملها الذين، وهذب عاداتها، وبنى شخصياتها بناءً قوياً ما إن يرجع الملايين من البشر في هذه الأيام إن وزنته.

وإذا كان البشر في هذه الأيام قد بلغوا في التقدم الفني في مجال الاتصال وصناعة الأخبار شأواً عظيماً بالقياس إلى ما كانوا عليه، ويزهون بسرعة انتقال الأخبار ونشرها على نطاق جماهيري في وقت قياسي، واستغلوا سرعة الضوء في نقل صفحات كاملة من الصحف من مكان إلى مكان آخر يبعد عنه آلاف الأميال،.. نقول إذا كان هذا حال البشر فإن لأمة الإسلام أن تفخر - ولا وجه للمقارنة هنا - وإنما من باب التذكير - أن أخبارها في العهد

المدني كانت تأتيها في - لا زمن - إذا جاز التعبير. بواسطة ملك الوحي الأمين... فكان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي بين المسلمين يعاينونه دون أن يعرفوه حتى يخبرهم بأمره رسول الله ﷺ بعد مغادرته لهم وبعد أن يفرغ من تبليغ الرسالة.

ويعلمهم أمور دينهم... وكانوا يزرون من آثار الوحي: برحاء تغشى رسول الله ﷺ، فيعلمون أنه عليه الصلاة والسلام قد جاءه الأمر من ربه بتشريع، أو جهاد أو أمر أو نهى أو خبر.

ولم تكن أخبار الوحي أو الأخبار التي تأتي من مصادر الرسول ﷺ من النوع الذي يطلق عليه الإعلاميون في هذه الأيام بقولهم:

إن أقدم الأخبار هي أخبار الأمم، أما في الإعلام الإسلامي فنقول إن أعظم الأخبار وأجلها قيمة هي أخبار وحي الله، أخبار رسول الله، أخبار مصادر الإسلام، لأنها أخبار مطلقة الصدق والخير والغاية. إليها ترد كل أمور المسلمين، وتصحح حياتهم، وتقوم، وفي ضوئها تتناغم حركة الإنسان في الوجود، فينطلق داعياً إلى التوحيد، مؤدياً واجب الاستخلاف في الأرض الذي أنيط بآدم عليه السلام وذريته.

فإذا أردنا أن تصلح حياتنا، وتستقيم أمورنا، ونضمن رضا الله تعالى فيجب أن يعود لخبر الوحي احترامه، وأن يعود لمصادر الإسلام اعتبارها من جميع المسلمين، ولا يقتصر الأمر على مجرد القول، بل يكون ذلك بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله في جميع مستويات الحياة الفردية والاجتماعية، وفي علاقات المسلمين بغيرهم من الأمم، وما أشبه حال كثير من المسلمين في هذه الأيام بالحال التي وصفها عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما سئل عن تأخره في الانقياد لأمر الله، وهو ما عليه من رجاحة العقل كما أورد ابن حجر في (الإصابة) من رواية الزبير بن بكار قال:

«أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ :
مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ .

قال : إِنَّا كُنَّا مَعَ قَوْمٍ لَهُمْ عَلَيْنَا تَقَدُّمٌ ، وَكَانُوا مِمَّنْ يُوَازِي خُلُوبَهُمْ^(١)
الْخَبَالَ^(٢) ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ ، فَلَذُنَّا فَلَمَّا ذَهَبُوا وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا
نَظَرْنَا وَتَدَبَّرْنَا ، فَإِذَا حَقٌّ بَيْنَ فَوْقَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ فَعَرَفْتُ قَرِيشَ ذَلِكَ مِنِّي
مِنْ إِبْطَائِي عَمَّا كُنْتُ أَسْرَعُ فِيهِ ، مِنْ عَوْنِهِمْ عَلَيْهِ فَبَعَثُوا إِلَيَّ فَتَى مِنْهُمْ فَتَنَّاظَرْنِي
فِي ذَلِكَ :

فقلت : أَتَشُدُّكَ اللَّهُ رَبِّكَ وَرَبَّ مَنْ قَبْلَكَ وَمَنْ بَعْدَكَ أَنْحُنْ أَهْدَى أَمْ
فَارِسُ وَالرُّومُ ؟ .

قال : نَحْنُ أَهْدَى .

قلت : فَتَحْنُ أَوْسَعُ عَيْشًا أَمْ هُمْ ؟

قال : هُمْ .

قلت : فَمَا يَنْفَعُنَا فَضْلُنَا عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَضْلٌ إِلَّا فِي الدُّنْيَا وَهُمْ
أَعْظَمُ مِنَّا فِيهَا أَمْرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وقد وقع في نفسي أَنَّ الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ :

«مَنْ أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيُجْزَى الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ

(١) خلوب : جمع خلب وهو : حجاب القلب ، وقيل لحمية رقيقة تصل بين الأضلاع وقيل
ما بين القلب والكبد ، وقيل الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن (ابن منظور :
لسان العرب جزء ١ - صفحة ٣٥٢) .

وفي تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري : جزء ٧ - ص ٤٢٠ - أَنَّ الْخَلْبَ : حجاب
القلب .

(٢) الخبال : الفساد ، أو عساة أهل النار كما في الحديث : (من أكل الربا
أطعمه الله من طينة الخبال يوم القيامة) . (تهذيب اللغة - جزء ٧ ص ٤٢٥) .

الحديث رواه : مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد (المعجم
المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - جزء ٢ - ص ٧) .

حَقٌّ، وَلَا خَيْرَ فِي التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»^(١).

إِنَّ تَفَوُّقَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَلَا حِدَةِ هَذَا الزَّمَانِ وَكُفَارِهِ: هُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ وَمَا يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ التَّوْحِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِ وَالْأَلَا: فَإِنَّ الْكُفَارَ أَسْعَدُ حَالًا بِالدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَأَكْثَرُ تَمَكُّنًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَسْرَارِ الْقُوَّةِ الْمَادِيَةِ بِشَتَّى صُورِهَا وَلَا بُدَّ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى مَنَابِعِ فِكْرِ الْأُمَّةِ الْأَصِيلَةِ.

وَأَوَّلُهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، لَتَبْقَى مِيزَةُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ.

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنْ تَعْرِضْنَا لِمَوْضُوعِ الْأَخْبَارِ وَمَصَادِرِهَا فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِهَا الْمَدْنِيِّ - مِنْذُ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَحَتَّى انْتِقَالَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى - لَمْ يَنْطَلِقْ مِنَ التَّطَابُقِ مَعَ مَنَهِجِ السَّلَفِ فِي عُلُومِ مِصْطَلَحِ الْحَدِيثِ أَوْ عُلُومِ التَّفْسِيرِ، فَهَذَا أَمْرٌ لَا تَرْقَى إِلَيْهِ الدِّرَاسَاتُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْحَالِيَّةُ مَهْمَا أُوتِيَتْ مِنْ دَقَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْإِحْصَائِيَّةِ، أَوْ الْأَلَاتِ وَالْأَجْهَزَةِ، فَأَيْنَ مَصَادِرُ الْأَخْبَارِ وَأَسَالِيبُ دِرَاسَتِهَا مِنْ مَنَهِجِ السَّلَفِ فِي: (عِلْمِ الرِّجَالِ) (وَالجَرَحِ، وَالتَّعْدِيلِ)، وَالْمَقَائِيسِ الَّتِي وَضَعَهَا عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ لِرِجَالِ الْأَخْبَارِ وَأَخْبَارِهِمْ، وَكَذَلِكَ مَنَهِجِ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ.

إِنْ هَذِهِ جَرَاةٌ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْعِيَهَا.

وَلَكِنْ لَا يَوْجَدُ مَا يَمْنَعُ فِي رَأْيِي مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى هَذِهِ الْخَصَائِصِ كَمَثَالِ وَقْدَوَةِ. لَقَدْ دُرِسَتْ الْأَخْبَارُ وَمَصَادِرُهَا فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِهَا الْمَدْنِيِّ مِنْ مَنَاطِقِ الْوَاقِعِ.

أَوَّلًا: عَلَى اعْتِبَارٍ: أَنَّهُ قَامَتْ لِلْإِسْلَامِ فِي بَدَايَةِ الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ الْأَوَّلِ دَوْلَةٌ كَامِلَةٌ الْمُؤَسَّسَاتِ، دَوْلَةٌ شِيدَتْ عَلَى أَعْظَمِ الْأَخْبَارِ، أَخْبَارِ الْوَحْيِ، وَإِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا دَوْلَةٌ شَادَهَا الْخَبَرُ الصَّادِقُ الْأَصِيلُ، فَإِنَّمَا هِيَ: هَذِهِ الدَّوْلَةُ الْقَدَوَةُ.

(١) ابن حجر: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ٧٧٣ - طه - الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢ دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م.

وأنطلقت ثانياً: في دراسة الأخبار ومصادرها من منطلق الاسترشاد بمنهج السلف في التفسير، وعلوم مصطلح الحديث، لتأصيل الإعلام الإسلامي ورده إلى منابعه الأصيلة، والتي يجب أن ترجع إليها كل جوانب الحياة في المجتمعات الإسلامية.

إن طريقة علماء الأمة من السلف الصالح في ضبط الرواية وشروط العدالة والضبط، وتخريج الأحاديث: نموذج يتطلع إليه كل من يدرس موضوع الأخبار ومصادرها وعناصر منهج السلف في التحري والبحث جديرة بأن تظل موحية لأجيال الأمة على مدى الأزمان، وفي مجال الدراسات والعمل الإعلامي على وجه الخصوص.

إن معالجتنا لموضوع مصادر الأخبار تم في ضوء إمكانية الاستفادة من الدراسات والأبحاث وحركة التصنيف في العلوم الشرعية تأصيل الدراسة الإعلامية الإسلامية الحديثة وردها إلى منابعها الأصيلة.

وهذه المعالجة تتطلع إلى مبادئ الإسلام في وضوحها وصفائها، كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية وكما فهمها علماء الأمة من السلف الصالح.

إن الخبر هو جوهر العمل الإعلامي، ومن الأهمية المطلقة للخبر ودوره في بناء فكر الأمة، وتوجيه سلوك الأفراد، وبناء حياة المجتمع، من كل ذلك انطلقت في معالجة موضوع البحث.

صحيح أن الموضوعات المطروقة في الباب الأول، والباب الثاني من الموضوعات التي عادة ما يطالعه الدارسون في كتب التفسير، وعلوم الحديث ومصنفات السيرة، ولكن جوهر الدراسة وأسلوب البحث، ومضمون المادة العلمية إعلامي صرف. . . وسبب ذلك هو أن الدراسة تتم في إطار زمني محدد هو الحقبة الزمنية التي تبدأ بالهجرة النبوية الشريفة وتنتهي بنهاية العهد النبوي، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأحداث التي ارتبطت الأخبار بها في ذلك

العهد هي من نوع الأحداث التي تظهر في المجتمعات البشرية في كل زمان ومكان، هذا إذا استثنينا الظواهر التي صاحبت نزول الوحي وما نشأ عنها أو صاحبها من ظواهر أو أحداث عظمى، وهذا في رأيي خير تفسير للرأي المتداول:

(إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان)، وإن من شواهد صلاحيتها إلى جانب خصائصها المسلم بها: أنها معين لا ينضب للفكر والدراسة والتطبيق، وأن أحداثها وقضاياها التي عاصرت الرسالة الخاتمة زمن البعثة وطوال العهد النبوي - كأنها بنت ساعتها، فمعالجة موضوع (مصادر الأخبار في العهد المدني) إنما هي معالجة لمصادر الأخبار العصرية ومن هذا المنطلق ربطت بين موضوع البحث والمصادر الحديثة للأخبار. وطرق الحصول عليها.

وفي ضوء الأصول الفكرية الإسلامية حاولت تلمس أصول منهج الإعلام الإسلامي في تلقى ونقل الخبر وإذاعته وتحريره ونشره وإننا نتطلع بشوق إلى ذلك اليوم الذي يتولى وظائف التعامل بالأخبار بجميع أشكالها: شباب الأمة السائرون في طريق سلفهم الصالح، ليكونوا بحق أمة البلاغ المبين، أمة الخبر الصادق، الذي صلح به أول هذه الأمة ولن يصلح آخرها إلا به.

هذا والله أسأل أن يسدد خطى العاملين لخير الإسلام والمسلمين، ويرفع شأن أمة الإسلام لتظل طاهرة بظهور دينها وقوته، داعية إلى سبيل الرشd والهدى.

واني أعزو كل تقصير إلى نفسي، وكل فضل إلى الله تعالى إنه نعم المعين والنصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

منهج البحث

١ - **المنهج التاريخي**: يعتمد البحث في تصور أبعاد الموضوع الذي يتناوله بالدراسة على تحديد حقبة تاريخية محددة. تبدأ بالهجرة النبوية الشريفة وتنتهي بانتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولذلك فحينما يكون الالتزام بالتسلسل الزمني للوقائع مجدياً، ولا غنى عنه لتوضيح تطور حقيقة ما، كنت التزم بالمنهج التاريخي، وأقتضى المنهج التاريخي الرجوع إلى مراجع التاريخ الإسلامي الأصلية بدءاً بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكتب السير، ولكن حيثما كان النص وارداً في الحديث الصحيح وفي الدعم المطلوب لفكرة معينة أو فرضية ما: كنت أكتفي به وإلا لجأت إلى كتب السنن والسير وكتب التاريخ العام.

٢ - **المنهج الوصفي**: لما كان الإعلام الإسلامي إعلاماً متبعاً لا مبتدعاً فقد كانت الحاجة تمس أحياناً لوصف ظاهرة ما، أو تقرير حقيقة واقعة، وندعم الوصف بالتحليل المنطقي للظواهر الإعلامية لنستنتج الحقائق الثابتة التي تؤصل لمصادر الأخبار في الإعلام الإسلامي.

٣ - **المنهج الاستقرائي**: وطليقة تطبيقه في بحث كهذا كانت تتمثل في الاستشهاد بالنصوص والأدلة الشرعية التي تدعم حقيقة معينة ونخرج منها بحكم في مجال البحث.

٤ - **المنهج المقارن**: وكان اللجوء إليه عند التعرض للفكر والعمل الإعلامي في العصر الحديث لإظهار ميزات منهج الإسلام في الخبر الإعلامي على غيره من المناهج.

ما يقدمه البحث

١ - تناول البحث بالدراسة الوظيفية الإعلامية لخبر الوحي على اعتبار أن الوحي قاعدة الخبر في الإسلام، وأثبت أن هذا الخبر كان العامل الوحيد في تأسيس دولة وقيام حضارة متميزة، وأن خبر الوحي كان القوة الحامية لحركة الدعوة الإسلامية وبناء الدولة في العهد المدني.

٢ - يؤكد البحث على تميز الخبر في الإسلام بخصائص مغايرة لخصائص الخبر في الفكر اللاديني ويحدد للخبر بعدين: بعداً متأسلاً في عقيدة الأمة وحياة السلف الصالح.

وبعداً ينبع من القاعدة الشرعية: الأخذ بالأسباب بما لا يخالف نصاً شرعياً.

٣ - جاء البحث بدراسة شاملة لجميع مصادر ومسالك الأخبار في دولة الإسلام الأولى تلك المصادر التي تعانق فيها خبر الوحي مع أخبار المصادر التي وجهها الرسول ﷺ ضمن دائرة الأخذ بالأسباب من خلال الأحداث العظمى التي وقعت طوال العهد المدني منذ اليوم الأول للهجرة النبوية.

٤ - استخدم البحث المفاهيم الإعلامية المعاصرة ودرس بها بعض التطبيقات في العهد المدني. مثل ظاهرة رجوع الصدى الإعلامي.

٥ - قدم البحث تصنيفاً حديثاً لأخبار العهد المدني في ضوء مفاهيم الإعلام الإسلامي.

٦ - في البحث دراسة منهجية لمصادر أخبار الكفار في نظر المنهج الإعلامي الإسلامي مستمد من وقائع السيرة المشرفة .

٧ - وقد تضمن البحث كذلك دراسة علمية لمصادر الأخبار العلمانية في ضوء التصور الإسلامي وحاكم مصادر الأنباء وقدم البديل الإسلامي لمصادر الخبر الإعلامي في المجتمعات الإسلامية الحديثة، هذا البديل الذي يغنيها عن مصادر الكفار في الحصول على الأخبار، ويمنع وقوعها تحت تأثير وكالات الأنباء الأجنبية بما تمثلها من مفاسد وشرور وكيد للإسلام والمسلمين .

الباب الأول

الوحي قاعدة الخبر في الإسلام

الفصل الأول

الوحي مصدر العلم في الإسلام

أولاً: الوحي.

ثانياً: علوم الوحي وعلاقتها بمنهج الإسلام في الخبر.

ثالثاً: محاولات التشكيك في الوحي والرد عليها.

أولاً : الوحيّ

أ - أصل الوحي في اللغة كلها : إعلام في خفاء .
وهو مشتق من الفعل وحي .

ومن معاني الوحي : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي
وكل ما ألقيته إلى غيرك .

يقال وحيث إليه الكلام وأوحيت ووحى وحيا وأوحى أيضاً أي : كتب .
والوحي : المكتوب والكتابة .

وأوحى إليه : بعثه . وأوحى إليه : ألهمه . ووحى إليه وأوحى إليه : كله
بكلام يخفيه عن غيره .
ووحى إليه وأوحى : أوماً .

وقال (الفراء في قوله تعالى : ﴿فأوحى إليهم﴾ : أي أشار إليهم .
والوحي : ما يوحيه الله إلى أنبيائه .

(ابن الأنباري) في قولهم : إنا نؤمن بوحي الله قال : سُمي وحيّاً لأن
الملك أسره على المخلوق وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه .

قال الأزهري : وقال الله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ .
قال الوحي ههنا : إلقاء الله في قلبها .

قال وما بعد هذا يدل والله أعلم على أنه وحي الله على جهة الأعلام

للضمان لها: (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين).

وقيل إن معنى الوحي ههنا: الإلهام.. قال: وجائز أن يلقي الله في قلبها: أنه مردود إليها وأنه يكون مرسلًا. - ولكن الإعلام أبين في معنى الوحي ههنا^(١).

وباستقراء آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر الوحي نجد أنه يشمل بدلالة معناه اللغوي الأنواع الآتية:

- ١ - الإلهام الغريزي للإنسان.
- ٢ - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.
- ٣ - وسوسة الشيطان وتزيينه الشرف في نفس الإنسان.
- ٤ - ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه^(٢).

ب - والوحي في الاصطلاح الشرعي هو:

«كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه».

وهو تعريف للوحي بمعنى اسم المفعول أي: الموحى به.

وعرفه الأستاذ محمد عبده بقوله:

إن الوحيَّ: «عرفان يجده النبي من نفسه، مع اليقين بأنه من قبل الله، بواسطة أو بغير واسطة:

والأول: بصوت يتمثل لسمعه، أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين

(١) ابن منظور: الإمام العلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري لسان العرب، المجلد الثامن، الجزء ١٥.

(بيروت: دار صادر للطباعة والنشر/ دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦ هـ -

١٩٥٦ م) ص ٣٧٩ - ٣٨١.

(٢) مناع القطن، مباحث في علوم القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م) ص ٣٣.

الإلهام، بأن الإلهام: وجدان تستيقنه النفس، فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى؟.

وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور^(١).

وهذا التعريف مبني على معنى الآية الكريمة الواردة في سورة الشورى التي وضحت أنواع الوحي الثلاثة في قوله تعالى:

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً. أو من وراء حجاب. أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم﴾ (الشورى: ٥٢).

وهكذا فإن لفظ «الوحي» إذا قيد فإنه يعني: كلام الله تعالى أي القرآن الكريم. أما إذا أطلق فإنه يعني ملك الوحي «جبريل عليه السلام»، أو عملية الوحي بصورها المختلفة: الواردة في آية سورة الشورى السابقة، أو مادة الوحي وهي القرآن الكريم.

والنوع الأول من الوحي: الوارد في الآية الكريمة مثاله إلقاء المعنى في قلب الرسول ﷺ وهو المقصود في قوله ﷺ:

«إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

رواه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح^(٢).

أما النوع الثاني: فقد ثبت لنبي الله لموسى عليه السلام، وثبت لنبينا ﷺ ليلة الإسراء.

وأما النوع الثالث: وهو الوحي بواسطة ملك الوحي فقد ورد في الحديث الذي رواه البخاري من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ط ٤ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩١ هـ -

١٩٧١ م) ص ٤٤، ٤٥.

(٢) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص ٤٠.

رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام، رضي الله عنه، سأل رسول الله ﷺ فقال:

«يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟»

- فقال ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»^(١).

قال ابن حجر: - يحتمل أن يكون المسؤول عنه وصفه الوحي نفسه.

- ويحتمل أن يكون صفة حاملة.

- أو ما هو أعم من ذلك^(٢).

والحكمة من الصلصلة كما بينها العلماء: أن العادة في الإفهام: المناسبة بين القائل والسماع، وهذه المناسبة لها شكلان:
أ - إما باتصاف السامع بوصف القائل، أي غلبة الروحانية على الإنسانية.

ب - وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية.

والأول أشد بلا شك.

وجماع القول في موضوع الوحي أنه كان أمراً محسوس الآثار والنتائج، يتسم بموضوعية تامة في استقلاله عن شخصية النبي ﷺ، وأن الإيمان به أمر تسليمي يعتمد على استعداد الإنسان للإيمان بالأفكار الأولية للدين، ليتمكن من فهم التفاصيل المترتبة على هذا الإيمان، وليس من الضروري في جميع الأحوال أن يدلل عليها تدليلاً يعتمد على البرهان والاستقراء إلا إذا كان ذلك مما يقوي الإيمان، ويعزز المعرفة الحقبة بأمور الدين.

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١ (بيروت: دار الفكر) ص ١٨.

(٢) ابن حجر، المرجع السابق ص ١٩.

فالوحي المحمدي ليس أمراً مستغرباً، فهو حلقة في سلسلة الوحي الإلهي، الذي تتابع على أنبياء الله من لدن آدم عليه السلام، وإلى نبينا الخاتم عليه الصلاة والسلام:

﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ﴾ (الأحقاف: ٩).

- ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك. وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (النساء: ١٦٣، ١٦٤).

- ﴿ كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ (الرعد: ٣٠).

ثانياً: الوحي مصدر العلم في الإسلام علوم الوحي وعلاقتها بمنهج الإسلام في الخبر ودورها في بناء حياة الفرد والجماعة

لا يمكن تصور الخبر الإعلامي منفصلاً عن البناء الفكري والمعرفي الذي ينتمي إليه، أو منعزلاً عن منهج التفكير الذي ينبع منه، ولا يمكن دراسته بعيداً عن الأساس العلمي الذي يؤصله ويقومه ويوجهه، والعلم الصحيح قاعدة الخبر الصحيح، وعلم الوحي علم حق، مصدره الحق، وغايته الحق، وخبر الوحي خبر حق.

والوحي وأخبار الوحي، والعلوم التي جاء بها الوحي: كل ذلك يشكل البداية المنهجية لدراسة الخبر الإعلامي في الإسلام، وهو الأساس العلمي لدراسة مصادر الأخبار.

ويتناول هذا الفصل من البحث الوحي باعتباره مصدراً للعلم الصحيح، وقاعدة للخبر الصحيح.

ولقد توفر للوحي في المنهج العلمي جميع المقومات التي تجعله مصدراً للعلم اليقيني الثابت الكامل، ليس فقط على مستوى التصورات العقلية ولكن على مستوى إمكانية التطبيق العملي للعلم الذي وصلنا عن طريق الوحي، ذلك العلم الذي تواتر منذ بدء الخليقة، واستمر عطاؤه وخيره في الأجيال وتشيد الحضارات، علم ثابت القواعد والأركان، في كتاب ضمن منزله - جل شأنه - حفظه وصيانتته من كل زيغ وتحريف أو ضلال، فقال جل شأنه من قائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

والمقصود بعلوم الوحي: العلوم الشرعية المستمدة من مصدري التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، تلك العلوم التي شكلت حياة الفرد المسلم والأمة المسلمة، وصاغت عبر التاريخ نموذجاً فريداً من الحضارات الأصيلة، ووجهت قوى الإنسان في إطار عقيدة التوحيد الخالص ليؤدي واجبه في الاستخلاف في الأرض، والدعوة إلى الحق والخير.

قال ابن حجر في «الفتح» في شرح مقدمة باب العلم:

«وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾.

قال: بالعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿رب زدني علماً﴾: واضح الدلالة في فضل العلم. لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي، الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته^(١).

ويتسع مفهوم العلم في الإسلام ليشمل جميع أساليب البحث العلمي الصحيح، وجميع أنواع المعارف البشرية النافعة، التي لا تتعارض مع نص شرعي، أو مع أصل فكري في الكتاب أو السنة المشرفة، ذلك أن أنواع المعارف البشرية المتطابقة مع الفطرة الصحيحة، متطابقة أيضاً مع العلم الشرعي المستمد من علوم الوحي، (فما خالف الشرع فالعقل يعلم فساده)، لأن الشرع أتى بكل ما هو صواب وحق ونافع والعقل السليم لا بد أنه مدرك جدوى ما جاء به الشرع على غيره من الأباطيل والضلال البشري، الذي استجد نتيجة للبعد عن علوم الوحي. وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية بوضوح تام أن: «كل ما عارض الشرع من العقلية، فالعقل يعلم فساده وإن لم

(١) ابن حجر العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١ (بيروت: دار الفكر) ص ١٤١.

يعارض العقل ، وما علم فساد به بالعقل لا يجوز أن يعارض به لا عقل ولا شرع^(١).

وتتركز جميع القضايا التي جاء بها الوحي ، وشكلت البناء المعرفي لأمة الإسلام في كل العصور والأوطان - تتركز كلها في فكرة مركزية أساسية واحدة، هي فكرة التوحيد، ومؤداها:

«أن (صانعاً)^(٢) يتصف بالكمال المطلق، والقوة المطلقة، والخير المطلق: خلق كل شيء وأخضعه لإرادته خضوعاً مطلقاً»^(٣) وأن هذا الخالق الصانع المبدع هو الله سبحانه وتعالى ، وأنه إليه وحده يجب أن نتوجه بأنواع العبادة والتقديس والإجلال.

ويستتبع هذه المقولة المبدئية المنهجية أصول فكرية للعلم في الإسلام ومن هذه الأصول^(٤)

١ - الإيمان بالغيب بعد الإيمان بالله : والإيمان بالغيب أصل من أصول الفكر العلمي «فالعلم ليس به أمر قطعي اللهم إلا القطع بوجود حقائق، أما وصف هذه الحقائق وتقنينها فهو أمر بعيد كل البعد عما يصفه رجال العلم . يعترف بذلك أهل العلم فهم على بينة من أن وصفهم قاصر لقصور وسائل الحس، ولنقص في طاقة أدوات القياس . فالحقيقة قائمة . ولكن رؤيتنا لها ناقصة . وصورتها الذهنية لدينا أقل وضوحاً . وتجريدنا للصورة الذهنية يزيد من

(١) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم درء تعارض العقل والنقل، ج ١ قسم ١ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية) تحقيق د. محمد رشاد سالم ص ١٩٤ .

(٢) التزمنا في نقل هذا اللفظ بالأمانة العلمية، وهو لفظ لا يليق بجلال الله وتنزيهه وتعظيمه . (الباحث).

(٣) د. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ط ٢ (الكويت: دار القلم، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م) ص ٧٤ .

(٤) د. محمود إسماعيل راشد، من الأصول الإسلامية للعلم والتعلم (من أبحاث الندوة العالمية للشباب الإسلامي . اللقاء الرابع ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) . ص ٧ .

نشوبها. وبذلك تأتي النظرية بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وكل ما يمكننا أن نصف به النظريات العلمية أنها الوصف المشوه للتجريد في الصور التي تشوه الحقائق. قد تقترب النظرية ونتائجها من إحساسنا بالحقائق ولكنها لا يمكن أن تصف الحقائق وصفاً كاملاً دقيقاً». ويبقى للعلم اليقيني مصدر وحيد هو الله خالق الظواهر، والحقائق والسنن الكونية، وطريق نقل هذا العلم لبني البشر هو الرسل المبلغون لوحي الله سبحانه وتعالى.

٢ - الإيمان بإرادة الله في الخلق وأن ما خلقه جلّ شأنه خلقه لمستقر، وأن ما نراه من الظواهر هو التشبيه العقلي للصورة الذهنية لما انطبع عن إحساساتنا من آثار الحقائق.

٣ - إن كل شيء خلقه الله تعالى: خلقه بقدر معلوم، وبنسب دقيقة، وميزان دقيق، ولغايات محددة.

٤ - أن الوسيلة للعلم هي من آيات الله وهدايته، وأن ما نعرف من القواعد إنما هي نتيجة للمشاهدة وتكرار المشاهدة واستخدام الحواس وأساليب البحث والقياس.

٥ - أن الله سبحانه سخر لنا من خلقه ما ييسر لنا ما خلقنا له، وبين سبحانه الأساليب الشرعية للانتفاع بما قدر لنا في هذا الكون، وحدد الحدود وبين الأحكام للاستغلال الأمثل لهذه المقدرات، في إطار العبودية لله سبحانه، بما يضمن سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

والحقيقة أن العلم قرآني بطبيعته، ويوجد تطابق تام بين المنهج العلمي القرآني وبين المنهج العلمي الصحيح الذي يبحث في أسرار الفطرة، ويدرس ظواهر الحياة، والطبيعة، في الميادين المختلفة، ويظهر هذا التطابق في الأمور الآتية^(١):

(١) محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم: الدين والرسول والكتاب (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٨ م) ص ٥٨ - ٦٦.

أ - إن العلم لا يقول عن شيء أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع، والقرآن الكريم يأمر كذلك بألا يقبل الإنسان شيئاً على أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان، يتمثل ذلك في قوله تعالى :

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (البقرة: ١١١).

ب - إن العلم يحاذر كل المحاذرة أن يجعل يقيناً ما ليس بيقيني، وأن ينزل الظن منزلة اليقين، أو أن ينزل الفرض والتخمين من منزلة الظن والترجيح.

وهذه هي طريقة القرآن الكريم في التفريق بين ما هو حق وما هو دون الراجح :

«وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم ألا يظنون ﴾ (الجاثية: ٢٤).

ج - إن العلم يمنع التقليد في النظر من غير وقوف على الدليل والافتناع به. وهذا هو منهج القرآن الكريم فهو ينعي دائماً على الذين يعبدون آلهة أو يقومون بأعمال وحجتهم في ذلك أنهم وجدوا آباءهم يفعلون ذلك :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ (البقرة: ١٧٠).

د - إن العلم في تطبيقه قوانين التفكير المجموعة في علم المنطق القياسي يتخذ أصليين اثنين يبني عليهما :

١ - مبدأ عدم التناقض بين الحقائق.

٢ - مبدأ إطراد الفطرة واستقلالها.

وهذان الأصلان : أصلان قرآنيان فأصل إطراد الفطرة يظهر في مثل قوله

تعالى :

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الأحزاب: ٦٢).

وأصل توافق الحقائق واستحالة تناقضها ثابت في مثل قوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ (الملك: ٣).

هـ إن العلم يستخدم في الوصول إلى أهدافه في البحث والكشف عن سنن الله في الأرض، وعن الفطرة سبيلين:

الأول: هو سبيل العقل. والمراد بالعقل هنا ليس العقل الخاص: عقل الفرد، ولكن العقل العام أو العقل المطلق الذي ضببطت قوانين تفكيره عن طريق الاستقراء وأودعت ما يسمى بعلم المنطق، هذا العقل هو الحكم في العلم وهو الحكم في الدين، فالقرآن دائماً يحاكم إلى العقل، وينعي على من لا يستعمله، وقد أكبر الإسلام العقل إكباراً دونه أي إكبار.

أما السبيل الثاني في الكشف عن السنن والفطرة فهو المشاهدة الصحيحة المنظمة، وهذه المشاهدة هي وسيلة العلوم التجريبية الطبيعية للتوسع والكشف الدائم، والمشاهدة أصل علمي من أصول المعرفة في القرآن الكريم وآيات استعمال السمع والبصر والعقل والقوى المدركة كثيرة في القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهذه الآيات والأحاديث لا تكتفي بمجرد حض المسلم على ضرورة استخدام الحواس والعقل، ولكن توضح له أسلم الطرق وأصحها في استخدامها، وتؤدبه وتوجهه وتربيته التربية الربانية الحقة.

إن علوم الوحي لا تحجر على العقل، وإنما تمنع جموحه للخوض فيما لم يخلق له، وتوجهه وتشحذ قواه، وتسخرها في النظر فيما يعود على الإنسان في دنياه وآخره بالخير والصلاح، فهي علوم «اقتصادية» توفر الجهد، وتركز الطاقة، وتمنع تسربها خارج حدود الغاية الأساسية التي خلق الإنسان وطاقاته من أجلها وهي توحيد الله، وطاعته، وحسن عبادته.

ويثبت القرآن الكريم للإنسان قدراً من القدرة الذاتية المستقلة «ويحث على ضرورة الاعتقاد بنظام ثابت للحياة والطبيعة، ولكن هذا الثبات يجب أن

يرد دائماً إلى القدرة التي تدبر هذه الأشياء لا إلى الطبيعة في ذاتها... والتفسير الديني للكون بعيد عن أن يوصف بالكسل الذهني - يتخطى الإدراك العلمي ويسمو عليه لأنه يوافق الفكرة العلمية ويحتويها، بل ويتجاوزها إلى ما لا نهاية، فعندما يقف العلم عن تقدير وملاحظة الأسباب المتتالية ومراحلها الوسيطة، فإن النظرة (الميتافيزيقية) (*) لا تقف عند هذا الحد ولا تجد رضاها وإشباعها إلا بالصعود إلى بداية البدايات التي تفسر كل شيء، ولا يستطيع شيء أن يفسرها تفسيراً كاملاً^(١).

إلا عن طريق خبر الصادق المصدق تبليغاً عن ربه جل شأنه في الحدود التي شاءت الإرادة الإلهية السماح بها.

* - ومعنى العلم بوجه عام:

«المعرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه».

وبوجه خاص:

«دراسة ذات موضوع محدد وطريقة ثابتة، توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين، وينصب على القضايا الكلية، والحقائق العامة، المستمدة من الوقائع والجزئيات»^(٢).

ويدخل في مفهوم العلم الإسلامي دخولاً أولاً: جميع ما جاء به الوحي من المعارف اليقينية، والأصول المنهجية للتفكير، والأخبار والآثار المذكورة في الكتاب والسنة، ثم يتسع ليشمل كل أساليب العمل العقلي البشري المتطابق مع الفطرة الصحيحة، والمتفقة مع قوانين الفكر الإنساني كما خلقها الله تعالى.

(١) د. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم ص ٨٠.

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي.

(القاهرة: الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)

ص ١٢٣ - ١٢٤.

(*) يلفت الباحث نظر القارئ إلى ضرورة التفرقة بين ضلالات الفلاسفة وبين الدين الذي يعتمد على الوحي الإلهي في إثبات تعاليمه وتوضيح قضاياها والدعوة إلى الحق.

والحقيقة أن مفهوم العلم في الإسلام يقاس عليه المفهوم الكلي للعلم، والمفهوم - المستمد من الكتاب والسنة - الخاص، ومنه تستمد عناصر المنهج العلمي الصحيح في الفكر والتطبيق، فالقرآن الكريم خلاصة الخلاصات لجوهر فقه العلوم إذا جاز التعبير، والسنن التي وردت فيه هي الحقائق الكلية التي تناسب تفسير جميع تفاصيل حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وتفسير المبادئ الأولى في الظواهر الكونية الطبيعية، ليس فقط في مستوى الحياة المادية بل وفي مستواها المعنوي، في عالمي الشهادة والغيب، وإن منهجاً علمياً تتمثل فيه هذه الخصائص في التفسير والبرهنة والاستدلال لهو الجدير بأن يكون المنهج الأمثل والأجدر بالاتباع.

وقد برهنت وقائع التاريخ الإسلامي منذ بدء الرسالة المحمدية وإلى وقتنا الحاضر على سمو منهج الإسلام العلمي، وهيمته على غيره من المناهج، وكانت البرهنة على هذا السمو وهذه الهيمنة وقائع تجريبية عاشتها أمة الإسلام في كل العصور.

فبعلم الوحي شئت قدرة الله تعالى أن يقوم في بداية القرن الأول الهجري، مجتمع مثالي، وظل هذا المجتمع التجربة القدوة: نموذجاً فريداً للاقتداء، وظلت إمكانية تحقيقه موجودة بضمانتين:

الأولى: أن طبيعة فطرة الله سبحانه وتعالى لبني البشر واحدة من لدن آدم عليه السلام وإلى ما شاء الله.

الثانية: أن علوم الوحي، ثابتة الأصول، متواترة النقل، دائمة التأثير في بني البشر.

وقد كانت هذه العلوم من عوامل تنشيط الطاقات البشرية للأمة الإسلامية، واستثمارها أبرع استثمار في الدعوة إلى الله، وفي تبليغ رسالته، ثم في نشر الخير والإصلاح، وترسيخ قواعد العدل، وتشديد الحضارات الراشدة في كل زمان توثقت فيه علاقات البشر بخبر السماء وعلوم الوحي.

ورغم ما وصل إليه الإنسان في هذا العصر من تقدم هائل في دراسة الطبيعة والمادة، قياساً إلى ما كانت عليه حاله قبل هذا العصر، فقد ظلت علومه قاصرة قصوراً مَخْلَافاً فيما يتعلق بدراسته لنفسه ولحياته، مما يجعل الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى بضرورة التماس العلم الصحيح عن النفس والحياة من مصدرها الطبيعي: علم الوحي، الذي شاءت قدرة الله تعالى أن يبعثه لبني البشر مع الرحمة المزجاة سيدنا محمد ﷺ.

ولنقرأ ما كتبه أحد علماء هذا الزمان من الحائزين على أعلى درجات التقدير العلمي بمقياس البشر وهو الدكتور إلكيس كارليل في كتابه المعروف: (الإنسان ذلك المجهول) إذ يقول:

«هناك تفاوت عجيب بين علوم الجماد وعلوم الحياة، فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة تقوم على آراء يمكن التعبير عنها بسداد وفصاحة باللغة الحسابية... وقد أنشأت هذه العلوم عالماً متناسقاً كتناسق آثار اليونان القدماء، ولكن علوم الكائنات الحية بصفة عامة، والإنسان بصفة خاصة، لم تُصَبْ مثل هذا التقدم، إنه لا يزال في المرحلة الوصفية، فالإنسان كل لا يتجزأ، كما أنه في غاية التعقيد، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه، أو في أجزائه في وقت واحد، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي، ولكي نحلل أنفسنا فإننا مضطرون إلى الاستعانة بفنون مختلفة، وإلى استخدام علوم كثيرة، ومن الطبيعي أن تصل كل هذه العلوم إلى رأي مختلف في غايتها المشتركة، فإنها تستخلص من الإنسان ما تمكنها وسائلها الخاصة من بلوغه فقط، وبعد أن تضاف هذه المستخلصات إلى بعضها البعض، فإنها تبقى أقل غناءً من الحقيقة الصلبة»^(١).

والكاتب معذور في تمزقه وحيرته وضلاله لأنه ينشد المعرفة اليقينية من

(١) دكتور ألكيس كارليل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة عادل شفيق، ط ١ (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤ م) ص ١١، ١٢.

غير مصدرها الصحيح ، رغم أنه يعترف بقصور وسائل البشر عن بلوغ هذه الغاية وضلال المناهج البشرية في البحث والدراسة تظهر أشد وضوحاً في دراسة الإنسان بمختلف أنواع الدراسة أكثر من ظهورها في مجال دراسة المادة، ومن ينشد الحقيقة الصلبة، والمعرفة الصحيحة، فهما موجودتان في علوم الوحي المتواترة المحفوظة، المبلغة عن رب الوحي، وخالق الإنسان والكون.

ويمضي الدكتور كارليل قائلاً:

«وصفوة القول: إن علوم الجماد حققت تقدماً عظيماً بعيد المدى، في حين بقيت علوم البشر في حالة بدائية، ويجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته، ومن ثم فإن التقدم الضخم الذي أحرزته علوم الجماد هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية، فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة خلقياً وعقلياً، إن الجماعات والأمم التي بلغت مع الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة: الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليهما... ولكنها لا تدرك ذلك، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها... وحقيقة الأمر أن مدينتنا، مثل كل المدينيات التي سبقتها، أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة، إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية، تتولد من نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إننا ضحايا تأخر علوم الحياة عن علوم الجماد، إن العلاج الوحيد الجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا»^(١).

وهذا القول على كثرة ما فيه من فكر متناقض إلا أنه منسجم مع البداية

(١) ألكسيس كارليل، مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١.

الضالة التي صدر عنها، لكنه يلفت النظر إلى وجود إحساس بعدم كفاية الوسائل البشرية لعلاج مشكلات معرفة الإنسان لنفسه، لتتوازن مع معرفته بالكون المادي من حوله، والحقيقة أن العلاج موجود، والمعرفة الصحيحة بالنفس الإنسانية في حالة انفرادها أو اجتماعها متوفرة، ومعرضة عرضاً منهجياً متناسقاً في حدود ما أذن الله جلّت قدرته لبني البشر أن يعرفوه، وهذه المعرفة ليست مجرد أفكار تكون نظرية قابلة للنقض، أو آراء صاغها الهوى، أو أملتها المصلحة، وإنما هي منهج كامل في علم النفس وعلم الحياة في حدود الضرورة الملحة، تكشف عن السنن الثابتة في التكوين البشري، وتقدم معرفة متسقة واضحة للإنسان، هذه المعرفة وذلك المنهج هو: علوم الوحي.

وقد لاحظ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قبل ذلك بقرون^(١) وجود التناقض في مناهج البشر وعلومهم، بينما يتوفر لعلوم الوحي الثبات والصدق والكمال. وقد ميز شيخ الإسلام بين فريقين:

الأول: المتبعون للكتاب والسنة، من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين ومن سار على هديهم إلى يوم الدين: وهؤلاء متفقون على دلالة ما جاء به الشرع في مسائل الدين الكبرى وأصوله، ولم يختلفوا في أمر من الأمور، ولا على دلالة العلم السمعي على هذه المسائل الأصول، وإنما اختلفوا على:

«هل عارض من العقل ما يدفع موجهه».

الثاني: أهل الكلام والفلاسفة وضلال المفكرين في كل العصور، وهم وإن اختلفت مسمياتهم حسب العصر الذي يعيشون فيه، فإنهم:

«لم يتفقوا على دليل واحد من العقليات».

(١) ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. شيخ الإسلام العالم المعروف، والمجاهد الأكبر، والمدافع عن السنة ومنهج السلف، عاش بين عامي: ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ.

والذي يتفحص ما جاء به هؤلاء في المسائل التي لا يمكن الحصول على العلم اليقيني فيها إلا من الله تعالى - يصل إلى أن :

«كل طائفة تقول في أدلة خصومها: إن العقل يدل على فسادها لا على صحتها»^(١).

وهذا هو حال البشر في كل زمان، وفي هذا الزمن أصبح حالهم أشد وضوحاً، فالمتابعون للرسول ﷺ، والمؤمنون بما جاء به، هؤلاء لهم الأمن، وهم مهتدون. أما الذين خسروا أنفسهم، وتشتت بهم السبل فكل يضرب في تيه فدغد، ولا خلاص للبشرية أفراداً وجماعات، ولا نجاة من هذا التخبط، إلا بالرجوع إلى الحق المنزل من الله جلت قدرته، والاهتداء بالنور الذي أنزله.

وقد نبه شيخ الإسلام إلى قضية هامة وهي :

«إن كثيراً من أهل الكلام يظن أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا من هذا الوجه، ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين: العقليات والسمعيات، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة، وهذا غلط منهم، بل القرآن دل على الأدلة العقلية وبينها ونبه عليها، وإن كان من الأدلة العقلية ما لا يعلم بالعيان، ولوازمه، كقوله تعالى :

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣).

وفي بيان طبيعة علوم الوحي يقول شيخ الإسلام :

«ومعلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني سواء كان التواتر لفظياً أو معنوياً» «والمنقول عن النبي ﷺ شيان: ألفاظه وأفعاله، ومعاني ألفاظه ومقاصده بأفعاله، وكلاهما منه ما هو متواتر عند العامة والخاصة، ومنه ما هو

(١) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المرجع السابق، ص ١٩٢.

متواتر عند الخاصة ومنه ما يختص بعلمه بعض الناس وإن كان عند غيره مجهولاً أو مظنوناً أو مكذوباً^(١).

وهذا البيان خاص بالعلم الذي ورد في السنّة المشرفة، أما العلم القرآني فهو علم متواتر لفظاً ومعنى، تواتر صدور وتواتر سطور، بإجماع الأمة في كل العصور.

ولنمض في عرض آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، في بيان دلالات الأدلة الشرعية والتي يحاول ضلال المفكرين تجريدها من الدلالة العقلية، ويطلقون عليها السمعيات، ويقصرون دلالتها على مجرد خبر الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذه الآراء ما يغني عن قراءة كتب كثيرة في هذا الباب:

يقول شيخ الإسلام:

«إن كون الدليل عقلياً أو سمعياً ليس هو صفة تقتضي مدحاً ولا ذماً، ولا صحة ولا فساداً، بل ذلك يبين الطريق الذي به علم، وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لا بد معه من العقل، وكذلك كونه عقلياً أو نقلياً.

أما كونه شرعياً، فلا يقابل بكونه عقلياً وإنما يقابل بكونه بدعياً، إذ البدعة تقابل الشرعة، وكونه شرعياً صفة مدح، وكونه بدعياً صفة ذم، وما خالف الشرع فهو باطل، والعقل يعلم فسادَه.

ثم الشرعي: قد يكون سمعياً، وقد يكون عقلياً. فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبتته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبتته الشرع: فلما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً. ولكن الشرع نبه عليه، ودل عليه، فيكون شرعياً وعقلياً وهذه الأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال الفردية وغيرها الدالة على توحيده، وصدق رسوله، وإثبات صفاته، وعلى المعاد.

(١) المرجع السابق ص ١٩٦.

فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية. وأما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق: فإذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره، كان ذلك شرعياً سمعياً.

وأما الدليل الذي يكون عقلياً أو سمعياً من غير أن يكون شرعياً، فقد يكون راجحاً تارة ومرجوحاً تارة أخرى، كما أنه قد يكون دليلاً صحيحاً تارة، ويكون شبهة فاسدة أخرى.

فما جاءت به الرسل عن الله تعالى إخباراً وأمرأً لا يجوز أن يعارض بشيء من الأشياء، وأما ما يقوله الناس، فقد يعارض بنظيره، إذ قد يكون حقاً تارة، وباطلاً أخرى^(١).

ولعمري ليس أبين من ذلك في الانتصار للعلم الإسلامي ولعلم الوحي، وفي إفحام حجج المبطلات ومثيري الشبهات حول أصل العلم الإسلامي وبدايته المنهجية: علوم الوحي.

توجه شيخ الإسلام بمعول الحق، وسيفه البتار إلى البناء الفكري الضال الذي أسسه الفلاسفة والمتكلمون، وصنفهم إلى فئات، حدد لكل فئة قانونها الكلي، وبدايتها المنهجية، وفند شبهاتهم، وأبطل حججهم، وهذا حال الأمة في كل عصر، يسر الله سبحانه وتعالى لها من يدافع عن عقيدتها، ويتنصر لدينه، ويتابع سلف الأمة الصالح، ويعيد إلى النفوس الحائرة الأمن والهدى، وهذا بعض ما توحى به الآية الكريمة.

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وبعض معاني الحديث النبوي الشريف المتواتر:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

(١) المرجع السابق: ص ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠.

قال الإمام البخاري :

«باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم : أهل العلم» .

وأخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن أحمد : «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»^(١) .

وهكذا تفتتح معالم البداية المنهجية لمصادر الأخبار في الإسلام وهي الأصل العلمي لهذه المصادر، علوم الوحي، وبقي أن نبحت في طبيعة الوحي، وما أثير حوله من شبهات متهافة الحجج، واهية الأساس، لتسلم لنا بدايتنا العلمية المنهجية، ونتقدم خطوة في دراسة مصادر الأخبار في دولة الإسلام في عهدها المدني .

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٩٣ .

ثالثاً: محاولات التشكيك في الوحي والرد عليها

تقديم

إن الوحي وهو القاعدة الأساسية، والبداية المنجية في الفكر الإسلامي، والحضارة الإسلامية، والميزة الكبرى لأمة الإسلام على غيرها من الأمم، لم يسلم من مثيري الشبهات، وناشري الأراجيف والأباطيل في كل زمان، فكما كان عصر الجاهلية عصر تشكيك وصراع وصل إلى حد المواجهة العسكرية القتالية من جانب الكفار، لإسكات صوت الحق الذي جاء به الوحي، ولوأد الدعوة الإسلامية في مهدها، كذلك ظهر في كل زمان ومكان من يشكك في الوحي الإلهي، وينشر الشبهات والأباطيل على عملية الوحي، وعلى رسول الوحي، وعلى مادة الوحي - الكتاب والسنة - حدث ذلك من جاهليي عصر الرسالة الخاتمة، فكان جزء كبير من آيات القرآن منهجاً كاملاً في إبطال هذه الشبهات ورد هذه الأباطيل، وحدث ذلك في هذا العصر الذي استغل فيه أعداء الإسلام وقوع الأمة الإسلامية في عصور الضعف تحت سيطرة النصارى والشيوعيين العسكرية، وسيطرة اليهود المالية والعلمية والإعلامية، فاستغل أعداء الإسلام هؤلاء على اختلاف مسمياتهم ومراميمهم فترة الضعف هذه، ووجهوا سهامهم إلى أصل الفكر الإسلامي، حيث لم يسلم جانب من الحياة الفكرية الإسلامية إلا وعاثوا خراباً فيه، كما عاثوا خراباً في مظاهر الحضارة الإسلامية المختلفة، ونال الوحي المحمدي نصيباً وافراً من التشكيك والتضليل والسهام المسمومة الموجهة إلى صميم فكر الأمة.

ونعرض الآن لهذه الشبهات التي أثرت حول الوحي، والطرق التي أتبعها علماء الأمة في إبطالها وتفنيدها.

١ - إن مركز الخطورة في مجمل الشبهات التي أثرت على الوحي الإلهي، يكمن فيما يترتب على التشكيك فيه أو إنكاره من نتائج منطقية تنسحب على أصول الدين وأركانه، فإنكار الوحي ينسحب على إنكار نبوة الرسول ﷺ، وبالتالي إنكار ما جاء به مبلغاً عن ربه عز وجل من العقائد والشرائع والأحكام والمسائل. فكما أن التفكير المنهجي السديد الذي يبدأ بداية منهجية صحيحة، يؤدي إلى نتائج منطقية صحيحة منسجمة مع المقدمات، كذلك التفكير الخاطئ الضال عندما يبدأ بداية خاطئة يؤدي إلى نتائج خاطئة وخطيرة.

٢ - إن عرض الشبهات والرد عليها ليس دفاعاً نظرياً جدلياً، ولكنه تصد لظواهر فكرية واقعية، ولمحاولات سلوكية عملية بدأت في زمن الرسالة الخاتمة ورصدها القرآن الكريم، وحدد المنهج العلمي لتفنيدها وإبطالها، وخاضت غمار محاربتها أجيال من علماء الأمة، لدحض حجج خصوم الدين، ولتخليص عقائده ومنهجه من الشبهات والأباطيل، وظهرت هذه الشبهات بصورة مغرقة في المكر والدهاء في العصر الحديث، مما يجعل عملية ردها وإبطالها واجباً على كل مسلم.

٣ - وبمحصر الشبهات قديماً وحديثاً تبين أنها ترد من ثلاث فرق:

أ - إما من كتابي مغرض اتخذ الدراسات الأدبية والإسلامية ستاراً ينفث من خلالها سمومه وينشر أباطيله، ويروج لشبهاته، وكل أعمال المستشرقين من هذا النوع، فإن القليل القليل منه صواب وإنصاف، والكثير تضليل وتزوير وشبهات.

ب - أو من ملحد منكر للألوهية أصلاً: والقضية مع هذا الصنف من الناس ليست قضية الوحي، ولكنها قضية الإيمان أو عدم الإيمان بالألوهية، لأن الإيمان بالوحي هو البداية المنهجية لبناء فكري كامل، وتسبقه منطقياً

ضرورة الإيمان بالله تعالى منزل الوحي، ومصدر التكليف، ومن ثم يؤمن بإمكانية الوحي وما يترتب على هذا الإيمان من العقائد والشرائع.

ج - أو ترد الشبهات من مسلم يسأل استرشاداً لا عناداً وهذا ينفع معه الإقناع بالقرآن الكريم والسنة المشرفة.

٤ - والشبهات إما أن ترد على مبدأ وأصل الوحي جملة أي على الوحي بمعناه المصدري وكيفياته، وإما على الوحي بمعنى اسم المفعول أي مادة الوحي وهي القرآن الكريم، وفي الحالتين فإن هذه الشبهات تمتد إلى شخص الرسول ﷺ وتكتمل المزاعم والشبهات، لتكون منهجاً كاملاً للباطل، يحاول به تزييف الحقيقة وطمس الهدى، والحيلولة دون وصول نوره إلى القلوب الحائرة، والنفوس القلقة، وهي أحوج ما تكون له في هذا الزمان.

ونعرض الآن للشبهات بالتفصيل وأساليب الرد عليها وإبطالها:

أولاً: الشبهات الواردة على أصل الوحي وكيفياته:

١ - هذه الشبهات أخطر ما أثير على موضوع الوحي، إذ أن الطعن في أصل الشيء طعن في فروعه ونتائجه، فما دام الوحي المحمدي ليس وحياً إلهياً - كما يدعى مثيرو الشبهات - فإن هذه الفرية تنسحب تلقائياً على شخص الرسول أولاً، فتصفه تارة بالكذب، وأخرى بالجنون، وثالثة بالتخليط أو إتيان الشعر، وتنسحب هذه الفرية على ما جاء به مبلغاً عن ربه جل وعلا من الشرائع والعقائد والأحكام والأخبار والحكم والأمثال: فتصفه بأساطير الأولين، أو أضغاث الأحلام، أو أنه تعلمه من علماء أهل الكتاب، أو من معلم رومي أو غير ذلك.

وإبطال الشبهات الواردة على أصول الوحي بالنقل والاستدلال العقلي كافٍ لهدم بقية الشبهات، لأن سلامة أصل الدين يترتب عليه التسليم بصحة حقائق وعقائد الدين وتفاصيله.

٢ - وتأتي خطورة هذه الشبهات من أن الشبهات التي أثيرت حول

شخص الرسول ﷺ تدحضها وتبطلها تفاصيل سيرته ﷺ، والواقع التاريخي الذي تواتر نقله عبر الأجيال ليس فقط في نطاق أمة الإسلام، بل في نطاق التاريخ البشري عامة.

ونفس الأمر بالنسبة للشبهات التي أثرت حول القرآن الكريم كمعجزة لغوية وعلمية، سلمت من كل تحريف، واكتملت لها شروط التواتر حفظاً وكتابة، واكتملت لها كذلك خصائص الإعجاز بمختلف أنواعه، وأشكاله، وصيغه، مما عالجه معالجة مستفيضة علماء علوم القرآن أمثال الزركشي والسيوطي والباقلاني.

٣ - ثم إن الشبهات التي أثرت حول طبيعة وأصل الوحي تتناول فكرة معنوية: الشاهد الوحيد على صدقها الظاهري في بدايتها كان الرسول ﷺ وأنه لا ينطق إلا حقاً، ولا يقول إلا صدقاً، أما صدقها القائم على الإدراك المحسوس، والاستدلال العقلي فتدعمه عدة أدلة:

أ - آثارها المحسوسة المدركة على الرسول ﷺ عند مجيء الوحي.

ب - صدق الرسول ﷺ فيما أخبر صدقاً مطلقاً حتى في تفاصيل حياته العادية، وهي ميزة مشهود له بها لا مجال للشك فيها أو مناقشتها.

ج - الفطرة السليمة والعقل المنصف يرجحان أن مادة القرآن الكريم وأسلوبه ليس مما يمكن أن يقع تحت طائلة قدرات الإنسان وطاقاته.

٤ - ويمكن حصر الشبهات الواردة على أصل الوحي، أي على عملية الوحي وإمكانيته، وطرق تنزله في صيغتين هما:

الصيغة الأولى: أن الوحي مجرد حالة من الإلهام النفسي أو ما يعرف بالكشف النفسي، أو المكاشفة النفسية.

الصيغة الثانية: أن الوحي تخليط وأضغاث ونوع من الصرع أو الحالات العصبية، أو الجنون.

الرد على هاتين الصيغتين:

الرد على الصيغة الأولى :

تحديد الدعوى : «زعم الجاهليون قديماً وحديثاً أنه عليه الصلاة والسلام كان له من حدة الذكاء ونفاذ البصيرة وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس - وصدق التأمل، ما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر، والحق والباطل بالإلهام ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسي، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثراً للاستنباط العقلي والإدراك الوجداني عبر عنه بأسلوبه وبيانه»^(١).

الرد:

١ - إن العقائد والأخبار التاريخية الواردة في القرآن الكريم مما لا يستحيل على بعض العقول التوصل إلى شيء منها، لأنه قد يتصور نظرياً إمكانية استخدام العقل لأساليب الإدراك الحدسي، أو الاستدلالي استخداماً مثالياً، فيدرك بعض جوانبها. . . ولكن قسم التنبؤات في القرآن الكريم بوقوع أحداث وقعت فعلاً في زمن الرسالة، وفيما تلاها من قرون، وفي الأزمنة المعاصرة وإلى يوم الدين: هذا القسم لا يمكن أن يتصور عقل أنه تحت طائلة القدرة العقلية للإنسان مهما أوتي من قوة الفراسة، وحدة الذكاء، وصدق التأمل.

٢ - وهذا القسم في القرآن الكريم هو الذي أدى بمثيري الشبهات أن يثيروا شبهة الوحي النفسي أو الكشف. ورد شبهة الكشف ممكن لو عرفنا معنى كلمة الكشف النفسي ومدلولها العلمي، وقد سبق أن وضعنا طبيعة عملية الوحي لغوياً وعلمياً لمعرفة مدى الفرق بينهما.

إن كلمة إلهام ليس لها مدلول نفسي محدد مع أنها مستخدمة عموماً لكي ترد معنى الوحي إلى ميدان علم النفس.

أما كلمة المكاشفة أو الوحي النفسي فلها مدلول «ولكنه لا يتفق مع

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٤٣.

الأحوال الظاهرة الملحوظة لدى النبي ﷺ في حالة التلقي التي يعانيتها أثناء نزول الوحي .

- والمكاشفة أو الوحي النفسي هي : معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير أو خاض التفكير فيه فعلاً .

- أما الوحي فهو : المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير وأيضاً غير قابل للتفكير لكي يكون متفقاً مع اعتقاد النبي ومع التعاليم القرآنية .

- ومن الوجهة العقلية : لا تنتج المكاشفة عند صاحبها يقيناً كاملاً بل كأنما تخلق (نصف يقين)، أي بعض ما يؤدي إلى ما يسمى احتمالاً، والاحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها، وهذه الدرجة من الشك هي التي تميز المكاشفة من الوحي من الناحية النفسية .

- أما يقين النبي فقد كان كاملاً مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة وخارجة عن ذاته .

- وهذه الصفات تتأكد في نظر الذي يتلقى الوحي بحيث لا يبقى ظل من الشك فيما يتصل بموضوعية الظاهرة الموحية، وهذا شرط أول مطلق، ضروري، لاعتقاد النبي الشخصي^(١) .

- «إن يقين النبي في مصدر المعرفة الموحاة لا يجيء مع الوحي نفسه، ولا يؤلف جزءاً من طبيعته، بل إنه في صورته الكاملة من عمله الشعوري كرد فعل طبيعي لهذا الشعور إزاء ظاهرة خارجية»^(٢) .

وهكذا يتضح الفرق الكبير بين الوحي المحمدي المنزل من الله تعالى وبين معنى الوحي الذي تثيره الشبهة الباطلة وأن الوحي يتنزل من عند الله وهو خارج عن النفس المحمدية الشريفة .

(١) الأستاذ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية دار القرآن الكريم (بيروت لبنان مطبوع في شتجارت : ألمانيا الغربية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٧٢ .

الرد على الصيغة الثانية من الشبهة .

تحديد الدعوى: قول الجاهليين قديماً وحديثاً أن الوحي نوع من التخليط أو الصرع أو الجنون أو إضغاث الأحلام .

الرد:

يرد هذه الشبهة عدة أدلة :

١ - أن حالة الرسول ﷺ أثناء تلقي الوحي تكون في قمة الوعي وكامل الإدراك واليقظة وأبعد ما يكون عما يدعيه المغرضون .

٢ - أن الكلام الذي جاء به الرسول ﷺ ونسبه إلى الله تعالى وهو القرآن . لا يمكن أن يوصف بأنه نتيجة لحالة من حالات الصرع أو الجنون أو التخليط . وإنما هو قمة في البلاغة والفصاحة والإعجاز والاتقان والضبط .

٣ - أن الحالة التي تحدث للرسول ﷺ عند نزول الملك في حالته المخففة كانت ضرورية ليخرج جزئياً من حالته الإنسية، ويقترب جبريل عليه السلام من الحالة الإنسية، ليأخذ منه القرآن، فتصيبه تغيرات جسمية معينة، اقتضتها حكمة الله تعالى .

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ :

«كان يعالج من التنزيل شدة» .

وقال ابن حجر: «قال بعضهم: وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع . وقيل: إنه كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد . وهذا فيه نظر، والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما سيأتي بيانه وفي حديث لعلي بن أمية في قصة لابس الجبة المتضمخ بالطيب في الحج فإن فيه أي في الحديث المذكور أنه «رآه ﷺ حال نزول الوحي عليه وأنه ليغط»^(١) .

٤ - أن تاريخ سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة تاريخ معروف وواضح ،

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ٢٠ .

وتشهد نشأته الأولى وصباه وشبابه أنه كان مثلاً عالياً للرزانة، وسمو النفس، ورجاحة العقل، وأصالة الرأي، وسلامة القوى العقلية، ومتانة البناء الخلقي، مما لا يستقيم معه ما يثار حوله من شبهات على حالته أثناء تلقيه الوحي .

قال تعالى :

- ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
(الأعراف : ١٨٤) .

- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون ٦٨ - ٧٠) .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يَنْذِرُونَ﴾
(الأنبياء : ٤٥) .

ثانياً: محاولات التشكيك في القرآن الكريم

الشبهة الرئيسية على القرآن الكريم التي أجهده الجاهليون أنفسهم قديماً وحديثاً لإثباتها بشتى الأساليب الملتوية، وبكل أشكال المنطق الخاطيء هي :
أن القرآن الكريم ليس وحياً إلهياً وأنه إما :

أضغاث أحلام أو افتراء أو من تعليم أهل الكتاب، أو شكل من أشكال أساطير الأولين .

تحديد الدعوى :

يقول مثيرو هذه الشبهة :

«نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، وإنما نقول :
إن منبع ذلك من نفسه وليس وحياً فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال إنه وراء الطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فإن هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده، كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال، وإنما نفسر الظواهر

غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت»^(١).

أي أن القرآن الكريم كان صدى للبيئة والأحداث والأمانى التي عاش وسطها محمد ﷺ. وفي ذلك نقرأ من أقوال الجاهليين القدماء ومن تابعهم من الجاهليين المعاصرين، ما أورده القرآن الكريم بنصه على ألسنتهم:

- «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» (الأنبياء: ٥).

ولم يقولوا أن القرآن شعر لأنهم يعرفون أنه مغاير في طبيعته لما يألّفونه من مواصفات الشعر وهم أهل الأدب والفصاحة والبيان بل نسبوا الشاعرية إلى الرسول ﷺ وهم يعلمون مدى كذبهم، ولكن ذلك أقل أثراً في فضيحتهم، وتداعي حججهم، وبيان صريح كذبهم وافتراءهم ومن نسبة صفة الشعر إلى القرآن.

- ﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (الأنعام: ٣٣).

- ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل: ١٠٣).

- ﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (يونس: ٣٨).

- ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: ٨٢).

- ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً﴾ (الفرقان: ٤، ٥).

(١) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ٨٩.

- ﴿ومنها من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا: إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (الأنعام: ٢٥).

تلك نصوص من القرآن الكريم شاهدة على ما كان يتقوله جاهليو عصر الرسالة، ولا زال الجاهليون المعاصرون يرددونه، ما دام للقرآن الكريم وللإسلام أعداء قاصرون عن فهم هذا الدين، وانتهاز فرصة النجاة التي يتيحها لبني البشر، للفوز بنعيم الدنيا والآخرة.

الرد:

أ - «لقد علم الناس أجمعون علماً لا يخالطه شك أن هذا الكتاب العزيز جاء على لسان رجل عربي أُمِّي، ولد بمكة، في القرن السادس الميلادي، اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله... هذا القرآن لا خلاف فيه بين مؤمن وملحد، لأن شهادة التاريخ المتواتر به، لا يماثلها ولا يدانيها شهادته لكتاب غيره، ولا لحادث غيره ظهر على وجه الأرض»^(١).

ب - شهادة القرآن الكريم على نسبته إلى الله تعالى وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ومنها:

- ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيمٍ عليم﴾ (النمل: ٦).

- ﴿وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾ (الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢).

- ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ (الشعراء: ١٩٢ - ١٩٩).

(١) د. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق ص ٢٠.

- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢).

- ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل : ١٠٢).

- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء : ١٠٥).

- ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الإسراء : ٨٨).

- ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِثْتُ بَقْرَانَ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ اتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ (يونس : ١٥).

- ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس : ٣٧ - ٣٨).

وتتوالى عناصر المنهج القرآني في دحض شبهات المغرضين، براهين عقلية لا مجال للشك فيما تقدمه من حجج، تثبت مصدر القرآن وأنه تنزيل من الله تعالى.

أ - أدلة أخرى على أن مصدر الوحي من الله تعالى :

١ - لا مصلحة للرسول في نسبة القرآن الكريم، وهو معجزة عظمى لغيره، فقد كان الأولى والأكثر فائدة لزعامته أن ينسب لنفسه تدعيماً لهذه الزعامة.

«ولا يقال إنه أراد بنسبة القرآن إلى الوحي الإلهي أن يجعل لكلامه حرمة تفوق كلامه (أي كلام الرسول نفسه) حتى يستعين بهذا على استجابة

الناس لطاعته، وإنفاذ أوامره، فإنه صدر عنه كلام نسبه إلى نفسه فيما يسمى بالحديث الشريف ولم ينقص ذلك من لزوم طاعته شيئاً، ولو كان الأمر كما يتوهمون لجعل كل أقواله من كلام الله تعالى»^(١).

٢ - أن الوحي لم يكن أمراً اختيارياً، يجده حاضراً متى طلبه، أو لزمه لتدعيم موقف، أو البت في قضية، بل كان أمره في يد الله تعالى فقد تباطأ الوحي أكثر من عامين، مما كان فرصة لأعدائه ليتقنوا عليه الأقاويل، ومما جعله يضيق بنفسه، حتى يكاد يتردى من فوق القمم لولا عناية الله تعالى، وإنزاله السكينة على نفسه الشريفة، يقول الأستاذ مالك بن نبي في معاودة الوحي بعد فتور عامين:

«لقد أشرقت أسارير النبي إذ هو يملك منذ الآن البرهان الأدبي والعقلي على أن الوحي لا يصدر عن ذاته، ولا يوافيه طوع وإرادته، فلقد بدا له عصياً لا يمكن أن يخضع له، كما لا تخضع له أفكار الآخرين، وكلماتهم، ولديه الآن برهان موضوعي إلى أقصى درجة على صحة اقتناعه»^(٢).

٣ - «حديث الإفك» وتأخر مجيء الوحي ببراءة أعز زوجاته إليه شهراً كاملاً، حتى كثرت أراجيف المنافقين، واتخذوها فرصة لقطعها في أعز ما يملك الإنسان - عرضه -.

«أفلا كان أصون لسمعته لو كان القرآن من عنده أن يأتي بما يبريء أعز زوجاته وأحبهن إلى نفسه؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»^(٣).

٤ - إن القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة توجه العتاب فيها واللوم

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٤١.

(٢) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ص ١٨٥.

(٣) محمد عبد الله دراز، نبأ العظيم، ط (الكويت: دار القلم، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) ص

الشديد إلى الرسول ﷺ، وكل ما كان يفعله واستحق عليه ذلك هو «أنه ﷺ كان إذا ترجح بين أمرين، ولم يجد فيهما إنثماً، اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه، وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله»^(١).

٥ - نزول بعض الآيات بالقول المجمل أو الأمر المشكل لا يستبينه الرسول ﷺ ولا أصحابه في حينه حتى يجيء الوحي ببيانه.

«فأي عاقل توحى إليه نفسه كلاماً لا يفهم هو معناه؟ وتأمره أمراً لا يعقل حكمته، أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمر؟»^(٢).

٦ - وإذا كانت بعض العقائد والشرائع والنظم التي جاء بها القرآن الكريم مما يمكن استنباطه بالعقل، فلإن في القرآن الكريم من الأمور ما لا مجال للاستنباط فيه حتى لأعظم العقول ومن ذلك:

- الأخبار والتفاصيل الدقيقة عن بعض الأمور والوقائع والأحداث التاريخية والعلمية التي كانت خافية على كثير ممن كانوا يعدون من العلماء في ذلك الزمان، فما بالك برجل نشأ أمياً في أمة أمية، الصفة الغالبة عليها هي الجهل. ومن ذلك أخبار الأمم والأنبياء والأحداث والجماعات البشرية كما يذكرها شاهد عيان.

- ذكر تفاصيل وأرقام عن بعض الأمور لا يأتي بها إلا شاهد عيان مثل:

- * - طريقة بدء الخلق وتطور حياة الإنسان.
- * - المدة التي عاشها نوح عليه السلام يدعو قومه.
- * - المدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم.
- * - عدة أبواب الجنة.

(١) محمد عبد الله دراز، نفس المرجع ص ٢٦.

(٢) محمد عبد الله دراز، نفس المرجع ص ٢٨، ٢٩.

* - عدد الملائكة حراس النار .

* - تفاصيل قصة نوح عليه السلام .

* - مراحل تكون السحب وسقوط المطر وتوزيعه .

وغير ذلك من التفاصيل التي تتناولها الدراسة الموضوعية للسرور
القرآنية .

هذا ما سمح به المجال من بسط الحديث في الشبهات الواردة على
الوحي ، وقد اتضح لنا أن سلامة عملية الوحي أو أصل الوحي من الشبهات
يدعم ما عرف عن الرسول ﷺ من الصدق المطلق ، في جميع مراحل حياته ،
وفي تفاصيل علاقاته ومعاملاته ، قبل الرسالة وبعدها ، وكذلك فإن سلامة
الوحي بمعنى «القرآن الكريم» من الشبهات الموجهة إليه ، يؤكد صدق المخبر
المبلغ بهذا القرآن ، فإن الإيمان بأن القرآن الكريم ليس إلهاماً ، أو فراسة أو
كشفاً نفسياً ، أو نوعاً من الافتراء ، أو أحاديث الشعراء أو تخليطات المجانين ،
يؤكد أن الرسول ﷺ ، نبي مرسل ، يتلقي الوحي من ربه ، وأنه نهاية قافلة
الأنبياء ، ودينه خاتم الأديان - ﷺ - .

وتبقى كلمة أخيرة في موضوع الوحي وهي :

أن ما يقرره القرآن الكريم في موضوع الوحي في كثير من الآيات لا
يواجه به إلا مسلم غير متردد في إيمانه بالإسلام ، أو هو يواجه به من كان
صافي الطبع ، غير مبیت سوء القصد من البشر ، وعندئذ يكون القرآن له شفاءً
وهدايةً .

«ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا
خساراً» . (الإسراء : ٨٢)

أما لو واجهنا بالقرآن غير المسلم من متعصبي أهل الكتاب ، فإنه لا
يكون له دليل هداية وإقناع على أن القرآن وحي من الله ، وإنما الذي يجب أن
يسلك معه :

- مطالبته بتحديد موقفه من (الوحي) كقضية عامة للديانات السماوية

الثلاث، وليست قضية الإسلام وحده، فما يقوله الغرب المسيحي باسم العلم تأييداً لوحي عيسى أو موسى، يصح أن يقال تأييداً لوحي محمد: فإذا كان (الوحي) كأمر غير عادي يخضع للطريقة العلمية الحديثة، أو لا بد أن يقف عند حد اعتقاد المؤمنين به في كل دين، فكل أنواع (الوحي) سواء في هذا أو ذاك.

- أما الأمر الذي يجب أن ينكره البحث العلمي - بهذا التحديد فهو أن يناقش نوع من (الوحي) ويتشكك فيه باسم العلم، ثم يسان نوع آخر منه على أنه بديهي التسليم، ويبعد عن مجال الجدل العقلي النظري، أو العلمي التجريبي. ولذا لا نحاول هنا أن نؤيد وحي الرسالة الإسلامية خاصة، لأن قضية (الوحي) إذن قضية عامة مشتركة، ما يصلح دليلاً عليها هناك يصلح دليلاً عليها هنا. . . فيجب أن نخرج القضية في جملتها عن محل النزاع»^(١).

وهكذا فإن سلامة البداية العلمية المنهجية في دراسة الخبر ومصادره أمر ضروري للمضي قدماً في دراسة هذه البداية كقاعدة للخبر في الإسلام، وننطلق من ذلك إلى الدراسة التفصيلية لمصادر الأخبار في العهد المدني.

(١) الدكتور محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط ٨ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ص ٢١٩، ٢٢٠.

الفصل الثاني

أخبار الوحي

- أ - طبيعة الخبر (النبأ) في اللغة والقرآن الكريم وعلوم المصطلح وعلوم البلاغة .
- ب - طبيعة الخبر (النبأ) في الدراسات الإعلامية .
- ج - الوحي مصدر الخبر في الإسلام .
- د - بعض خصائص خبر الوحي .

أ - طبيعة الخبر (النبأ) في اللغة والقرآن الكريم وعلوم المصطلح وعلوم البلاغة

معنى الخبر في اللغة :

الخبر: واحد الأخبار، وجمع الجمع أخابير.

يقال خبرت الأمر: أي علمته، وأخبره إذا عرفته على حقيقته.

والخبر: النبأ.

واستخبره: سألته عن الخبر وطلب أن يخبره.

ويقال أيضاً: تخبرت الأمر واستخبرته وتخبرت الجواب واستخبرته^(١).

وفي «تهذيب اللغة».

الخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر.

والخبير: العالم بالأمر^(٢).

والخبر هو النبأ، وجمعه أنباء، واستنبأ النبأ: بحث عنه.

الخبر والنبأ في القرآن الكريم :

وردت كلمة خبر في موضعين بالقرآن الكريم :

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٠٨.

(٢) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام سرحان، ج ٧ (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة) ص ٣٦٤.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبِيرٍ﴾ (النمل : ٧) .
 ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبِيرٍ﴾
 (القصص : ٢٩) .

وورد بلفظ «خَبيراً» في موضعين من سورة الكهف .
 ووردت بصيغة الجمع «أخبار» في ثلاثة مواضع :
 ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبة : ٩٤) .
 ﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾
 (محمد : ٣١) .

﴿يَوْمَئِذٍ تَحْدُثُ أَخْبَارُهَا﴾ * بأن ربك أوحى لها (الزلزلة : ٤ ، ٥) .
 أما كلمة «نبأ» فقد وردت في ست عشرة موضعاً^(١) :
 - ﴿وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ (المائدة : ٢٧) .
 - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام : ٣٤) .
 - ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام : ٦٧) .
 - ﴿وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ (الأعراف : ١٧٥) .
 - ﴿وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ (يونس : ٧١) .
 - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (إبراهيم : ٩) .
 - ﴿وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الشعراء : ٦٩) .
 - ﴿فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (النمل : ٢٢) .

- ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص : ٣) .
 - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمُحْرَابَ﴾ (ص : ٢١) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ص ٦٨٦ .

- ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (ص: ٦٧).
- ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ (الحجرات: ٦).
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ (التغابن: ٥).

- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ (النبا: ٢).

- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ (التوبة: ٧٠).

وقد وردت كلمة «النبا» بصيغة الجمع في عشرة مواضع بالقرآن الكريم ووردت كذلك بصيغ كثيرة اشتقاقاً من الفعل «أنبا».

الخبر عند علماء أصول الفقه:

جاء تعريف الخبر عند الأمدى في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» وعرفه بقوله: «الخبر عبارة عن اللفظ الدال بالوضع على نسبة معلوم إلى معلوم، أو سلبها على وجه يحسن السكوت عليه، من غير حاجة إلى إتمام، مع قصد المتكلم به الدلالة على النسبة أو سلبها»^(١).

الخبر عند علماء مصطلح الحديث:

١ - جاء في مقدمة ابن الصلاح في التمييز بين معنى الخبر ومعنى الأثر:

«الخبر ما يروى عن النبي ﷺ والأثر ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم»^(٢).

٢ - وفي قول آخر:

(١) سيف الدين الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، تحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفي (الرياض: مؤسسة النور، ١٣٨٧ هـ) ص ٩.

(٢) ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتير ص ٤٢ ط ٣ (المدينة المنورة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٩٧٢ م)، ص ٤٢.

«أن الخبر مرادف للحديث».

«أو أنه ما جاء عن غير النبي والحديث ما جاء عنه ﷺ. وقيل الحديث أخص من الخبر فكل حديث خبر وليس العكس»^(١).

٣ - ومن العلماء من يرى أن الحديث والخبر ألفاظ مترادفة لما بينهما من اتفاق في المدلول اللغوي من جهة، ولما جاء عن أن الرواة لم يكتفوا بنقل المرفوع إلى النبي ﷺ، بل عنوا معه بنقل الموقوف على الصحابي والمقطوع على التابعي، فقد رووا ما جاء عن النبي وما جاء عن غيره، والرواية أخبار هنا وهناك فلا ضير في تسمية الحديث خبراً والخبر حديثاً، والذي مال إليه العلماء على تخصيص الحديث والمحدث وتمييزه عن الإخباري. والخبر هو إطلاق اسم الإخباري على من يشتغل بالتواريخ ونحوها وتخصيص المشتغل بالسنة بلقب المحدث^(٢).

٤ - وفي دلائل النبوة للبيهقي أن الخبر خبران :

أ - ما فرضه الله سبحانه على العباد أن يأتوا به بألستهم وأفعالهم ويؤتوه من أنفسهم وأموالهم، وهذا ما لا يسع جهله، وما يكاد أهل العلم والعوام أن يستووا فيه، لأن كلا كلف كعدد الصلاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وتحريم الفواحش وأن لله حقاً في أموالهم، وما كان في هذا المعنى.

ب - وخبر خاصة في خاص الأحكام: لم يأت أكثره كما جاء الأول (لم يكلفه العامة)، وكلف علم ذلك من فيه الكفاية للقيام به دون العامة، وهذا مثل ما يكون منهم في الصلاة من سهو يوجب به سجود أو لا يوجب، وما يفسد الحج وما لا يفسده، وما يجب الفدية وما لا يجب مما يفعل وغير ذلك

(١) محمد بن علوي المالكي، المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ٥١.

(٢) د. محمد صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه ط ٩ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧ م) ص ١٠.

وهو الذي على العلماء فيه عندنا قبول خبر الصادق على صدقه لا يسعهم رده بفرض الله طاعة نبيه^(١).

الخبر عند علماء البلاغة:

يخضع تعريف علماء البلاغة للخبر لقيود المنطق بصورة أو بأخرى، فإن الكلام إما خبر أو إنشاء:

لأنه: إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخير، وإلا فإنشاء^(٢).

وجاء في حاشية كتاب «التلخيص في علوم البلاغة» هذا التعريف في نفس الصفحة التي ورد فيها التعريف السابق، فالخبر هو:

«القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات».

وقد قيد علماء البلاغة الخبر بكلمة (بصريحه) أو كما نقول نحن (بذاته) لكي يخرجوا من هذا التعريف القرآن الكريم، الذي يفيد في ذاته الخبر الصادق الذي لا يحتمل الكذب. فصدقه مطلق لأنه كلام الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب الخبير بكل شيء.

ومن التحليلات العقلية ذات الدلالة الإعلامية في معنى الخبر ما ورد في شرح السعد المسمى «مختصر المعاني في علوم البلاغة».

«لا شك أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد أمرين:

- أولهما: الحكم.

- وثانيهما: كون المخبر عالماً بالحكم.

وذلك بحسب اختلاف حال المخاطب.

فإن المخاطب:

(١) الحافظ البيهقي، دلائل النبوة، ط ١، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة: محمد عبد المحسن الكتبي) ص ٢٢.

(٢) هلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة (بيروت: ١٩٣٢ م) ص ٣٨.

- قد لا يكون عالماً بمضمون الكلام .

- وقد يكون عالماً به ، ولكنه غير عالم بأن المتكلم يعلمه أيضاً . والمراد بالحكم هنا وقوع النسبة أو لا وقوعها . وكونه مقصوداً للمخبر بخبره لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مراد من قال :

«إن الخبر لا يدل على ثبوت المعنى أو انتفائه (على سبيل القطع) وإلا فلا يخفي أن مدلول قولنا: (زيد قائم) ومفهومه أن القيام ثابت لزيد . وعدم ثبوته له (احتمال عقلي) لا مدلول ولا مفهوم للفظ فليفهم»^(١) .

وهذا البيان البلاغي لمعنى الخبر يضع حداً فاصلاً بين خبر الوحي المطلق الصدق وبين خبر الإنسان الذي يتداوله في البيان والتعبير عما في النفس والحياة والكون .

وللجاحظ في بيان أنواع الخبر بالنسبة لمطابقته للواقع رأي لطيف :

فالخبر عنده ثلاثة أقسام :

١ - خبر صادق وهو ما طابق الحكم فيه الواقع ، مع اعتقاد المخبر له .

٢ - خبر كاذب وهو ما لم يطابق فيه الحكم الواقع مع الاعتقاد .

٣ - خبر غير صادق ولا كاذب . أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد .

أ - لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له . . . فهو الخبر الصادق .

ب - وإما غير مطابق مع الاعتقاد . . . فهو الخبر الكاذب .

ج - والخبر الثالث غير صادق ولا كاذب شعبتان :

١ - مطابق مع عدم الاعتقاد .

(١) التفنازاتي ، مسعود بن عمر بن عبد الله بن سعد الدين ، ٧٩١ هـ شرح السعد ، مختصر المعاني في علوم البلاغة ، ج ١ (مصر : مطبعة محمد صبيح) ص ٧٨

٢ - غير مطابق مع الاعتقاد.

وقد استقرأ السيوطي أنواع الخبر في القرآن الكريم فوجدها على أقسام:

الأول: الأمر: كقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾^(١) والمطلقات يتربصن^(٢).

الثاني: النهي: ﴿لا يمسسه إلا المطهرون﴾.

الثالث: الدعاء: ﴿وإياك نستعين﴾.

الرابع: التعجب: ﴿فما أصبرهم على النار﴾.

الخامس: الوعد والوعيد: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾.

السادس: النفي: ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم﴾^(٣).

أما وقد تعرفنا على مختلف المعاني التي وردت للخبر في شتى فروع المعرفة فلتتخذ ذلك باباً ندخل منه إلى التعرف على معنى الخبر في الدراسات الإعلامية الحديثة، ونتعرف على نظرة الإسلام للخبر، ومصدرية الوحي المحمدي للخبر في الإسلام، وتأثيره ذلك على الدراسات الإعلامية الإسلامية الحديثة.

(١) جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ٢ (بيروت: دار الفکر) ص ٧٦،

ب - طبيعة الخبر في الدراسات الإعلامية

١ - الخبر مظهر لرغبة الإنسان معرفة المجهول، وإشباع حاجته الفطرية إلى المعرفة التي يشعر معها بالأمن، وتساعده على التكيف السوي المتزن مع الظروف التي يعيش فيها. وقد استخدم الإنسان الأخبار لفهم بيئته الطبيعية والبشرية ودراسة مكوناتها وكان لها دور كبير في توجيه سلوكه وتكوين اتجاهاته وتشكيل علاقاته مع الآخرين في جميع العصور.

٢ - والأخبار وسيلة هامة لتعليم الإنسان وإرشاده لإشباع حاجاته الضرورية «ابتداء من قوت يومه إلى (الفيلم) الذي سيرفه عنه في ساعة من ساعات فراغه، وترتبط هذه المطالب والحاجات الضرورية منها والكمالية بأناس كثيرين اكتسبوا أهمية أو شهرة عند (القارئ) لارتباطهم بهذه المطالب والحاجات، وأصبحت أخبارهم جزءاً من اهتمامات (القارئ)»^(١) وأصبح هؤلاء مصدراً لكثير من الأخبار»^(٢).

وهي بهذا المعنى لا تقتصر على كونها مظهراً لإشباع حب الاستطلاع، بل إن الأخبار تحولت لتصبح وسيلة لإشباع الحاجات، وأصبحت حاجة ضرورية في الحياة المعاصرة.

(١) يقصد المؤلف بكلمة (قارئ) المتلقى للرسالة الإعلامية لا خصوص اللفظ وإلا فتأثير الإعلام موجه لمن يجيد القراءة وإلى غيره.

(٢) د. وليم الميري، الأخبار، مصادرها ونشرها، ط ١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨ م) ص ٤.

٣ - وكان أول ما تعلمه آدم عليه السلام من الله تعالى بعد أن سواه بشراً أن ينبيء الملائكة بما علمه ربه جلّ شأنه وألهمه إياه من العلم والمعرفة .

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبثوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (البقرة: ٣٠ - ٣٤) .

٤ - وبعد هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض لبدء واجب الاستخلاف، تتابع خبر الوحي عليه وعلى ذريته وعلى النوع الذي تناسل منه: تعليمًا وهداية واختبارًا وابتلاءً ووعداً ووعيداً وبياناً ونذارة وبشارة . وكلما تباعد الإنسان عن خبر السماء ذكره الله تعالى - خالقه - بالغرض من خلقه ووجوده، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين، داعين إلى عبادة التوحيد، وكانت دعوات جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إخباراً عن ربهم عز وجلّ ليهتدي من كتبت له النجاة ويضل من كانت النار موعده، وكان جوهر عقيدة الرسل واحدة:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٦٣ - ١٦٥) .

﴿ثم أرسلنا رسلنا تترأ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ (المؤمنون: ٤٤) .

٥ - وفي جميع العصور استخدم الإنسان قدراته ومواهبه لاستطلاع

الأخبار والحصول على أحدثها وأكثرها التصاقاً بحياته، والتعرف على ما حوله من الظروف، وسارت هذه العملية في أدوار تتناسب مع تكون ونمو المجتمعات البشرية واتساعها، بل إن الأخبار كانت من أهم العوامل التي ساعدت على تكوين هذه المجتمعات البشرية وتطورها ورفقها حتى وصلت إلى الحالة التي نعيشها في العصر الحديث، وقد شكلت أخبار الرسائل السماوية الحياة البشرية في حضارة لها طابعها المتميز وظل هذا الطابع ما ظلت المجتمعات تحترم أخبار السماء وتصعد لأمر الله، حتى إذا ما انجرفت في تيار التحريف ونست أخبار السماء، وسارت في طريق بعد بها عن عقيدة التوحيد ظهرت المجتمعات اللادينية العلمانية وغيرها من مسميات وظلت أمة الإسلام أمينة على خبر الوحي، وأكرمها الله بواجب البلاغ المبين لتظل دعوة التوحيد وأخبار الوحي، وهدي السماء مناراً يهتدي به من يريد لنفسه النجاة في كل العصور.

وقد أدت عوامل التقدم العلمي وفنون الصناعات، والتطور الكبير في مجال استخدام العلوم في جميع شؤون الحياة، وتشابك الحياة البشرية في كل الأقطار نتيجة لتقدم المواصلات، أدى كل ذلك إلى تطور أجهزة ملاحقة الأخبار في جميع أنحاء العالم نقلاً وإذاعة وتحريراً، حتى بلغ بنو البشر إلى الحالة التي يطلق عليها علماء الإعلام «الثورة الإعلامية» والتي جعلت أستاذ الإعلام المعروف «مارشال ماكلوهان» يقول: بأن وسائل الإعلام الحديثة حولت العالم إلى (قرية عالمية) Global Village^(١) حيث حلت «الاتصالات الثانوية» كالصفحة المطبوعة والراديو والتلفزيون والفيلم محل «الخبرة الأولية» للإنسان وساعد كل هذا على تحويل النظام الاجتماعي إلى مجتمع جماهيري. وأصبحت وسائل الإعلام «لا تقوم فقط بترشيح خبرة الإنسان عن الواقع الخارجي وإنما تساعد أيضاً على تشكيل تلك الخبرة فهي التي تقول

(١) د. جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ط ٣ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م) ص ٣٧٩.

للفرد: من هو؟ وماذا يريد أن يكون؟ وكيف يستطيع أن يظهر كذلك أمام الآخرين وتمده برصيد ضخم من المعلومات عما يحدث في العالم»^(١).

٦ - ونضرب مثلاً للتقدم الكبير في صناعة الأخبار، بالتقدم الذي تم في طباعة الصحف من بعد: «فإن أكثر من مائة دار صحفية في الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم في الوقت الحالي حاسبات (إلكترونية) للحاجات المباشرة المتصلة بإنتاج صحفها، ففي مجال صف الحروف أمكن بفضل استخدام أشرطة الورق المثقوب إعطاء الأمر لآلات بصف الرصاص وسبكه عن بعد، وتستخدم هذه الطريقة لصف حروف جريدة أمريكية تطبع في باريس هي «الأنترناشيونال هيرالد تريبيون»^(٢).

بل طورت صناعة الأخبار في اليابان طريقة فريدة أكثر إثارة، «ففي اليابان حيث لا توجد مشكلة ضبط الأسطر المطبعية لأن الكتابة اليابانية تسمح بوضع نفس عدد الرموز في السطر الواحد فإن جهاز - كونجي - ينقل الأخبار رأساً على آلة (المونوتيب) مجموعة بالحروف اليابانية ومعدة للطبع. ولكن أعظم تقدم في هذا المضمار هو الاستنساخ طبق الأصل الذي يسمح بتصوير صفحة كاملة من جريدة على بعد. فثمة جهاز مزود بخلية كهربائية تقرأ لنص، وتحول كل نقطة منه إلى إشارة كهربائية، ثم بوساطة الموجات الدقيقة ترسل الصفحة كاملة من (طوكيو) إلى (سابورو) بجزيرة (هوكايدو) الواقعة على مسافة ألف كيلو متر، وذلك بعد بضع دقائق من تجهيزها في طوكيو، ويتم طبع الصورة محلياً بفضل نص صفت حروفه وأخرج عن بعد، وتستخدم هذه الطريقة جريدة «آشاي شيبوم» وغيرها من صحف اليابان»^(٣).

(١) وليام ريفرز وآخرون: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة دكتور إبراهيم إمام (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٥ م) ص ٣٥٨.

(٢) د. خليل صابات: الصحافة مهنة ورسالة، سلسلة كتابك، رقم ٣٧. (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٧ م) ص ٢٧.

(٣) د. خليل صابات، الصحافة مهنة ورسالة، ص ٤٦.

٧ - ثم إن الإنسان مفطور على سنة التدافع : وينشأ عن ذلك مظاهر الصراع والتقاتل ، والغزو ، وتشابك في مظاهر الصراع الأحداث التي يجد الإنسان رغبة عارمة في ملاحقتها وتتبع أخبارها ، لما لها من علاقة مباشرة ببقائه وأهدافه وآماله وآلامه ، ويواجه في سبيل ذلك صعوبات وربما أخطاراً ، ولا يشيه ذلك عن طلب الأخبار ونقلها وفي كثير من الكتب الإعلامية والمطبوعات قصص كثير من مراسلي الصحف الذين تعرضوا لهذه الأخطار ، وفقد كثيرون منهم حياتهم في سبيل ملاحقة ونقل الخبر .

٨ - وقد سارت الأبحاث والدراسات العلمية الإعلامية في خط موازٍ للتقدم الذي حصل في ميدان الوسائل والآلات ، وفي مجال تطور الخدمات والوظائف الإعلامية ، وظهرت نظريات كثيرة في تفسير الاتصال وشرحها ودراستها وصفيّاً وكميّاً ، وفيما يتعلق بالأبحاث الخاصة بالخبر ظهرت مشكلة تحديد مفهوم الخبر الإعلامي ، ونتجت مشكلة التعريف نتيجة لتأثر العاملين في ميدان صناعة الأخبار إما بوجهات نظر ثقافية خاصة ، أو لأنها نابعة من ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه ، أو لأنها تصدر من محصلة التجارب الميدانية ، أو نتيجة لحصرها في اتجاه تحقيق أغراض معينة من الخبر .

ويتراوح تعريف الخبر - في كتابات غير المسلمين أو من تأثر بهم من الكتاب المسلمين - بين عبارات لا تحمل قيمة علمية تذكر ، وبين أفكار قيمتها صادرة من واقع التجربة العملية والممارسة الطويلة للعمل الإعلامي وخاصة في مجال الإعلام المطبوع ، أو لأن قيمتها تبدو بالنسبة للمجتمع الذي ينتمي إليه الباحث حتى إذا ما خضع لنقده بمنهج الإسلام وجدته إما متناقضاً مع هذا المنهج أو قليل الأثر في حياة المجتمع الإسلامي الذي نسعى جاهدين لتأصيل الدراسات الإعلامية لتركز على الدعائم الأساسية لحياة الأمة التي ينتمي إليها .

ومن المفيد أن نستعرض بعض التعريفات الخاصة بالخبر عند غير المسلمين :

- عرفه (ماك إيوان): الذي كان محرراً في صحيفة سان فرانسيسكو
إكزامنر تعريفاً غريباً: «Gee WHiz!».

«فهو أي شيء يجعل القارئ يقول: (جي وز)^(١) ولم أجد ترجمة لهذه
العبارة، وربما كان قصد الكاتب أن الخبر هو كل شيء مثير للاستغراب
والدهشة كالتعريف نفسه.

- أما (تينر كاتلج): المدير السابق للنيويورك تايمز فيعرف الخبر
بقوله: إن الأخبار هي أي شيء تجد اليوم أنك لم تكن تعرفه من قبل^(٢).

- تعريف تشالز دانا: إن الخبر هو كل ما يهم الجماهير العريضة من
الناس^(٣) ويلفت أنظارهم.

- تشيلتون بوش: أن الخبر هو تقرير عن حادث يستطيع القارئ^(٤) أن
يفهمه.

- تعريف كيرتس ماك دو جال: إن الخبر هو تقرير عن أحداث يجد
الصحفي الممتاز أنها صالحة للتحرير والنشر^(٥).

- تعريف و. كامبل: الخبر تقرير عن فكرة أو حادث أو صراع له صفة
الحالية أو الجدة ويهم المستهلكين (القراء)^(٦).

- والأخبار هي كتابة الأدب في عجلة وهي تاريخ الغد^(٧).

- الخبر هو سرد صحيح موقوت لأحداث وكشوف وآراء وأمور من أي

George A. Hough 3 rd, *Wews Writting* (Boston, Michigan State University, (٢، ١)
1975) P. 3.

(٣) دكتور إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٧٢ م) ص ٩٥.

(٤) دكتور إبراهيم إمام نفس المرجع ص ٩٥.

(٥، ٦) د. إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي، ص ٩٥.

(٧) Laurance. R Campbell and Roland Wolseley, *How to Reportand Write The*
Wews, (N. J U.S.A: Prentice-Hall inc., 1961) P. 4.

نوع تؤثر في القراء أو تثير اهتمامهم .

- وهو كل ما يحدث من أمور وكل ما توحى به الأحداث وكل ما يترتب على مثل تلك الأحداث .

- الخبر سرد لعلاقات المرء المتغيرة .

- الخبر سرد لأحداث وقعت فعلاً وغيرت حالة قائمة أو أذرت بتغيرها .

- الخبر حادث ينشئ تغييراً أو اضطراباً له عاقبته في المجتمع^(١) .

وقد جمع أحد الباحثين المسلمين في كتاب له ظهر حديثاً مائة تعريف للخبر وأكملها إلى مائة وواحد بتعريف من عنده^(٢) .

ويعرف الخبر بأنه :

«وصف موضوعي دقيق تطلع به الصحيفة أو المجلة قراءها في لغة سهلة واضحة وعبارات قصيرة، على الوقائع والتفاصيل والأسباب والنتائج المتاحة والمتابعة لحدث حالي أو رأي أو موقف جديد لافت للنظر، أو فكرة أو قضية، أو نشاط هام، تتصل جميعها - بمجتمعهم وأفراده وما فيه أو بالمجتمعات الأخرى، كما تساهم في توعيتهم وتثقيفهم وتسليتهم وتحقق الربح المادي لهم» .

وتميز جميع التعاريف السابقة بين مفهومين في دراسة الخبر وهما : الحدث والخبر .

فالحدث : هو ما ينشأ عن تفاعل العلاقات الطبيعية والبشرية من ظواهر في إطار إرادة الله وقضائه .

(١) ستانلي جونسون وجوليان هاريس ، استقاء الأنباء فن ، ترجمة وديع فلسطين (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠) الصفحات ٣٥ - ٥٢ .

(٢) د . محمود أدهم ، فن الخبر ، ط (القاهرة : مطابع دار الشعب بالقاهرة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ص ٤٢ .

والخبر: هو تقرير موضوعي عن هذه الظواهر أو تسجيل أمين لها يصاغ في قالب تعبيرى رمزى في إطار عملية الاتصال البشرى ليحقق التكيف المطلوب لهذه الظواهر استجابة لنداء الفطرة.

وتتفق جميع التعاريف على خصائص ثابتة للخبر الإعلامى هو:

١ - أن الخبر قصة أو تقرير أو تسجيل يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر بواسطة وسائل نقل الأخبار وهي بهذا المفهوم رسالة: المرسل فيها هو المحرر الذي يضعها في رموز وقد يستخدم الصور والمستقبل يكون إما قارئاً أو مشاهداً أو مستمعاً.

٢ - أن الأخبار تسجيل لفكرة أو حادثة أو مشكلة. وتزودنا الأفكار والحوادث والمشكلات بمادة الأخبار وبما أن هذه الأمور مستمرة ودائمة، فإن الأخبار لأرتباطها بها تعتبر تياراً مستمراً.

٣ - أن الأخبار تقرير عن شيء واقعى وحقيقى وليست أمراً شاعرياً إذ أن المرسل أو المحرر أو الكاتب باحث عن الحقيقة، ويعرف العاملون في صناعة الأخبار جيداً قولاً مشهوراً وهو: «أن الوقائع ليست هي الحقائق» لأن الحقيقة يمكن الوصول إليها عن طريق استدلال منطقي للوقائع^(١).

ومهمة المحرر أن يحصل على المواد الحقيقة التي يفصلها عن الوقائع.

٤ - الأخبار تيار: إن الأخبار (موجبها وسالبها) تنتمي إلى الحاضر، وتمتد قليلاً في الماضي والمستقبل، وهي إنتاج قابل للتلف، إذ أن الأفكار والحوادث والمشاكل قد تصبح تاريخاً بعد لحظة من وقوعها، والأخبار لا تحدث في فراغ، ولكنها تحدث في عالم تعيش فيه، ولا يمكن فصلها عن البيئة والظروف التي أنتجتها.

٥ - أن الأخبار تهتم الناس: فاهتماماتنا تنمو من خلال واقعنا العضوي

Laurence R. Campbell and Roland E. Wolseley, ibid P. 6 and Roland E. (١) Wolseley.

والثقافي لتواجه حاجاتنا، والأخبار ذات صلة أكيدة بهموم الناس وتتولد من حاجاتهم وأوجه نشاطهم.

والخلاصة أن الأخبار تسجيل لتيار من الأفكار والحوادث والمشكلات التي تثير اهتمام الناس ومن عناصرها:

١ - الحداثة أو الآنية.

٢ - القرب.

٣ - الحجم.

٤ - الفائدة أو المصلحة الشخصية.

٥ - الأهمية السياسية.

وقد نصح جوزف بولتزر - أحد الناشرين في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر الميلادي - نصح موظفيه العاملين معه، بأن يبحثوا عن القصص التي تتصف بأنها:

١ - واقعية.

٢ - مثيرة.

٣ - متميزة.

٤ - ملهبة للخيال.

٥ - غريبة.

٦ - مثيرة لحب الاستطلاع.

٧ - ذات قيمة^(١).

وقبل أن نعرض لتصورنا للخبر الإعلامي أرى أنه من المفيد أن نتأمل الخصائص (الذاتية الأصلية للحدث) (والصفات المرغوب فيها) كما حددها كاتبان أميركيان في كتاب لهما ترجم إلى العربية:

George A. Hough 3 rd. ibid P. 2 Wews Writing P. 2 1975.

(١)

خصائص ذاتية أصيلة للحادث :

- ١ - الصراع (التوتر والدهشة).
- ٢ - التقدم (الفوز وإحراز النجاح).
- ٣ - الكارثة (هزيمة ودمار).
- ٤ - العاقبة (نتائج سلبية).
- ٥ - الشهرة (تبريز).
- ٦ - الجدة (ما يخرج عن المألوف وحتى ما يكون مألوفاً إلى أبعد حد).
- ٧ - الزاوية الإنسانية (الملابس العاطفية).

صفات مرغوب فيها:

- ١ - ارتهان الخبر بالوقت.
- ٢ - أن يتعلق الخبر بأمور قريبة.
- ٣ - الجنس.
- ٤ - الحيوان^(١).

إن ما سبق عرضه عن دراسة لطبيعة مفهوم الخبر في الإعلام الحديث جاء منسجماً تماماً مع مناهج الإعلام اللاديني الذي صد عن خبر السماء، وأغلق قلبه وعقله وأجهزة إدراكه عن نداء الفطرة في داخله، وارتضى مناهج زينت له لعلها تغنيه عن خبر السماء، ولما كانت النتائج تأتي نتيجة منطقية للمقدمات الفكرية، فإننا نجد التخبط الواضح في مفاهيم الخبر ومن ثم التعامل في ميدان الأخبار، ولو صدر القول والعمل عن منهج فكري صحيح ثابت أصيل، لما وجدنا هذه الكثرة من الآراء في النظرة إلى شيء واحد، ولما كان من منهج الإسلام أن يرد الكثرة والتعدد إلى الواحد، والتخبط إلى الانسجام والوضوح، والتناقض إلى التناغم والوحدة، سواء في مجال الاعتقاد أو القول والعمل.

(١) ستانلي جونسون وجوليمان هاريس، مرجع سابق، ص ٥٢.

فكذلك الأمر في كل ميدان إنساني، وميدان الدراسات الإعلامية جزء منه، ودراسة الخبر أهم جانب يجب أن يُرشد به منهج الإسلام ويوجهه في الاتجاه الصحيح، ويوظفه التوظيف السليم، ويستغله كوسيلة للدعوة إلى الله ونشر عقيدة التوحيد في عالم تسربت إليه عقائد الجاهليين، وأصبح للكفر والإلحاد فيه دول تدعو علانية له، وتنشره جهاراً، ولم يبقَ إلا أمل واحد للإنقاذ والنجاة، وهو دعوة الإسلام، ومنهجه في الإعلام، ونظريته في الخبر.

إن الخبر في الإسلام لا ينفصل عن وظيفة البلاغ المبين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتميز هذا الخبر بخصائص تميزه عن الخبر في مناهج البشر، وهذه الخصائص هي التي تعطيه قيمته المتعالية على غيره من فنون الخبر البشري، وأول هذه الخصائص أنه لا يرتبط بقيمة بشرية نسبية، بل إن قيمته تنبع من كونه تعبيراً عن قيم مطلقة في حياة المجتمع المسلم والبشر أجمعين.

ويمكننا أن نحدد مستويين للأخبار في ضوء منهج الإسلام:

١ - المستوى الأول الأخبار ذات الأهمية المطلقة وهي التي تتعلق بالعقيدة وما تفرع عنها من أنواع العبادات والأوامر والنواهي وما جاء في الكتاب والسنة.

٢ - الأخبار ذات الأهمية النسبية وهي الأخبار التي تنتج من حياة الناس ومن تشابك مصالحهم، وهي وإن كانت نسبية في أهميتها بالنسبة للنوع الأول لكن المنهج الذي نقيسها عليه مستمد من العقائد المطلقة القيمة.

وعلى ذلك نجد أن محور الجهاز الأخباري للفرد والمجتمع المسلم مستمد من أصول الإسلام، ومحكوم بضوابط الدين، وليس أمراً اختيارياً يجدف فيه العقل البشري بلا ضابط ولا نظام، إن الخبر في الإسلام قديمه جديد، وجديده يقاس على قديمه، والقديم والجديد كل موحد، لترشيد الفكر والسلوك وهداية الإنسان.

ويمكننا في ضوء ذلك أن نحدد تصوراً إسلامياً للخبر الإعلامي : لا مجارة لمناهج الدراسات العلمانية ولكن تحديداً متميزاً منطلقاً من منهج مستقل :

فالخبر الإعلامي تصوير واقعي وموضوعي لحدث تخضع عمليات نقله ونشره أو إذاعته لمعايير الأولويات الفكرية للأمة الإسلامية، ويكتسب قيمة علمية وخلقية تؤثر في توجيه السلوك الفردي والاجتماعي نحو الحق، في إطار العبودية الحققة لله وحده والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض وله خصائص البلاغ المبين .

وهذا التصور يثبت للخبر في الإسلام بعدين :

البعد الأول : يربطه بعقائد الأمة ومصادر فكرها التي ارتضاها لها خالقها جل شأنه في الكتاب والسنة وعقائد السلف الصالح ، تلك العقائد التي صلح بها حال أول الأمة ولا يمكن أن يصلح حال آخرها إلا بها .

البعد الثاني : يفرض على الأمة أن تتقبل بشجاعة تحديات عصرها وهي أمة البلاغ المبين وتقوم بواجبها لنشر الهدى، والدعوة إلى الحق بكل الأساليب، وفي جميع الميادين وميدان الأخبار - حيث انتشر الفساد والضلال - هو من أعظم هذه الميادين .

إن أمة الإسلام هي الأمة الوحيدة التي يمكن أن تصوغ منهجاً إعلامياً في التعامل بالخبر بوصفه أحد وسائل الدعوة إلى الله ومحاربة الرذيلة والتحلل، وأن لا تنساق مدفوعة بمركبات النقص المادية والعلمية وراء من سبقها من الأمم بل تظل متمسكة بأصالتها لا تنسى لحظة القيام بواجبها وتحمل تبعاته .

ولا يمنع أبداً أن تظل حريصة على أسباب قوتها الفكرية وتميزها في الفكر الإعلامي ذلك التميز الذي يتخذ خبر الوحي قاعدة ومنهجاً، ولا يجب أن ينجرّف مفكرو الإسلام وعقلاؤه وراء دعاوي التطور والتغير فيتصور أن هذه

المفاهيم تنسحب على العقيدة الإسلامية أو على شرائع الإسلام، ويخلطوا بين التطور في الوسائل والأدوات والأجهزة وبين إمكانية التطور في العقائد والشرائع.

والمجالات الإعلامية، وأجهزة التعامل مع الخبر بالذات توشك أن تنزلق إلى هذه المحاذير، فإذا أردنا المحافظة على الأصالة في الفكر والاعتقاد وبالتالي الأصالة والتميز في السلوك والممارسات فليبقَ لخبر الوحي احترامه، وليظل قاعدة للخبر في الإسلام فكراً وممارسة وليس مجرد (شعارات) وواجهات إعلامية تستغل في المناسبات، ومن هذا المنطلق ننظر إلى الوحي باعتباره مصدراً للخبر في العهد المدني وفي كل عهد وفي كل زمان ومكان، مصدراً للخبر الإعلامي الإسلامي، وقاعدة تقاس عليها أخبار المسلمين.

ج - الوحي مصدر الخبر في الإسلام

١ - إن الوحي مصدر للخبر، ففي أي نظام إعلامي يوجد مصدر للرسالة .

والخبر هو جوهر هذه الرسالة فأياً كان مضمون الرسالة وبأي شكل يتم نقلها أو تبليغها فإنها في حد ذاتها خبر بصورة أو بأخرى من صور الأخبار فالمصدر يصوغ الرسالة الإعلامية في قالب رمزي يمكن فهمه من المستقبل والمستقبل يستجيب للرسالة الموجهة إليه .

٢ - «ويتفق خبراء الإعلام على أن الإعلام إنما هو «رسالة» بما ينطوي عليه هذا التعبير من شعب مترابطة :

- جهة البث والإرسال .

- وجهة التلقي والاستقبال .

- وموضوع البث أو محتوى الرسالة .

- وحامل الرسالة .

والإسلام بطبيعته . وبمقياس هذا المفهوم المتفق عليه رسالة إعلامية بالمعنى العلمي للتعبير .

فالله سبحانه هو المرسل : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ (البقرة :

١١٩) .

- والناس هم جهة التلقي والإرسال ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سبا : ٢٨) .

- والحق مضمون الرسالة ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾
(الإسراء: ١٠٥) (١) ..

- وحامل الرسالة هو رسول الله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ (المائدة: ٦٧).

ومصدر الرسالة الإعلامية الإسلامية بشعبها الأربعة السابق بيانها: هو الله سبحانه وتعالى الذي ميز هذه الأمة بالوحي وسيلة اتصال متعالية، ونقصد بالوحي: أركان الظاهرة كلها كما اتفق علماء الأمة:

١ - ملك الوحي: جبريل عليه السلام.

٢ - وكتاب الوحي: القرآن الكريم.

٣ - وعملية الوحي ذاتها: أي الإعلام في سرعة وخفاء.

فهذه الظاهرة: أكمل عملية اتصال حفظت تفاصيلها وتواترات أخبارها واستقرت في وجدان الأمة وفكرها بشكل عام وفي عقيدة أفرادها على مدى الأجيال فيما يطلق عليه الشيخ محمد الغزالي: بتواتر التواتر.

«إن ثبوت القرآن الكريم عن طريق التلقي والتواتر والاستفاضة هو أحد طريقتين يظاهر أحدهما الآخر ويقويه وإن كان الطريق الأول أشهر.

أما الطريق الثاني فهو الكتابة» (٢).

٣ - «إن الوحدات الأساسية في أي رسالة إعلامية تتمثل في المعلومات والحقائق والأفكار وعناصر الأحداث وما إلى ذلك مما يكون مادة الخبر ومضمونه، ثم تأتي المرحلة التالية لاستقاء الأخبار وهي مرحلة صبها في

(١) زين العابدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية، بحث مطبوع ضمن كتاب (الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية) (النظرية والتطبيق) الطبعة الأولى.

(الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٣٩٩ هـ) ص ٢٩٨ ، ٢٩٩.

(٢) محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ط ٤، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) ص ٣٣.

الرموز اللغوية في قالب إعلامي يتمثل شكل الرسالة التي يستقبلها القارئ أو المستمع أو المشاهد»^(١).

ترسم لنا العبارة السابقة تصوراً لطبيعة الرسالة الإعلامية في كتابات المفكرين الإعلاميين المحدثين، ولا يمكن مقارنة هذا التصور بما ارتبط بظاهرة الوحي في الإسلام من مضامين إعلامية لها من القدسية ما لحقائق الدين وأصوله، غير أنه لا بد أن نعترف بأن هذه المضامين هي من وظائف الوحي الأسائية التي تفسرها وظيفة الرسول ﷺ في الدعوة والصدع بالأمر والبلاغ المبين، وفي إصراره الدائم على أن يكون له حق الاتصال بالناس بحرية، ذلك الحق الذي أمر المسلمون بأن يقاوموه بالقوة ومن قبل ذلك تحملوا صنوف العذاب والتشريد في سبيل نيله.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز شارحاً الهدف من تخوف قریش من الدعوة الجديدة:

«لا ريب أن هذه الحملات كلها لم تكن موجهة إلى شخص النبي وأصحابه فقد كانوا من قبل تعطفهم عليهم أرحامهم، وتحبيبهم إليهم مكارم أخلاقهم كما أنها لم تكن موجهة إلى القرآن في الصدور ولا في داخل البيوت، فقد قبلوا منهم أن يعبد أمرؤ ربه في بيته كيف يشاء، إنما كانت مصوبة إلى هدف واحد ومقاومة لخطر واحد هو إعلان هذا القرآن ونشره بين العرب، ولا جرم كان الطريق الوحيد عندهم لمقاومته هو الحيلولة بمختلف الوسائل بين هذا القرآن وبين الناس مهما كلفهم ذلك من تضحية»^(٢).

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قریشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» (رواه أبو داود).

(١) د. عبد العزيز شرف: فن التحرير الإعلامي.

(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص

(٢) د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٨٨.

٤ - أن القرآن الكريم : كلام إلهي صيغ في لغة بشرية .

- وطريقة الإعلام به مما ألفه البشر .

- والأخبار التي جاء بها هي مما تمس حاجة البشر إليه في دنياهم وآخرتهم .

- والمكلف بتبليغ الرسالة بشر قبل كل شيء .

- والرسالة الإسلامية هدفها إعلام البشر .

- وأساليب الإقناع هي نفس الأساليب المناسبة لفطرة الإنسان .

- صحيح أن مقاييس الكمال في بناء القرآن بلاغة وإعجازاً : مقاييس فوق طاقة البشر، لأن هذا خاص بالقرآن الكريم كمعجزة دائمة شاهدة على صدق الصادق المصدق .

- وصحيح أن أساليب الوحي في نقل الخبر وتبليغه ليس مما ألفه البشر في عمليات الاتصال . . لأن ذلك من خصائص الذات المحمدية في الاتصال بالله سبحانه وتعالى .

- وصحيح أن الأخبار القرآنية، وبناء العلم القرآني ذات خصائص متعالية على أخبار وعلوم البشر، إلا أن الوحي بهذه الخصائص المتعالية في أركان الرسالة الإعلامية، هو مصدر العلم والخبر في الإسلام، وهذا من فضائل هذه الأمة الباقية لها على مدى الأزمان، ومن مظاهر تكريم الله تعالى لأمة الإسلام أن جعل أخبارها العظمى نابعة من مصدر عقيدتها، وليست وسائل لبناء هذه العقيدة، فالبناء الفكري للأخبار جاهز وكامل، ويهدف هذا البحث إلى محاولة أن تكون البداية الفكرية والتصورات الأولية لعمليات الاتصال، متمثلة بالوحي فلا يهتم المسلم إلا بالقضايا الإعلامية التي يضبطها خبر الوحي وقيمه، بدلاً من التشبه بالكفار .

٥ - وفي مناهج الإعلام العلماني الوضعي لا يتفق باحثان في دراسة الخبر على تحديد طبيعته، ويمكننا أن نقول أن هناك عدداً من التعريفات

للخبر بعدد ما يوجد من باحثين وعاملين في ميدان الدراسات الإعلامية، أو العمل الإعلامي، ويرجع ذلك إلى صدور هذه التعريفات عن فكر ذاتي محض وليس عن فكر ملتزم بمنهج عام وثابت.

أما مفهوم خبر الوحي فهو أمر ثابت ينبع من مصدرين أساسيين:

الأول: حقائق الدين وعقائده وشرائعه.

الثاني: الأخبار التي كان ملك الوحي يبلغها للرسول ﷺ في مراحل نشر الإسلام، وفي مواقع الصدام بين جماعة الإيمان وجماعات الكفر، وفي جميع جوانب العمل والبناء في الدولة الإسلامية في دورها المدني.

وهذان المصدران متلازمان بشكل كامل. ويعالج البحث النوع الثاني من أخبار الوحي التي كانت تبلغ لرسول الله ﷺ طوال العهد المدني وفي جميع تفاصيل الوقائع والأحداث، حيث لعبت الأخبار دوراً بالغ الأثر في تاريخ الدولة الإسلامية الأولى.

بعدان للخبر في الإسلام:

كل من عَرَفَ الخبر من غير المسلمين لا يرى له إلا بعداً واحداً وهو علاقته بالحدث ومظاهر الصراع ومتغيرات الحياة أو الطبيعة، بحيث يجد ضرورة في نقلها مدفوعاً بأغراض تختلف من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر.

أما في الإسلام فللخبر بعدان:

البعد الأول: أخبار الوحي بوصفها مصدر العقائد والشرائع وذلك باعتبار ما ورد في الكتاب والسنة عن النفس والسلوك والخلق والسنن الإلهية والمعاملات والعلاقات وأخبار الأنبياء وأمهم، والجنة والنار، والسموات والأرض - اعتبار كل ذلك أساساً فكرياً لأية معرفة ضرورية عن أي موضوع من هذه الموضوعات ودور المسلم في ذلك هو التلقي والاتباع.

البعد الثاني: ربط الحوادث الجزئية بالكليات العامة للدين، لأن أخبار

الوحي تقدم للمسلم أكمل منهج في تحري وفهم وتفسير الأخبار، منهجاً يربط تفاصيل الحياة اليومية بقواعد وأصول ثابتة، ويدمج دمجاً مثالياً وواقعياً بين شؤون الدنيا والآخرة، وهذا البعد يجعل أخبار الإعلام الإسلامي بالضرورة مختلفة عن أخبار أي جماعة بشرية أخرى، لأن كثيراً من الأخبار التي قد تهم البعض لا يرى فيها المسلم خبراً يستحق حتى مجرد القراءة أو الاستماع.

إن الوحي مصدر للخبر - ليس بمعنى الوحي الاصطلاحي فحسب - ولكن بمعناه الإعلامي أيضاً، ولا تلتزم بمفهوم الخبر في الإعلام التقليدي، بل ننظر إلى الخبر بالمفهوم الإسلامي الذي يثبت له بعدين، بعداً ثابتاً ثبات عقائد وحقائق الدين، وبعداً متغيراً في إطار القاعدة الشرعية: قاعدة الأخذ بالأسباب، وهذا البعد الأخير أعطى لنا رسول الله ﷺ فيه أعظم قدوة، في تلقي الخبر وتحريه وتحليله وملاحقته والرد عليه... بوسائل تناسب مقام النبوة وبشكل يتفق مع مهمة التلقي والبلاغ، مما جعل الخبر الإعلامي في الإسلام يختلف عن أي مفهوم وضعي أو علماني للخبر، إن الواقع ليس حجة على الإسلام، بل إن الإسلام جاء ليغير دائماً واقع الإلف والعادات السيئة والعقائد المرتبطة به، التي تنشأ عن التحريف والبعد عن منهج الله، والتباعد عن دعوة التوحيد الخالص تحت دوافع الهوى أو العصبية أو المصالح الشخصية أو الجهل أو الغفلة أو أي شكل من أشكال الصدود عن المنهج القويم الذي حدده الكتاب والسنة.

بعض الشواهد على كون الوحي مصدراً للخبر في الإسلام:

وكما أن الخبر الإعلامي في الإسلام يستمد قيمته من بعده السابق بيانها، ويكتسب قيمته وتميزه وتفرد من خاصية انتماؤه إلى عقيدة قديمة ثابتة قدمها وثباتها سر عظمتها وهيمتها، وتعاضم قيمته في تعبيره عن عقيدة التوحيد التي تجمع كل دعوات الأنبياء، ومن علاقته بالرسالة الخاتمة، وبالكتاب الذي تعهد الخالق جل شأنه بحفظه وصيانتها من التحريف والتغيير.

لكل ذلك فإن الخبر الإعلامي في الإسلام يستند إلى حقائق فكرية وظواهر تميزت بها الرسالة الخاتمة، وتعتبر هذه الحقائق شواهد على اعتبار الوحي مصدراً للخبر الإعلامي الإسلامي ومنها:

أولاً: نزول القرآن منجماً:

فعلى غير العادة في نزول الكتب السماوية، نزل القرآن نجومياً على الحوادث والوقائع والمناسبات، وفي ذلك حكمة بالغة، ودلالة إعلامية يتفرد منهج الإعلام الإسلامي بها مؤيداً بكتابه الكريم وسنة نبيه العظيم، فقد كانت الحقيقة تذاق في أبنائها لا تتقدم ولا تتأخر، وتقرأ الآية فتحس كأنها نزلت لتوها، وقد أفاض العلماء في حكمة التنجيم، وخلاصة ما توصلوا إليه:

١ - أن نزول القرآن منجماً فيه تسلية وتثبيت لقلب النبي ﷺ.

٢ - أن التنجيم فيه إمعان للتحدي والإعجاز.

٣ - مناسبة الآيات للوقائع والأحداث.

٤ - لتيسير حفظ القرآن وفهمه وتطبيقه وتيسير ذلك على النبي ﷺ وعلى صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

٥ - التدرج في التربية والتشريع.

وهذا لعمرى هو غاية ما يهدف إليه أي عمل إعلامي في كل زمان ومكان من حيث الهدف والوسيلة المثلى لبلوغ الرسالة الإعلامية غايتها في التأثير الكامل الدقيق، ولا عجب فإن أعلم العلماء بالنفس البشرية ووسائل توجيهها وتقويمها وإرشادها هو خالقها جلت قدرته.

وخاصية تنجيم القرآن الكريم تفضيل لأمة الإسلام وتشريف لها من خالقها العظيم سبحانه وتعالى.

أخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة» ثم قرأ: «ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً وقرآنأ»

فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً وأخرجته ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره:

فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث لهم جواباً^(١).

ونقل السيوطي في الاتقان عن أبي شامة في كتابه (المرشد الوجيز) في حكمة نزول القرآن منجماً:

١ - قيل السر في إنزاله جملة إلى السماء تضخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قريناه إليهم لتنزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفزقاً - تشریفاً للمنزل عليه.

٢ - قال الحكيم الترمذي: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد ﷺ: وذلك أن بعثة محمد ﷺ كانت رحمة فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن فوضع بيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا ووضعت النبوة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة ثم بالوحي كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله إلى الأمة.

٣ - قال السخاوي في «جمال القراء»: في نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له. قال: وفيه أيضاً التسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى

(١) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ١ (بيروت: دار الفكر) ص ٤٢.

عليه السلام في إنزال كتابه جملة والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجماً ليحفظه^(١).

ثانياً: علم أسباب النزول القرآن قسماً:

قسم نزل ابتداءً. وقسم نزل بعد حادثة أو سؤال. ويعطي القسم الأول للخبر الإسلامي انتماؤه وعمقه وتميزه أما القسم الثاني من القرآن فهو الذي ظهر من أجل دراسته علم أسباب النزول، وهو علم له قيمته العظمى للدراسات الإعلامية، وخاصة في إظهار قاعدة جليلة من قواعد الإعلام وهي: إذاعة الحقيقة في إبانها «إذ أن الحالة النفسية المهيأة وظروف الزمان والمكان المؤاتية مناخ إعلامي لبث الآراء والمعلومات والأفكار وترويج السلع ورجل الإعلام الناجح هو الذي يدرس اللحظة وينظمها في سياق التأثير والإقناع، لا تتقدم ولا تتأخر، بل تحرى الوقت الملائم لإذاعة الحقيقة، كما يفعل المؤذن وهو يتحرى وقت الصلاة فإذا حان رفع صوته بالأذان، وإذاعة الحقيقة في إبانها في الإعلام الإسلامي تستمد من أسباب النزول معناها وعمقها، ففي الوقت المناسب كان القرآن يتنزل فيتصل الآن بالحدث الذي تشكل اللحظة الراهنة وعاءه الزمني فيقرر الحقائق ويعالج المشكلات ويجب على الأسئلة»^(٢).

وعلى طرق نزول خبر الوحي في الكتاب والسنة في الوقائع والمناسبات، ومن القواعد الإعلامية التي أصلها الوحي في تنزله، نعتمد استخلاص خصائص الخبر الإعلامي في الإسلام.

ثالثاً: ربط واجب البلاغ والأخبار برغبة الإنسان الفطرية في المعرفة:
ففي مواضع كثيرة في القرآن الكريم نجد العلاقة المنطقية (يسألونك:

(١) السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ٤٢.

(٢) منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (بحث لزين العابدين الركابي) ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

قل) أو (يسألونك : فقل).

وتناولت الموضوعات التي وردت في هذه العلاقة المنهجية جميع ما يشغل الفكر الإنساني أو كل ما يهم الإنسان في دنياه وأخراه، وتتسع مساحتها لتستغرق عالم الشهادة وكل ما أراد الله للإنسان أن يعرفه عن عالم الغيب.

ونستعرض الآن بعض الموضوعات التي تناولتها هذه الصيغة الإخبارية في التبليغ بحقائق الدين وإعطاء معلومات وأخبار عن عدد هائل من القضايا:

١ - ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ * قل: هي مواقيت للناس والحج ﴿الآية (البقرة: ١٨٩).

٢ - ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ * قل: ما أنفقتم من خير فللوالدين ﴿الآية (البقرة: ٢١٥).

٣ - ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ * قل: قتال فيه كثير ﴿الآية (البقرة: ٢١٧).

٤ - ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ * قل: فيهما إثم كبير ﴿الآية (البقرة: ٢١٩).

٥ - ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ * قل: العفو ﴿الآية (البقرة: ٢١٩).

٦ - ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ * قل: إصلاح لهم خير ﴿الآية (البقرة: ٢٢٠).

٧ - ﴿يسألونك عن المحيض﴾ * قل: هو أذى ﴿الآية (البقرة: ٢٢٢).

٨ - ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ * قل: أحل لكم الطيبات ﴿الآية (المائدة: ٤).

٩ - ﴿يسألونك عن الساعة آيان مرساها﴾ * قل: إنما علمها عند ربي ﴿الآية (الأعراف: ١٨٧).

١٠ - ﴿يسألونك عن الأنفال * قل: الأنفال لله والرسول﴾ الآية (الأنفال: ١).

١ - ﴿يسألونك عن الروح * قل: الروح من أمر ربي﴾ الآية (الإسراء: ٨٥).

١٢ - ﴿يسألونك عن ذي القرنين * قل: سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ الآية (الكهف: ٨٣).

١٣ - ﴿يسألونك عن الجبال - فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ الآية (طه: ١٠٥).

وتأتي صيغة الأمر من الفعل (قال) لتوضح أن الأخبار عن هذه القضايا المطروحة لا دخل لعلم الرسول ﷺ فيها كما ورد الجواب عليها في القرآن الكريم، وأن دوره لا يتعدى مجرد التبليغ والإعلام فهي وحي من الله سبحانه وتعالى.

بل نقراً صيغاً أخرى من الفعل (سأل) يوجه فيها الأمر إلى النبي ﷺ: (بأن يسأل هو ابتداء) لا على سبيل أن يزداد معرفة من السائل. وإنما على سبيل تأكيد الحقائق الواردة في سياق الآيات:

١ - ﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ الآية (يونس: ٩٤).

٢ - ﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ الآية (الإسراء: ١٠١).

٣ - ﴿واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ الآية (الزخرف: ٤٥).

ويوجه الخطاب إلى جماعة المؤمنين بضرورة طلب العلم والخبر من أهله:

- ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣)، والأنبياء:

(٧).

رابعاً: معنى الوحي وطبيعته وطرق تنزله:

أكبر شاهد على أن الوحي مصدر للخبر الإسلامي:

فالوحي في اللغة: «الإعلام في سرعة وخفاء».

جوهر الإعلام نقل الخبر وتبليغه والتعليم به. وطبيعة القرآن الكريم والحديث الشريف تبرهنان على مصدرية الوحي للخبر، بل إنه يجب أن يتخذ مصدراً وحيداً للخبر في الإسلام وكل ما يحدث من عزوف عن هذه القاعدة إنما هو خروج على القاعدة الشرعية وانحراف عن منهج الله.

وهذه المصدرية لا تتعارض مع التصور الذي أوردناه للخبر الإعلامي الإسلامي ببعديه الثابت والمتغير بل نحن مأمورون بنص خبر السماء أن نلتمس أسباب القوة (مطلق القوة) المعنوية والمادية لإعلاء كلمة الله ونصرة الحق ونشر النور الذي جاء به رسول الله ﷺ.

د - بعض خصائص خبر الوحيّ

تمهيد:

تباين المعتقدات والنظم عند البشر، وتتفاوت القيم، نتيجة لتباينهم عن خبر السماء... وينعكس هذا التباين والتفاوت على الفكر والعمل الإعلامي. ونرى مظاهره في تسخير الأخبار لتحقيق غايات ضيقة تخدم الهوى، أو المصالح المادية، أو الانتصار لأفكار ومعتقدات تقوض دعائم حياة الإنسان.

وفي مثل هذه الأجواء الإعلامية يتطلع المرء إلى معايير الخبر في الإسلام. وإلى خصائص خبر الوحي، لعله يستهدي بها في الدراسة والفكر، وتكون دليلاً لمن ينشد الحق.

ونظراً لأن معايير استقاء الأنباء ونشرها وتحريرها تخضع لمقاييس إعلامية حددها أناس بعيدون عن منهج الله، ومنهم من هو منكر لمبدأ الألوهية، ويعملون على هدم شرعه، وتعطيل منهجه. وهذه المعايير تتناقض مع منهج الإعلام الإسلامي:

كان لزاماً علينا استقراء خبر الوحي - قاعدة الخبر في الإسلام - للتعرف على خصائصه وأبعاده، ورغم أن الإحاطة بكل هذه الخصائص أمر فوق مستوى الإدراك البشري - فقد سبقتنا أجيال من علماء الأمة من السلف الصالح كان الواحد منهم جامعة تتحرك على الأرض ولكنه ينهي شروحه وتفسيره أو فتواه بالجملة المأثورة عنهم «والله أعلم» ونقول نحن أيضاً والله أعلم... غير

أن الدراسات الإعلامية تحديات فرضت نفسها على فكر الأمة وحياتها في هذا الزمان، ولذلك فإننا نتلمس خصائص المنهج الإعلامي وخصائص الخبر في إطار هذا المنهج من منبع الفكر وبواعت العمل في الإسلام: «الكتاب والسنة».

ومن الملفت للنظر أن جميع الأبحاث الإعلامية غير الإسلامية التي تدرس الخبر تسهب في شرح القيمة الإعلامية له وتؤكد على عناصر: كالموضوعية والصدق والحياد الإعلامي والدقة والوضوح والابتعاد عن الرأي والهوى، وتحبذ خصائص معينة في استقاء ونقل وتحرير أو إذاعة الأخبار وتضع مواصفات في بناء الخبر من الناحية الشكلية وتطنب في ضرب الأمثلة وتأليف المعادلات وعمل الجداول التوضيحية.

ولكن الممارسة العملية للعمل الإعلامي لاتباع هذا المنهج تظهر المسافة البعيدة بين ما يؤكد هذا المنهج، وبين الواقع، إذ تظل في أجهزة الإعلام الفرصة متاحة لكثير من مظاهر الضلال، وما ذلك إلا لأن نقطة الانطلاق في العمل الإعلامي لا تصدر من أساس منهجي سليم.

صحيح أننا نلاحظ أن أجهزة الإعلام تحاول أن تكتسب ثقة المشاهد أو القارئ أو المستمع، وأن تجعل من نفسها واسطة أمينة بينه وبين العالم الخارجي، وأنه نتيجة لذلك ينظر إلى أجهزة نقل الأخبار ونشرها، على أنها وسائل ضرورية تؤدي خدمة ووظيفة هامة، خاصة في المجتمعات الحديثة، ولكن في ضوء المنهج الإسلامي فإن الكثير مما تقدمه هذه المؤسسات غثاء لا غناء فيه، ومن هنا نحاول أن نقن معايير خبر الوحي باستقراءها في الكتاب والسنة لتكون نموذجاً فكرياً يحتذي به في صياغة الخبر والتعامل معه كشكل من أشكال العبادة التي يرجى بها مرضاة الله وإصلاح أمور العباد وترشيد سلوكهم وخدمة الحق ونشر الفضيلة.

ومن خصائص خبر الوحي أنه:

أولاً: خبر موحد.

ثانياً: خبر حق .

ثالثاً: خبر معجز .

رابعاً: خبر تعليمي .

خامساً: خبر باقي الأثر .

سادساً: خبر حاسم ولا يتقيد بزمان أو مكان . .

أولاً: خبر الوحي: خبر موحد

«وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»
(الأنبياء: ٢٥).

«لا إله إلا الله» جوهر خبر الوحي، وقاعدة الإسلام وذروة سنامه . . تلك
الفكرة الأولية البسيطة، السهلة الإدراك، وذلك الخبر الثابت المتواتر في تاريخ
الرسالات.

فكرة التوحيد: أول خصائص خبر الوحي، وجوهر هذا الخبر، ومصدر
أصالته على جميع الأخبار في جميع الأديان والعقائد . . فكل دين أو مذهب
أو عقيدة، تبدأ بخبر أولي هو الفكرة المركزية، والبداية الفكرية المنهجية،
لهذه العقيدة. والعقيدة الإسلامية - باعتبار الإسلام دين جميع الرسل، وشعار
الأديان السماوية - بدأت بخبر (لا إله إلا الله) لتبني عليها منهجاً كاملاً وشرعاً
ثابتاً غير متناقض.

ومن هذا الخبر الأولي البسيط، تنطلق الجوانب الاعتقادية والتعبدية في
حياة الفرد المسلم، والأمة المسلمة، وعليه يعتمد بناء الفكر والأخلاق، الذي
يوحد بين الحياة الدنيا والآخرة. ويربط بين السبب والنتيجة، بين العمل
والحساب والجزاء، بين قوى الإنسان الروحية والمادية، ويوجهها في إطار
العبودية الخالصة لله تعالى في الطريق السوي الصحيح، الذي رسمها لها
الخالق جلّ شأنه.

ومن فكرة التوحيد، تصدر كل الخصائص الأخرى للمخبر في الإسلام،

فخبر التوحيد الخالص يكون حقاً وصدقاً وثابتاً وأميناً وواقعياً ومنطقياً وموضوعياً. وكذلك الإنسان المؤمن بخبر الوحي - مرسلأ أو مستقبلاً - لا شك أنه متصف بهذه الصفات، إذا التزم بمقتضيات عقيدة التوحيد وشروطها لأنه يربط في عمله وقوله. بين حياته وحركته، وبين تقوى الله سبحانه وتعالى.

وعظمة منهج الإسلام، تأتي من هذه الفكرة الأولية البسيطة، «فكرة التوحيد». وفي المقابل فإن ضعف الخبر العلماني اللاديني وتأثيراته السلبية مصدرها جرح التوحيد الخالص أو عدم إعطاء «لا إله إلا الله» حقها وما تقتضيه.

ويطرد في منهج القرآن سياق ثابت لإثبات التوحيد، وبطلان أي شكل من أشكال الاعتقاد، الإلحادي أو الفوضوي أو التبريري. وهذا السياق القرآني يتناغم في جميع السور والآيات بل في أجزاء الآيات، وفي جميع أشكال الخبر، كالقصص القرآني وأخبار الأنبياء وأمهم، والأمثال والوقائع ورصد الأحداث.

وتسير السيرة النبوية في هذا السياق، في صمود وتحدي بطوليين لا نظير لهما في مواجهة معتقدات الجاهليين، ليس في زمن الرسالة الخاتمة فحسب بل وفي كل زمان ومكان، حيث تتعدد أشكال الجاهلية والضلال وإن اختلفت المسميات، فهي واحدة في جوهرها والحق واحد ثابت في مواجهة هذه الأشكال الجاهلية.

- ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ (البقرة: ١٦٣).

- ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾ (الزخرف: ٨٤).

- ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ (محمد: ١٩).

وخبر التوحيد هو دعوة جميع الرسل إلى أقوامهم:

- ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله

غيره﴾ (الأعراف: ٥٩).

- ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾
الآية (الأعراف: ٦٥).

- ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾
الآية (الأعراف: ٧٣).

- ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾
الآية (الأعراف: ٨٥).

وخبر التوحيد هو ميراث النبوة كذلك، اتخذ له يعقوب عليه السلام
العهد والميثاق من بنيه عندما حضره الموت:

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي﴾.

﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً
ونحن له مسلمون﴾ (البقرة: ٣، ١٣).

وهذا الميراث وكل ما تفرع منه من علوم وثقافة ومظاهر حضارة،
أصبحت أمة الإسلام أمانة عليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومع تعدد المناهج الإعلامية وتشعب الدراسات المتعلقة بفنون الخبر
وعلموه وطرق جمعه وإعداده وتقديمه يظل خبر الوحي الذي جوهره التوحيد.
خبراً مهيمناً ببساطته ووضوحه متحدياً جميع أشكال الضلال ظاهراً عليها إلى
يوم الدين.

ثانياً: خبر الوحي: «خبر حق»

﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ (آل عمران: ٦٢).

وفي جوهر الحق يكون الوضوح والنزاهة والعدل، وكل صفات الكمال
التي أرادها الله سبحانه وتعالى لمنهجه الإعلامي في الكتاب الكريم وفي سنة
نبيه.

والحق يكون صادقاً أبداً: ولا يجادل عاقل نزيه في أن ما جاء به القرآن الكريم والسنة المشرفة وهما خبر الصادق المصدوق ﷺ عن ربه: أكمل الشرائع وأعلاها في تناسبها مع حياة البشر في كل زمان ومكان، وفي انسجامها مع عقيدة البعث والحساب وهي جزء أساسي من العقيدة الإسلامية.

وخبر الوحي حق لأن مصدره الحق جلّ شأنه، ومكانة الخبر تعلو بعلو مكانة مصدره، ومن عناية الله سبحانه وتعالى بعباده أنه جلّ شأنه - خلقهم ولم يتركهم هملاً، بل اقتضت حكمته أن تترى رسله ينشرون الحق ويبشرون به كلما ران على قلوب بني البشر، ويندرون من يصدف عنه تكبراً وعناداً:

- ﴿يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا بالحق من ربكم﴾ (النساء: ١٧٠).

- ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ (البقرة: ١١٩).

والذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، يعلمون أن القرآن حق وأن الرسول حق، ولكنهم يعاندون وينكرون:

- ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ (البقرة:

١٤٤).

ومن أشد مظاهر التناقض والجهل عند المشركين وكفار مكة وظلمهم لأنفسهم أنهم كذبوا بالقرآن مع علمهم أنه لا عهد لهم بما جاء به من الآيات والشرائع والأخبار والبلاغة اللغوية:

- ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾ (الأنعام:

٦٦).

- ﴿ويستنبئونك أحق هو: قل: إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾

(يونس: ٥٣).

وأخبار الوحي دائماً تتلى بالحق:

- ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ (المائدة: ٢٧).

رغم وضوح الحق وبيان منهجه فإن من طبيعة الجاهلية المجادلة

والمداواة الخبر الحق .

- ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت﴾
(الأنفال : ٦) .

ومن الصفات اللصيقة باليهود والخصائص المتأصلة فيهم مجافاة الحق
وتكذيب من يخبر به وحتى قتلهم الأنبياء بغياً وعدواناً على حدود الله :

- ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم
تعلمون﴾ (آل عمران : ٧١) .

- ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ (آل
عمران : ١١٢) .

ولا يستوي من يتبع الحق ويصدق به ومن يضل ويعمى عن سواء
السبيل :

- ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ (الرعد :
١٩) .

وخبر الوحي الحق يستند إلى الحقيقة الدينية المتأصلة في الجنس
البشري ، ويقدمها بشكل ينسجم مع أصولها الثابتة في الديانات السماوية قبل
أن يجنح أهلها إلى تحريفها بدافع العصبية أو الجهل أو الهوى .

«ولقد ركز القرآن على هذه الفكرة تركيزاً كبيراً وأكد صراحة أن جميع
الأنبياء أمة واحدة ومجتمعة تحت لواء الله تبارك وتعالى ، وأن هذه الوحدة
كانت تجمع سائر الناس فيما مضى ، وإنما الأجيال اللاحقة هي التي بذرت
الخلاف والفرقة»^(١) .

- ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا * فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ (البقرة : ٢٥٣) .
- ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾ (يونس : ١٩) .

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص ٧٢ .

ويعرض القرآن بطريقته المنطقية هذه الحقيقة الأزلية: حقيقة أن للكون إلهاً حقاً ويقدم الأدلة المنطقية المتفقة مع أصول الفطرة السليمة في الإدراك ويعمل على إزالة العمى الفكري، وتنشيط الوجدان، وتحريك القدرات والاستعدادات العقلية التي يدرك الإنسان بها هذه الفكرة الأولى.

ويرسم في تقديمه لهذه الحقيقة. خطوات منهج متوازن وسط بين الفكر المتوكل والعقل النشط الذي يأخذ بالأسباب دونما سيادة لهذين القسمين في عملية الإدراك أحدهما على الآخر، ويتدرج هذا المنهج بأسلوب تربوي دلالة تنجيم القرآن الكريم، ووفق خطة مسبقة دلالتها وحدة الآيات والسور القرآنية رغم أن أكثر السور لم تنزل دفعة واحدة، وهذه الحقيقة أدركها وبيّنها ذوو الاختصاص في العلوم القرآنية.

وعرض هذه الحقيقة الأزلية من الناحية الشكلية أيضاً مظهر من مظاهر الإعجاز، بالإضافة إلى جوهرها البسيط المنسجم مع أوليات الفكر، ونداء الفطرة، وانسجامها وتطابقها مع الحقيقة المركزية في كل الأديان السماوية قبل التحريف.

وارتباط الحقيقة العقلية المنطقية في خبر الوحي يرتبط ارتباطاً شديداً بالحقيقة الجمالية التعبيرية المتمثلة في مظاهر الإعجاز البياني والبلاغي وهو ما نعرضه في الخاصية التالية.

ثالثاً: خبر الوحي: خبر معجز

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ (الإسراء: ٨٨).

يُنظر إلى التحليل الإعلامي للخبر من زاويتين:

الأولى: الإطار التعبيري الذي صيغت به الحقائق والمعلومات ونقلت به الوقائع والأفكار ما يطلق عليه الإطار الرمزي أو (الكود).

الثانية : مضمون الخبر أو ما يعبر عنه بالقيمة الإعلامية .

وهذه الأخيرة ترتبط بعوامل منها^(١) :

١ - القرب المكاني أي مدى علاقة الحدث أو الخبر بالمكان الذي يوجد فيه المستقبل للرسالة الإعلامية .

٢ - الجودة الإنسانية : أي العناصر الجديدة التي جعلت للحدث أو الخبر قيمة متميزة على غيره من الأحداث .

٣ - الضخامة : أي قدرة الحدث أو الخبر على جذب انتباه أكبر عدد من الناس .

٤ - الشهرة : أي علاقة الحدث بالأشخاص أو الأشياء أو الحوادث الشهيرة بالنسبة للفرد والجماعة المتلقية للرسالة الإعلامية .

٥ - الدلالة الإعلامية : أي مدى تأثير المادة الإعلامية في مراكز اهتمام الناس في جماعة ما والدلالة الإعلامية هي «أساس الانتقاء، من الكم الغفير من القصص والأحداث التي تصل إلى وسائل الإعلام حيث لا تتوفر المساحة أو الوقت لإذاعة كل ما يصل إليها»^(٢) .

هذا إجمال لتقييم الخبر في الدراسات الإعلامية وهذه القيم أو المقاييس غير ثابتة، تتغير بتغير الظروف العلمية والاجتماعية والفكرية التي يعيشها العمل الإعلامي في زمن ما .

أما خبر الوحي فهو خبر متفرد بخصائص الإعجاز ولا ترتبط قيمته بمجرد مقاييس إعلامية وضعية بل هو أصل يقاس عليه ويهتدى به، ويتخذ حجة للدلالة على النبوة المحمدية، وعلى قضايا العقيدة الكبرى كالتوحيد بأقسامه،

(١) عبد العزيز شرف: مرجع سابق، الصفحات من ١١٦ إلى ١٢٦ نفس المرجع ص ١٢٦ .

(٢) نفس المرجع السابق .

والحساب والجزاء والمعاد والجنة والنار وعذاب القبر وغيرها من العقائد الإسلامية.

ومن الزاوية الإعلامية العلمية فإذا جاز استقراء مظاهر الإعجاز في خبر الوحي نستهدي في ذلك بالأبحاث الإسلامية القيمة التي درس أصحابها من علماء الأمة الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية وعلى رأسهم الباقلاني والجرجاني وغيرهم كثيرون.

وفي كل عصر ظهر من علماء الأمة الإسلامية علماء وجهوا النظر والفكر إلى أنواع الإعجاز القرآني، وإلى خصائص البلاغة النبوية، فأصبحنا نعلم الآن: الإعجاز البياني والبلاغي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التجريبي، والإعجاز في مجال الدعوة، والإعجاز التاريخي، وغير ذلك من أشكال الإعجاز مما يتفرد به خبر الوحي في الكتاب والسنة تفرداً يبعث الثقة في نفس المؤمن ويربطه برباط متين من العقائد الثابتة القوية.

وكان القرآن معجزة الرسول ﷺ وبرهان نبوته: قال تعالى:

﴿الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (إبراهيم: ١).

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة»^(١).

وقال تعالى:

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (التوبة: ٦).

«فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون

(١) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، ط ٤، تحقيق السيد أحمد صقر، ١٩٧٧، ص ٩.

حجة إلا وهو معجزة»^(١)

وقد لاحظ القاضي الباقلاني في إعجاز القرآن مفارقة بين القرآن وغيره من الكتب السماوية فقال:

«فبان بهذا أو بنظائره ما قلناه من أن بناء نبوته ﷺ على دلالة القرآن ومعجزته.

وصار له من الحكم في دلالاته على نفسه وصدقه: أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء، لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد عليها ووصف منضاف إليها، لأن نظمها ليس معجزاً، وإن كان ما تتضمنه من الأخبار عن الغيوب معجزاً»^(٢).

وقد ورد الدليل على الإعجاز في القرآن الكريم في صيغة تحدٍ للعرب وغيرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله وبقي هذا التحدي قائماً ولم يأت أحد منهم ولا جماعة بمثله، وكان تركهم للإتيان بمثله دليل عجزهم وقصورهم:

فقد «تحداهم إليه حتى طال التحدي وجعله دلالة على صدقه ونبوته ضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا إلى تخلص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عادتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال وإكثار المراء والجدال وعن الجلاء عن الأوطان وعن تسليم الأهل والذرية للسبي»^(٣).

وقد أجمل القاضي الباقلاني وجوه الإعجاز القرآني فيما يأتي:

١ - الأخبار عن الغيوب.

(١)

(٢) الباقلاني، المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٠.

٢ - أن النبي ﷺ كان أمياً وقد أتى بجمل ما وقع من عظيـمات الأمور منذ خلق الله تعالى آدم إلى حين مبعثه .

٣ - أن القرآن الكريم بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

٤ - أن أساليب القرآن الكريم تبين الفصاحة ويخرج معها الكلام عن حد العادة وتجاوز العرف .

٥ - أن نظم القرآن خرج عن عادة الجن والإنس في بلاغته .

٦ - أن القرآن الكريم يفوق في أقسام الخطاب كالـبسط والاختصار والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح عما ألفته العرب في الفصاحة والإبداع والبلاغة .

٧ - أن أساليب عرض الشريعة والأحكام والرد على الملحدين مما يتعذر على البشر ويمتنع .

٨ - دقة نظمه وسلاسة عباراته .

٩ - فواتح السور بحروف الهجاء ليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

١٠ - سهولته والبعد عن الصنعة والتكلف والغرابة وجعله قريباً إلى الإفهام معناه لفظه إلى القلب^(١) .

ونختتم هذه الخاصية في إعجاز القرآن الذي هو دلالة على إعجاز الخبر في الإسلام بدلالة الكل على الجزء . . . نختتم هذه الفقرة بعـبارة للدكتور محمد عبد الله دراز: موضعاً مميزة لغة القرآن وهو ما يمكن تسميته بالإعجاز الشكلي أو التعبيري :

«فلغة القرآن مادة صوتية تبعد عن طراوة لغة أهل الحضر وخشونة أهل البادية، وتجمع تناسق حكيم بين رقة الأولى وجزالة الثانية، وتحقق السحر

(١) الباقلاني، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٤٧ .

المنشود، بفضل هذا التوفيق الموسيقي البديع بينهما»^(١).

«إنها ترتيب في مقاطع الكلمات في نظام أكثر تماسكاً. من النثر وأقل نظماً من الشعر يتنوع في خلال الآية الواحدة ليجذب نشاط السامع، ويتجانس في آخر الآيات سجعاً لكي لا يختل الجرس العام للوقوفات في كل سورة. أما كلماته فمنتقاه من بين الكلمات المشهورة دون أن تهبط إلى مستوى الدارج ومختارة من بين الكلمات السامية التي لا توصف بالغريب إلا نادراً»^(٢).

رابعاً: خبر الوحي : خبر تعليمي

﴿إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾
(القلم: ٣ - ٥).

بدأ التعليم بالخبر من اللحظة الأولى التي نزل فيها الوحي على الرسول ﷺ وهو معتكف يتحنث في غار حراء. ثم توالى نزول القرآن الكريم نجوماً على الحوادث والأيام وتوالى على جماعة الإيمان في مكة ثم في دار الهجرة النوازل والأحداث، ومن خلال حمأة الصراع واحتدامه بين جماعة الحق وشراذم الباطل، وكلما دعت الحاجة إلى خبر السماء، ومست إلى تشريع يضبط حركة الفكر والقول والعمل في الجماعة وفي شخصية الفرد المؤمن، جاء القرآن الكريم تتوالى سوره وآياته، بل وأجزاء آياته حتى انتظم عقده واكمل منهجه وتم الدين.

والصفة التعليمية للخبر في الإسلام وطيدة الصلة بمنهج المعرفة والتفكير السديد المستند إلى الكتاب والسنة، فأول ما يحرص عليه القرآن الكريم والسنة المشرفة هو ترشيد الفكر. وتسديد القول وضبط إيقاع حركتهما في إطار العبودية لله تعالى ومن ثم ترشيد العمل في إطار الدعوة لله والجهاد في سبيل نشر كلمة الله.

(١، ٢) الدكتور محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص

والعلم والمعرفة في الإسلام يعتمدان على مصدرين :

١ - مصدر الغيب: الذي يقدم للمسلم مدركات يحدد طبيعتها، بل ويصف تفاصيلها، ويعطي معلومات وافية كافية، تربط المسلم دائماً بالغيب الذي يحس بالرغبة العارمة في التطلع إليه.

وإذا جاز تحليل العنصر الزمني نقول: إن عناية الله بالإنسان أن يجعله يدرك الإبعاد الثلاثة للزمن (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، ومنحه من الاستعدادات العقلية ما يتمكن بها من إدراك هذه الأبعاد، فالتذكر للماضي والإدراك الحسي والقدرات العقلية للحاضر والمستقبل يمكن إدراكه بما يطلق عليه علماء النفس بالتخيل أو الخيال أو الإبداع، ولو أنه إدراك غير تام إلا أن هذه القدرة تربط بين عناصر الإدراك في الماضي والحاضر، وتصوغ صوراً لا وجود لها في خبرات الإنسان ولكنها يمكن أن تتحقق في تالي الزمان.

ولذلك فإن مظهراً عظيماً من مظاهر الإعجاز في الكتاب والسنة: الإخبار بما سيقع من أحداث كانت جزءاً من عالم الغيب زمن الأخبار بها، وأصبحت حاضراً وواقعاً لحظة وقوعها، فبالنسبة لعملية الإدراك يتم إدراك هذه الأحداث بخصائصها كجزء من عقيدة ثابتة تؤمن بصدق المخبر بها إيماناً لا لبس فيه، وهذه من ألصق خصائص الإعلام بالخبر في الإسلام، فإن للخبر بهذه الصفة قوة العقيدة الثابتة بل هو العقيدة الثابتة نفسها.

وستظل هذه الأحداث تتوالى في توقيت غيبي، هو جزء من عقيدة المسلم الذي ارتضى الله رباً والإسلام ديناً ومحمداً رسولاً.

وهذه المعرفة الغيبية التي مصدرها الكتاب والسنة لا شك أنها تعطي للإنسان المسلم قيمة متفوقة، فعلم مصدر المعرفة، وارتباطه بهذا المصدر في اليوم والليلة بمظاهر تعبدية تستغرق حياته، يرفع من مستوى فكره وحياته، فوق مظاهر الحياة الخادعة ويجعله دائم التطلع إلى مستويات أرقى من الفكر والقول والعمل، حتى يلقي الله وهو عنه راضٍ.

٢ - مصدر عالم الشهادة: وهو العالم الخارجي المنفصل عن الذات، وهو الذات عندما تصبح موضوعاً للإدراك، ويقدم القرآن الكريم منهجاً للمعرفة الكاملة التي تربط بين الإنسان والكون الذي يعيش فيه برباط الإيمان وبالخالق، ويتدرج بالعقل البشري نحو إمكانيات الإدراك في حدود ما أودع الله في الإنسان من استعدادات ومواهب ويسير هذا المنهج في مراحل^(١):

أ - مرحلة النظر إلى المادة في ذاتها وإلى ذات الشيء موضوع النظر:

- ﴿قل أنظروا ماذا في السموات والأرض﴾ (يونس: ١٠١).

- ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض

شقاً﴾ (عبس: ٢٤ - ٢٦).

ب - مرحلة النظر إلى كيفية خلق الشيء.

- ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من

فروج﴾ (ق: ٦، ٧).

- ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي﴾ (ق: ٦، ٧).

- فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ (الروم: ٥٠).

- ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً﴾ (الفرقان: ٤٥).

كانت المرحلة الأولى مطلق النظر وفي المرحلة الثانية قيد النظر

بالكيفية.

ج - مرحلة النظر في كيفية بدء الخلق:

- ﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده﴾ (العنكبوت: ١٩).

(١) بتصرف عن محاضرات غير مطبوعة في مناهج الإعلام، لزين العابدين الركابي - قسم الإعلام الإسلامي ويعرف المعهد حالياً بكلية الدعوة والإعلام المحاضرة بتاريخ

١٤٠٠/٦/١٥ هـ.

- ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

د - مرحلة النظر إلى مراحل وأطوار النشأة والخلق:

- ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ (نوح: ١٤).

- ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾

(الزمر: ٦).

- ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار

مكين﴾.

- ﴿ثم خلقنا النطفة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾

(المؤمنون: ٥٩ - ٦٤).

هـ - مرحلة النظر إلى درجة الصنع والانتقان:

- ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم: الذي خلقك فسواك

فعدلك﴾ (الانفطار: ٦، ٧).

- ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

- ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد﴾ (الأنعام: ١٠١).

- ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد: ٨).

- ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ (القمر: ٤٩).

ولكن ما الذي يريد الوحي بخبره من المؤمن أن يتعلمه؟

هذا السؤال يقودنا مباشرة إلى الحقائق المنهجية في الإعلام الإسلامي

ومن بين هذه الحقائق أصل عظيم هو «التعلم عن طريق الحدث».

فالحقائق والعقائد لم يتعلمها المسلم من الوحي.

كشكل من أشكال الثقافة الكمالية، أو الآداب أو الخلاصات الفكرية،

ولكنها حقائق جاءت في سياق أحداث جسام زاهرة برائحة الدماء وصليل

السيوف وغبار المعارك ومن هذه العقائد الحية:

«عقيدة القضاء والقدر» :

«القضاء والقدر عند عامة المسلمين هو تبرير للكسل والقعود وأحجام عن المقاتل والأهوال أما في القرآن فقد قدمها وعلمها للرسول ﷺ وللصحابة من خلال واقع علمي حسي وأحداث مزلزلة فيها دم وفيها موت واستشهاد وهناك في هذا الجو الواقع الحي تعلم المسلمون حقائق القضاء والقدر»^(١).

المثال الأول من غزوة بدر: تعليم المسلمين أن قضاء الله نافذ لا محالة :

- «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» .

- «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وأن الله لسميع عليم إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكمهموا كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور» (الأنفال: ٤٢ ، ٤٣) .

المثال الثاني : من غزوة الخندق: تعليم المسلمين أن الفرار من الموت المكتوب أمر مستحيل وأن إرادة الله نافذة :

غزوة الأحزاب تزلزل فيها المسلمين وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .

- «ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً * قل لن يتفعلكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة * ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً» (الأحزاب: ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

(١) زين العابدين الركابي، محاضرات غير مطبوعة في مناهج الإعلام قسم الإعلام الإسلامي - المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض المحاضرة بتاريخ ١٤٠٠/٢/٢١ هـ.

هذه نماذج توضح منهج الخبر في تعليم الحقائق وتثبيت العقيدة في الفرد وجماعة المؤمنين وهو أسلوب فذ لعقيدة فذة .

خامساً: خبر الوحي : خبر باقي الأثر ولا يتقيد بزمان أو مكان

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبأ: ٢٨) .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧) .

فإطلاق النص في توجيه الرسالة للناس بالبشارة والنذارة ولفظ «كافة» في الآية الأولى وكلمة «للعالمين» في الآية الثانية فيها دلالة على مغايرة الرسالة المحمدية لكل ما سبقها من رسالات وأنها رسالة عامة . . وعمومها لا يقتصر على توجيهها إلى الناس في عصر ما بل إلى عموم الناس في كل زمان ومكان وإلى الثقلين: الجن والإنس .

وهذا يفهم من قول الله تعالى :

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ (آل عمران: ٨٥) .

فإطلاق اسم الشرط (مَنْ) وكلمة النفي (لَنْ) التي تنسحب على المستقبل كما تشمل الحاضر، الذي نزل فيه القرآن، ومن الدلالات القاطعة على أن القرآن الكريم والرسالة المحمدية يتوجه فيها الخطاب والأمر والبشارة والنذارة لكل الناس في كل زمان ومكان .

ومن خصائص خبر الوحي أيضاً أن أثره الذي يترتب عليه، يصبح حكماً، وقاعدة شرعية، وحجة ملزمة على البشر دون أن ترتبط بحادثة أو واقعة معينة وإنما ارتبط الخبر بالحدث ارتباط مناسبة النزول مما يتناسب مع منهج القرآن في التربية والدعوة والإعلام .

ولهذا السبب فإن الدلالة الإعلامية لأخبار الوحي على تعدد صيغها تظل منبعاً للإلهام ومصدراً للتوجيه، ومنهجاً يرسم للمسلم تفاصيل حياته في الدنيا لتحسن عاقبته في الآخرة .

سادساً: خبر الوحي : خبر حاسم

﴿إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل﴾ (الطارق : ١٣ ، ١٤).

وخاصية الفصل في خبر السماء تأتي من كونه كتاب مهيم ناسخ لكل ما قبله من الشرائع والأديان فحكمه هو الحكم ، وأمره لا تعقيب عليه وكانت هذه الحال حال الرسول ﷺ مع ربه جل شأنه فكثيرة هي الوقائع والأحداث التي نزلت بالرسول ﷺ وتلفت يمتناً ويسرة وقد تألب عليه الأهل وقلاه الأقران والأقارب فما كان يخالجه أدنى شك في أنه نبي مرسل مكلف بالندارة والبشارة والبلاغ ، وأن ربه معه في كل شأنه ، وأن دينه الذي يبشر به سيظهر على جميع الأديان ويزلزل أركان الطغيان إلى يوم الدين .

وكانت في وقائع السيرة أحداث تراوح حسم الخبر لها بين العتاب وبين التهديد الشديد للنبي ﷺ أو للجماعة المؤمنة .

ومن هذه المواقف ما حدث في غزوة تبوك عندما أذن الرسول ﷺ لبعض من أستاذنه في القعود فنزل في ذلك قوله تعالى :

- ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ .

- ﴿وتعلم الكاذبين﴾ (التوبة : ٤٣) .

ومنها قوله تعالى :

- ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك﴾ (أول سورة التحريم) .

- ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

- ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما ءتوا﴾ لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (التوبة : ١١٣) .

ومن الوقائع ما تم حسمها بعتاب قاس وتعنيف شديد ومثاله في غزوة بدر عندما قبل الرسول ﷺ من أسرى المشركين الفداء فنزل على الفور قوله

تعالى في سورة الأنفال:

﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا﴾.

﴿والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (الأنفال: ٦٧، ٦٨).

«وأنت لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع العتاب عليها لوجدتها تنحصر في شيء واحد وهو أنه عليه السلام إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثماً، اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه، وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء وعن إثارة الشبه في دين الله» وكل ذنبه «أنه مجتهد بذل وسعه في النظر ورأى نفسه مخيراً فـ«تخير»^(١). ولكنه خبر الوحي الحاسم لا مجال فيه للمجاملة أو التسويف بل يأتي الحكم لبنةً في بناء صرح العقيدة متزامناً مع سبب نزول الآيات.

وقد يأتي الحسم بعد مدة من وقوع الحادثة كما حدث في حديث الإفك وكما سيأتي بيانه في مكان لا حق من هذا البحث.

سابعاً: خبر الوحي: (خبر خفي)

وهذه الخاصية من واقع طبيعة الوحي كاتصال بين الرسول ﷺ جل شأنه وكدليل إعجاز وبرهان على نبوته ﷺ.

وفي حالات خاصة كان ملك الوحي ينزل في صورة إنسانية، ولكن حقيقته كمعلم ومبلغ لم تكن لتعرف إلا بعد انصرافه كما حدث في حديث جبريل المشهور الذي صدر به الإمام البخاري رحمه الله كتابه الجامع، وكما حدث عقيب غزوة الأحزاب وتوجه المسلمين إلى بني قريظة.

(١) د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٢٦.

ومن دراسة طرق تنزل الوحي من واقع الأحاديث الصحيحة يتبين المسلم كثيراً من التفاصيل المتعلقة بالوحي وخصائصه، ويكتشف جملة من الحقائق التي عايشته هذه الظاهرة الفريدة التي ارتبط تاريخها. بحياة جيل كامل من الأمة، وبقيت آثارها ونتائجها هدياً كاملاً، ومنهجاً عظيماً وشرعاً سماوياً وطيد البنیان.

الفصل الثالث

دراسة في الحدث

(أحداث حَسَمَهَا خبر الوحي)

١ - حديث الإفك وفضح المنافقين .

٢ - التوبة على الذين خلفوا .

١ - حديث الإفك وفضح المنافقين^(١)

تمهيد

المنافقون:

لا تكاد سورة من القرآن المدني تخلو من ذكر المنافقين تلميحاً أو تصريحاً، وقد نزلت سورة كاملة خاصة بالمنافقين تكشف دسائهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين واللؤم والجبن.

وهؤلاء المنافقون، جماعة كانوا يظهرون الإسلام، ويبطنون الشرك وكان رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج، وكانت أمراض قلوبهم وتغلب نزعة الكفر في باطنهم تعلو روابط الجاهلية والعصبية، على الروابط الجديدة التي جاء بها الإسلام، فكان سلوكهم نابعاً من دوافع لا تمت للإسلام بصلة، رغم أنهم كانوا يقومون بأركانه ولكنهم كانوا أحياناً يستغلون الظروف الحرجة التي تمر بالنبي ﷺ وبالمسلمين فيعلنون عما انطوت عليه نفوسهم من النفاق، ويتخذون هذه الظروف حجة وذريعة.

(١) النفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج منه من آخر، وهو مشتق من (نافقاء) اليربوع، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به والمنافق هو الذي يستركفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقاً... والنافقاء إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه، فإذا أتى من قبل (الصاقعاء) وهي جحرة الأصلي - ضرب النافقاء برأسه فانثقب أي خرج. النفاق: فعل المنافق (ابن منذر لسان العرب، جزء ١٢، صفحة ٢٣٧).

غير أن نفاقهم الظاهر في كثير من الظروف كان واضحاً للرسول ﷺ وجماعة المؤمنين، فكان هذا لا يزيدهم في أعين المؤمنين المخلصين إلا مقتاً وفضيحة وحرماً. وكان القرآن الكريم يلاحق مواقف النفاق فيكشفها ويفضح أصحابها ويحدد صفاتهم حتى أنه يتعرض لصفاتهم الجسمية وخصائصهم النفسية إلى جانب كشفه عن خصائصهم في العقيدة وأساليب التعبير.

ولم تقتصر ظاهرة النفاق على عهد الرسالة الخاتمة بالمدينة المنورة ولكنها أصبحت شعاراً يتميز به كل من لا يَصْنُقُ فعله قوله. في أمور العقيدة والسلوك ومجالات الحياة المختلفة في كل عصر وفي كل مكان.

ومن المواقف التي نجم فيها النفاق وأحدث آثاراً بعيدة المدى في الجماعة الإسلامية، ذلك الامتحان الذي امتحن به بيت النبوة الطاهر وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة الإيمان عامة، عندما أشاع المنافقون عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما أشاعوا في طريق العودة من (غزوة المريسيع) في السنة الخامسة من الهجرة^(١) مما هو معروف في كتب الحديث وفي تاريخ السيرة النبوية «بحادث الإفك أو حديث الإفك» الذي حسمه الله تعالى بقرآن يتلى في سورة النور (الآيات ١١ - ٢١) وبين في الآيات التي قبلها وبعدها وفي نفس السورة كثيراً من قواعد السلوك الأخلاقي في الإسلام والكثير من الحدود الشرعية التي تحمي الفرد والمجتمع وتصونهما من الراغبين في نشر الفاحشة والأباطيل في المجتمع.

وذلك بعد أن شغلت هذه الإشاعات عن السيدة عائشة رضي الله عنها الجماعة المؤمنة شهراً كاملاً.

ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور المنافقين في مجتمع المدينة؟.

(١) حسب رأي ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ٤٣٠ كتاب المغازي (باب غزوة المريسيع) وفي رواية ابن إسحاق أنها كانت سنة ست. ولابن حجر أدلة ساقها للتدليل على أنها كانت في شوال سنة خمس ورد باقي الروايات.

١ - من بين الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة بالدراسة يبرز رأي الأستاذ أبي الحسن الندوي إذ يقول:

«لم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا مستضعفين مغلوبين على أمرهم رغم أنهم كانوا في عقيدتهم وأخلاقهم وصمودهم أقوى من المشركين»^(١) ولكن واقع الحال كان يشهد بأنهم من الناحية المادية كانوا قلة مستضعفة. فلم يدخل في الإسلام في مكة إلا الصناديد من العرب، ومن خالط الإيمان دمه وعروقه وروحه، فاستعد لكل تضحية في سبيله ولو تمزق جسده إرباً سيان في ذلك الرجال والنساء.

فلم يكن في مكة قوتان متماثلتان في القوة المادية والعديدية وبالتالي لم توجد النفوس التي تتأرجح بين هذه القوة أو تلك اغتناماً للفرص وانتظاراً ورصداً للمصالح المادية الموقوتة فلم يوجد ذلك العنصر المضطرب المتردد الذي يوزع ولاه انتظاراً لحسم المعركة بين إحدى القوتين وليس امتثالاً لأمر إلهي أو استجابة لتوجيه نبوي أو إدراكاً لحق أو استنكاراً لباطل.

٢ - ولكن وجد هذا العنصر المتردد بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وأخذت توطد أركانها وتفرض احترامها على الجزيرة العربية أولاً بعد غزوة بدر الكبرى، وقد ظهرت للعيان معالم النفاق بشكل فردي وجماعي في غزوة أحد عندما تخلى عبد الله بن أبي بن سلول عن جيش المسلمين وانسحب معه ثلث المحاربين الذين خرجوا لملاقاة العدو مع الرسول ﷺ مبرراً هذا السلوك بقوله:

«أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب»^(٢).

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية (جدة: دار الشروق، ١٣٩٩ هـ) ص ١٦٧.

(٢) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام سيرة النبي ﷺ، جزء ٣، ص ٨ راجع أصولها، وضبط غريبها، وعلق حواشيها، ووضع فهرسها المرحوم الشيخ محمد =

١٠ - وفي غزوة الخندق بلغ الصدام ذروته بين دولة الإسلام الناشئة الفتية وبين شراذم الكفر ماثلة في مشركي مكة واليهود والمنافقين وكفار العرب ومن الأهم وتحالف معهم وبعد خروج الدولة الإسلامية منتصرة صامدة من غزوة الخندق (الأحزاب) أدرك أعداؤها استحالة القضاء عليها وأنها قوة لا تهزم بالسلاح والجند.

وأعلن رسول الله ﷺ - قائد هذه الدولة الأعظم : أنه «لا تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم».

- ولم يكن السبب في هذه النتيجة التي أعلنها رسول الله كثرة العدد، فإن نسبة المسلمين لم تكن تزيد على أكثر تقدير $\frac{1}{3}$ من مجموع أعدائهم.
- ولم يكن السلاح هو السبب فأعدائهم كانت كفتهم هي الراجحة.
- ولم يكن للمسلمين خطر المزاحمة بالمال والنفوذ لأن الوسائل الاقتصادية كانت في يد الكفار.

وكذلك فإنهم فقدوا التأييد تماماً من المحامين عن النظام القديم^(١).
وعنصر القوة الوحيد كان عندهم هو:

تفوقهم المعنوي المستمد من الإيمان بالله ورسوله وبالدين الجديد ذلك التفوق الذي كان أعدائهم أنفسهم يشعرون به وكان سموهم الخلقي والنظام والوحدة الناشئين عن الدين الجديد هو السبب فيما توصلوا إليه بتوفيق من الله ورعايته:

«ومن طبيعة اللثام أنهم إذا رأوا محاسن غيرهم ومساوئ أنفسهم واضحة وعلموا أن محاسنه هي السرف في تقدمه ورقيه وأن مساوئهم ومواضع

= محيي الدين عبد الحميد من توزيع : رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد الرياض.

(١) أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤ م) (بتصرف).

الضعف والانحلال فيهم هي التي تضع من شأنهم وتخسرهم المعركة يأخذهم الهم بأن يخلقوا فيه أي حيلة من الحيل فيلصقوا به ما في أنفسهم من المساوئ ومواضع الضعف والفوضى أو رموه بما ليس فيه ويدنسوا ذيله ويشوهوا سمعته حتى لا ترى الدنيا محاسنه بدون عيب على الأقل».

فهذه العقلية الدنيئة هي التي حولت الكفار وأعداء الإسلام في هذه المرحلة من الأعمال الحربية الظاهرة إلى الحملات الدنيئة وأحداث الفتن في داخل النظام الإسلامي»^(١).

وهذا التحليل من الأستاذ أبي الأعلى المودودي لظاهرة النفاق يقترب كثيراً من آراء الكثير من علماء الأعلام والباحثين في علم النفس الاجتماعي الذين درسوا ظاهرة الشائعات بتأثير من الميل اللاشعوري للإسقاط الذاتي^(٢):

«إن الشائعة تنطلق وتمضي في رحلتها في وسط اجتماعي متجانس بفضل الدوافع القوية عند الأشخاص القائمين بنقلها ويتطلب التأثير القوي لهذه الدوافع أن تضطلع الإشاعة بدور:

تبرير الدوافع: بمعنى أنها تفسر وتبرر وتسبغ دلالة على الدافع الانفعالي القائم وأحياناً ما تكون العلاقة بين الدافع والإشاعة من القوة بحيث نستطيع أن نصف الإشاعة: ببساطة على أنها:

(١) أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، ص ١٠.

(٢) يعرف الإسقاط عند علماء نفس الشخصية بأنه:

أ - عملية إدراك المدركات كموضوعات حالة في المكان خارج عضو الحس لا فيه.

ب - عزو ما نشعر به من خبرات نفسية إلى الآخرين.

ج - ميل الشخص إلى أن يعزو إلى العالم الخارجي العمليات النفسية المكبوتة جهلاً منه بأنها خاصة به أو تهرباً من الاعتراف بها أو تخفيضاً لما يشعر به من الإدانة الذاتية (مدرسة التحليل النفسي) والإسقاط في هذه الحالة من أساليب التبرير والدفاع عن الذات.

د. يوسف مراد، ط ١٩٥٨ م مؤسسة النخانجي بمصر القاهرة، دراسات في التكامل

النفسى ص ٣١٦.

إسقاط لحالة ذاتية وانفعالية معاً^(١).

ومما لا شك فيه أن دراسة الإشاعة في أبحاث غير المسلمين ومن أخذ عنهم من المسلمين تختلف في النظرة إليها عما هو عند المسلمين فالمنهج الإسلامي في دراسة هذه الظاهرة يدرسها في علاقتها بالعقيدة والتكوين الخلقي ويربطها بدرجة التقوى والإيمان ولا يدرسها دراسة محايدة أي مجرد رصدها كظاهرة للبحث والدراسة. ذلك لأن الإشاعة إن هي إلا مظهر للغيبة وقذف المؤمنين وليست مجرد ظاهرة اجتماعية. . ولذلك فقد شدد القرآن الكريم في تطبيق الحدود على من يقذف المسلمين في أعراضهم أو يمسه في شرفهم بدون علم أو بينة. وشبه من يغيب المؤمن بمن يأكل لحم أخيه الأدمي ميتاً. وهذه الشائعات ارتبطت في تاريخ الدعوة بظاهرة النفاق واتخذها المنافقون وسيلة من بين وسائلهم للطعن في أعراض المسلمين وتشويه شرفهم ولا تزال هذه الظاهرة منتشرة في كثير من المجتمعات ومنها المجتمعات الإسلامية وخاصة حيث يضعف التمسك بالدين ويتباعد الناس عن تحكيم شرع الله في حياتهم الخاصة والعامة فهناك علاقة طردية بين تفشي الأمراض الاجتماعية والخلقية وبين الابتعاد عن شرع الله القويم.

ونكتفي بهذا القدر في التمهيد للحدث المزلل الذي وقع في السنة الخامسة من الهجرة بُعيد العودة من غزوة المصطلق (المريسيع) (بإجماع العلماء) وهو حديث الإفك أو حادثة الإفك حيث عمد المنافقون إلى طعن بيت النبوة الطاهر في شرفه بأن أشاعوا ما أشاعوا عن السيدة عائشة رضي الله عنها. وكان هذا الحادث الذي شغل جماعة المؤمنين شهراً كاملاً من أشد الحوادث وقعاً على بيت النبوة الطاهر وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى نزلت براءة أم المؤمنين رضي الله عنها من السماء بوحى يتلو قرآناً خالداً في سورة النور ويتوعد وينذر ويتهدد من ارتكبوا إثم الإفك بعذاب في الدنيا

(١) سيكولوجية الإشاعة، جوردون أولبورت وليوبوستان ص ٦٤، ترجمة دكتور صلاح مخيمر وعبد الميخائيل رزق، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ م.

والآخرة ويحدد كثيراً من الحدود والتشريعات الخلقية والاجتماعية .

والآن نعرض لهذا الحدث بتفاصيله التي نلخصها في النقاط التالية :

أولاً : كلام في اللغة في معنى الإفك .

ثانياً : وقائع ما قبل الحدث .

ثالثاً : بداية الحدث .

رابعاً : تطور الحدث .

أ - «الإشاعة» .

ب - مقاومة الإشاعة .

خامساً : الأساليب الإعلامية التي ووجه بها حديث الإفك .

أ - الأساليب النبوية .

ب - الأساليب التي استخدمها المسلمون .

ج - خبر الوحي يحسم الحدث .

حديث الإفك

«حدث حسمه خبر الوحي»

أولاً : كلام في اللغة

أ - الإفك والأفك بمعنى واحد .

والإفك : الكذب . وأفك : كذب .

ب - وأفك الناس : كذبهم وحدثهم بالباطل .

ج - والإفك : الإثم .

د - والانتفak : الانقلاب .

والمؤتفكات : مدائن لوط (عليه السلام) سميت بذلك لانقلابها

بالخسف .

هـ - وأفك الرجل : ضعف عقله ورأيه^(١).

ثانياً : وقائع ما قبل الحدث

١ - بلغ الرسول ﷺ أن بطناً من خزاعه يعرفون ببني المصطلق يجمعون لمحاربته . فباغتهم على ماء يقال له : (المريسيع) .

وأمكنه الله تعالى منهم . . فسبى من سبى وقتل من قتل .

٢ - وأثناء تواجد لمسلمين على الماء - تقاتل أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه بن مسعود مع «سنان بن وبر الجهني» حليف بني عوف من الخزرج .

فصاح جهجاه : يا للمهاجرين !

وصاح سنان : يا للأنصار !

وكاد المهاجرون والأنصار أن يتقاتلوا لولا تهدة رسول الله للموقف .

٣ - غضب رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول . وكان قد خرج في هذه الغزوة مع عدد كبير من المنافقين ضمن جيش المسلمين - فتكلم بكلام صادر عن نفاق ومن جملة كلامه :

«أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» .

ويسمع ذلك كله الصحابي الجليل : زيد بن أرقم فينقله إلى رسول الله .

فيستأذن عمر رضي الله عنه في قتل رأس النفاق ولكن رسول الله ﷺ يجيبه :

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا : ولكن أذن

بالرحيل» .

٤ - ارتحل الناس في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها وجاء

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٧٠ .

عبد الله بن أبي إلى رسول الله بعد أن علم بوصول مقالته إليه فأنكر مقالته .
ومشى رسول الله بالمسلمين يومهم وليلتهم وصدر يومهم الثاني حتى آذتهم
الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن لمست أقدامهم الأرض فناموا من شدة
الإجهاد .

ثالثاً: بداية حديث الإفك

أ - سار رسول الله بالناس حتى نزل قريباً من المدينة وفي هذا المكان
كانت الحادثة البسيطة التي ثارت ثائرة المنافقين لها فأعلنوها حرباً شعواء من
الشائعات ونشر الأباطيل على بيت النبوة :

هذه الحادثة هي أن السيدة عائشة رضي الله عنها التمست عقداً لها من
جزع ظفار كان معها عندما ذهبت لبعض حاجتها فارتحل الجيش قبل عودتها
من المكان الذي التمسته فيه وكان الصحابي صفوان بن المعطل ممن يتأخر
ليتفقد ما ينساه الجند من المتاع فيلتقطه ويوصله إلى أصحابه^(١)، فذهبت أم
المؤمنين إلى مكانها علماً يرجع إليها أحد من الجند عندما يفتقدونها، ونامت
في مكانها، فلما رآها الصحابي صفوان بن المعطل في الصباح أناخ لها
راحلتها ولحقا بالجيش موغرين في صدر الظهرية . فأشاع عنها أهل الإفك ما
أشاعوا .

هكذا كانت بداية حديث الإفك .

ب - إذن فقد كان حديث الإفك بعيد العودة من غزوة المريسيع بإجماع

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨ ص، ٤٦١ - ٤٦٢، كتاب التفسير .

قال ابن حجر: وقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان ولفظه :

«سأل النبي ﷺ: أن يجعله في الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن
سقط له شيء أتاه به . وفي حديث أبي هريرة: «وكان صفوان يتخلف عن الناس
فيصيب القدح والجراب والأداة . وفي مرسل مقاتل بن حبان «فيحملة فيقوم به فيعرف
في أصحابه» .

العلماء ورجح ابن حجر في فتح الباري في مناقشته لمختلف الروايات أنها كانت في شوال في السنة الخامسة من الهجرة^(١).

جـ - وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي الشخصية الأولى المعنية في هذا الحدث فعليها نسج أهل الإفك من المنافقين الإشاعات وزوروا الأقاويل وتناقلوها شهراً كاملاً ولذلك فحديثها هو المعتمد بعد القرآن الكريم في تفاصيل هذا الحادث :

«حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جنزاع أظفار قد انقطع فالتصمت عقدي وحسبني ابتغاه. وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبته وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم : إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه»^(٢).

وتستمر الرواية عن الحدث في سياق حديث طويل رواه ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير.

وسعيد بن المسيب.

وعلقمة بن وقاص.

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

ورواه أصحاب الصحاح والسنن.

قالت أم المؤمنين عائشة :

«ثم قرب البعير فقال : اركبي . واستأخر عني قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٤٣٠، (كتاب المغازي).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨ ص ٤٥٢، كتاب التفسير.

أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني :

فقال أهل الإفك ما قالوا: «فارتعج»^(١) العسكر والله ما أعلم بشيء من ذلك^(٢) وقالت رضي الله عنها: «وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء»^(٣).

رابعاً: تطور الحدث

أ- الإشاعة^(٤):

الإشاعة أو الشائعة أقوال أو أحاديث أو روايات يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها بل دون التحقق من صدقها^(٥) وتعتمد في انتشارها على نزعة اجتماعية هي القابلية للاستهواء أي القابلية عند العامة لتقبل فكرة معينة أو خبر معين دون نقد أو تحليل أو تفكير.

وهي ظاهرة (نفس - اجتماعية) حظيت باهتمام كبير من الباحثين في مجالات الإعلام والاجتماع والسياسة وعلم النفس الاجتماعي لما لها من أثر كبير في الرأي العام وفي برامج التوجيه والإرشاد الرسمية وغالباً ما تظهر أثناء

(١) ارتعج العسكر: تحرك واضطرب.

عن هاشم رقم ٢ (ابن هشام)، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي: لأبي محمد عبد الملك بن هشام تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٥٣.

(٤) الإشاعة: مصدر الفعل (أشاع) - بمعنى: أظهر وأذاع.

جاء في (اللسان): (شاع الخبر في الناس: يشيع شيعاً وشيعاناً ومشاعاً وشيعوعة فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر. وقولهم: هذا خبر شائع وقد شاع في الناس، معناه: قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض.) (لسان العرب، ج ٩، ص ٥٧)

(٥) الدكتور محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، (بيروت لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٧٣ م) ص ١٨٠، ١٧٩ على التوالي.

(فترات الغموض) في المجتمع في أوقات الأزمات والحروب . . . وقد كانت سلاحاً نفسياً فعالاً استخدمتها الأطراف المتصارعة في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) كما استخدمت في مناسبات كثيرة في المجتمعات البشرية في الماضي في الحرب والسلم معاً.

ودخلت هذه الظاهرة مجال الدراسات الإعلامية لأنها من الظواهر الإعلامية شديدة التأثير في تشكيل الرأي العام الذي أصبح كما كان في الماضي من الأمور التي تشغل القادة والزعماء والمسؤولين وخاصة في المجتمعات الجماهيرية التي تؤثر فيها أجهزة الإعلام تأثيراً كبيراً في جميع المجالات.

وقد كثرت التعاريف التي تناولت الإشاعة بالدراسة والتحليل :

١ - الإشاعة: فكرة خاصة يعمل رجل الدعاية على أن يؤمن بها الناس كما يعمل على أن ينقلها كل شخص إلى الآخرين حتى تذيب بين الجماهير جميعها^(١).

٢ - أو هي معلومات تنتقل بين الأفراد بالرغم من عدم استنادها إلى مصادر موثوق بها وهي غالباً ما تستهدف فرداً معيناً أو نظاماً دينياً أو اقتصادياً وربما تستهدف المجتمع كله^(٢).

٣ - أو هي الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في نشر خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح^(٣) أو تفسير خبر صحيح والتعليق

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) دكتور زيدان عبد الباقي: علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية، ص ١ (القاهرة: مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٧٩ م) ص ٢٢٠.

(٣) دكتور مختار التهامي، الرأي العام والحرب النفسية، ج ١، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٤ م) ص ٣١.

عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو النوعي تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأجمعه^(١).

وتبرز هذه التعاريف فكرة رئيسية هي :

أن الإشاعة فكرة أو معلومة أو خبر ينتقل بسرعة ويتشكل ويتضخم ويتحور ويتناقله الناس دون نقد أو تحليل أو تفكير كافٍ في أصله أو مدى صحته . وللشائعة أو الإشاعة شرطان لسرعة انتشارها :

١ - أهميتها بالنسبة لمن ينقلها ولمن يستمع إليها .

٢ - درجة غموضها أي عدم تحديد مصدرها وطبيعتها .

وقد استنتج الباحثان الأمريكيان : جوردون أولبورت وليوبوستان في كتابهما «سيكولوجية الإشاعة» قانون انتشار الإشاعة :

شدة الإشاعة = الأهمية × الغموض^(٤) .

ب - مضمون الإشاعة التي روج لها عبد الله بن أبي بن سلول .

١ - الشاهد الأول : على هذا الحدث هو القرآن الكريم الذي رصد هذا الحدث وحسمه .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ (النور : ١١) .

﴿وإذ تلقونه بألستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ (النور : ١٥) .

قال الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية :

«لسان يتلقى عن لسان بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر حتى

(١) جوردون أولبورت وليوبوستان ، سيكولوجية الإشاعة ، ص ٦٤ .

لكأن القول لا يمر على الأذان ولا تتملاه الرؤوس ولا تتدبره القلوب . . . إنما هي كلمات تقذف بالأفواه قبل أن تستقر في المدارك وقبل أن تتلقاه العقول»^(١).

وقال الزمخشري في تفسير نفس الآية :

«فإن قلت : ما معنى قوله : (بأفواهكم) : والقول لا يكون إلا بالفم ؟ .

قلت : معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان . وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب ووصفهم تعالى في هذه الآية بارتكاب ثلاثة آثام :

١ - تلقي الإثم بالستهم : «وذلك أن الرجل كان يلقي الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه .

٢ - التكلم بما لا علم لهم به .

٣ - استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم»^(٢).

الشاهد الثاني : سنة رسول الله ﷺ وما عاناه وقت المحنة على مسافة شهر كامل انتظاراً لخبر السماء . مما سنعرض له في حينه .

الشاهد الثالث : حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهي التي اتخذها المنافقون موضوعاً للإشاعة وتحملت النصيب الأكبر من العذاب والألم مع يقينها بالبراءة والطهارة التامة .

قالت رضي الله عنها : «وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع (بيروت : دار الشروق، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) ص ٢ ، ٢٥ .

(٢) جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج ٣ (بيروت : دار المعرفة) ص ٥٤ .

سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء»^(١).

٤ - وفي حديث الإفك من طريق صالح بن كيسان عن الزهري :

قال عروة : «لم يسم من أهل الإفك أيضاً غير عبد الله بن أبي الإحسان ابن ثابت ومسطح بن أثاثه وحمنة بنت جحش في ناس لا علم لي بهم غير أنهم عصابة»^(٢).

٥ - قال عروة في نفس الحديث : «أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه».

قال ابن حجر شارحاً : أي يستخرجه بالبحث عنه والتفتيش.

٦ - وأما القول الذي قال ابن أبي :

«فوقع في حديث ابن عمر فقال عبد الله بن أبي :

فجربها ورب الكعبة وأعانه على ذلك جماعة وشاع ذلك في العسكر.

٧ - وفي مرسل سعيد بن جبير : «وقذفها عبد الله بن أبي فقال : «ما برئت عائشة من صفوان ولا برىء منها، وفاض بعضهم، وبعضهم أعجبه»^(٣).

هذا ما صح نسبته إلى المنافق عبد الله بن أبي بن سلول من أقوال وإفك اكتسبه من افتراءه على أم المؤمنين الطاهرة المصونة وهو كلام يأنف المرء الشريف أن ينسبه إلى عامة الناس فما بالك بنسبته إلى أظهر جناب وأعز بني آدم على ربه جل شأنه النبي المعصوم صفوة خلق الله تعالى ﷺ.

وهذه الإشاعات تصلح للدراسة بالمقاييس العلمية التحليلية كأنها بنت الساعة، فكما أن عبد الله بن أبي رمز للنفاق في كل عصر فكذلك هذه

(١) حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٥٣.

(٢) فتح الباري، ج ٧، ص ٤٣٢.

(٣) ابن حجر : فتح الباري ج ٨ ص ٤٦٤.

الإشاعات رمز لمظاهر يومية تلقى بدون وازع من تقوى أو تفكير أو ضمير للطنع في أعراض الناس والخوض فيما يعلم الإنسان وما لا يعلم.

وهي منزلة متدنية كان يصدر منها ابن أبي أحكامه على الرسول ﷺ وآل بيته الكرام فهو رجل توفر لديه قدر كبير من ضعف الإيمان والحق واللوؤم والعجز عن فهم الحقائق الجديدة التي رسخت بمبعث محمد ﷺ بعد هجرته وعجز عن تصور هدم الإسلام لروابط الجاهلية وبناء روابط جديدة على أنقاضها.

أضف إلى ذلك أنه كان ينظر إلى رسول الله بمنظار الدنيا الفانية وبالمقاييس العادية لا على أساس أنه نبي معصوم تأكدت عصمته في مئات المواقف منذ ولادته فهو عنده مجرد زعيم حرمة من ملك كان قومه ينظمون الخرز ليتوجوه به ملكاً قبيل هجرته ﷺ^(١).

وقد زاد من تعقيد الموقف أنه لحكمة أرادها الله تعالى تباطأ خبر الوحي في حسم هذا الحدث المحير الذي لا يمكن للإنسان العادي أن يحتمل ما نسب إلى بيت النبوة فيه، فما بالك بالنبي المعصوم.

وكذلك زاد تعقيد الموقف تستر عبد الله بن أبي بستار الإسلام ظاهرياً، وعدم الظهور علناً في نشر الإشاعات للحيلولة دون تطبيق الحد عليه. وقد كان هدف ابن أبي علي ما يبدو ليس مجرد الطعن في عائشة رضي الله عنها في شخصها، ولكنه كان يقصد والله أعلم أن ينال من عرض النبي وعرض صاحبه أبي بكر الصديق، ومن يجروء من أصحاب رسول الله ﷺ بعد ذلك أن

(١) جاء في سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٣٣٦.

أنه عنده 'أذن مؤذن الرسول ﷺ بالرحيل بعد النزاع بين المهاجرين والأنصار أثناء غزوة المريسيع وقال ابن أبي ما قال. حضر إليه أسيد ابن حضير رضي الله عنه فقال له مشيراً إلى ابن أبي:

«يا رسول الله إرفق به. فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً».

يأمن من الطعن في عرضه هو.

وأنه كان يريد أن يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية كلها وكان حديث الإفك من عوامل إشعال نار فتنة داخلية بين الأوس والخزرج كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها ولولا وجود الرسول ﷺ وتهديته للموقف لحدثت أحداث بعيدة المدى في الجماعة الإسلامية.

وفي ذلك يقول الشهيد سيد قطب:

«ولكن الأمر كما يبدو - لم يكن أمر عائشة - رضي الله عنها - ولا قاصراً على شخصها فلقد تجاوزها إلى شخص الرسول ﷺ ووظيفته في الجماعة يومها بل تجاوزه إلى صلته بربه ورسالته كلها وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها»^(١).

وإن المتأمل في تتابع الأحداث مسرعة على بيت النبي وبيت صاحبه وعلى المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت بعد الانتصار السريع في غزوة المريسيع ليلاحظ ظاهرة جذيرة بالانتباه وهي:

كيف أن معركة حربية تتطلب استعداداً وتنظيماً وصداماً ومواجهة وتطلب في السفر في طلب العدو على مسافة أيام: هذه المعركة حسمت بتأييد من الله تعالى ثم بقيادة رسوله في ساعات معدودة وعاد الجيش المظفر وقد غنم الغنائم وسبى السبايا.

وكيف أن إشاعة تناولت بيتاً لا ينبغي أن يمر بالإنسان مجرد خاطر عابر من الشك في طهارته وعصمته استغرقت شهر كاملاً لحسمها... وذلك لعمرى معلّم من معالم الإعجاز في الرسالة المحمدية يعلمنا كيف أن النفوس وتطويعها ومحاربة ما توسوس به وإخضاعها لمنهج الله وهدم مناهج الفكر الجاهلي يتطلب صبراً وتضحيات كبيرة واحتمالاً لا يقدر عليه إلا من أعدهم الله لتحمل أعباء الدعوة إلى منهج الله.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٠٠.

ويندب المسلمون إلى ضرورة الاحتساب والموادعة والتيقن من صحة الأخبار وعدم التسرع بالخوض فيما لا يعلمه الإنسان .

وهذا مظهر من مظاهر الإعلام بالوحي فهو ظاهرة منفصلة عن الذات المحمدية ينزل بأمر الله تعالى رب الوحي ورب رسوله ورب العالمين .

وفيه بيان للمبدأ الأساسي في المنهج الرباني بضرورة إرجاع الأمور إلى الله تعالى في السر والعلن في عظام الأمور وصغائرها مع الأخذ بالأسباب الذي لا ينافي التوكل .

تطور الحدث

ب - مقاومة الإشاعة والقضاء عليها

نظراً لما للإشاعات من تأثير ضار على الرأي العام ، ولأنها عندما تنتشر تعمل على تضليل الجماهير وإفساد إدراكها ووعيها للأمور ، وتقلل من تأثير وسائل الإعلام التي ترشد الرأي العام وتوجهه ، ينصح علماء النفس الاجتماعي وخبراء الإعلام باتخاذ إجراءات لإضعاف تأثيرها والقضاء عليها ويمكن تلخيص هذه الإجراءات فيما يأتي :

١ - تحصين الجماهير بعقيدة قوية ضد الإشاعات .

٢ - نشر الحقائق المباشرة المختصرة لتفقد الإشاعة أحد عنصريها وهما : الغموض والأهمية .

٣ - شحن الرأي العام بموضوع أكثر اتصالاً باهتمامات الجماهير .

٤ - دعم أجهزة الإعلام المركزية التي تزود الجماهير بالأخبار الصحيحة .

٥ - تحليل الإشاعة وتحديد مصادرها وفهم القوى التي تكمن وراءها^(١) .

(١) الدكتور أحمد بدر، الرأي العام (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧ م) ص ١٣٧ .

هذا المنهج الذي أوردنا مثلاً لإجراءاته في مواجهة الإشاعات لا شك أن فيه بعض الزوايا الفعالة، ولكن قصوره يكمن في أنه ينظر إلى الإشاعات نظرة محايدة، ويدرسها كظاهرة منفصلة عن الدين والأخلاق التي تنشأ ضمن البناء الشامل لهذا الدين.

ومن هنا نلاحظ أنه: كلما بالغ الخبراء في وصف العلاج الذي لا يهتدي بهدي السماء ولا يلتزم بمنهج الإسلام، كلما ابتدع أنصار الشيطان أساليب في القذف والطعن والصاق العيوب بالآخرين، حتى أصبح هذا الأسلوب هو القاعدة، ومحاسن الأخلاق التي دعا إليها الله ورسوله هي الاستثناء، وهو جزء من برامج الأحزاب السياسية في الشرق والغرب.

ففي المعسكر الغربي تستخدم الإشاعات كسلاح فعال في حلبة الصراع السياسي والاقتصادي، في سبيل الوصول إلى كراسي الحكم، أو من أجل رفع أو خفض قيمة عملة من العملات، أو سلعة من السلع، أو سندات أو أسهم معينة. حيث أن المنافسة بأي أسلوب كان هي: القاعدة والمحرك الذي يحرك الفرد والمجتمع في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل القانون المادي الذي ابتكره السياسي الإيطالي المادي: ميكيا فيلي^(١) والقاتل بأن الغاية تبرر الوسيلة.

أما في النظام الشيوعي فإن تشويه سمعة أي معارض ولو بالصمت -

(١) نيكولو ميكيا فيلي (١٤١٩ - ١٥٢٧ م) رجل دولة ومؤلف إيطالي ولد في فلورنسا وأصبح المستشار الثاني للجمهورية سنة ١٤٩٨ م. وعندما استولت أسرة مديتشي على الحكم سنة ١٥١٢ م سجن ثم نفي في العام التالي - . أصدر كتابه «الأمير» سنة ١٥١٣ م، دعا فيه إلى قيام دولة إيطالية موحدة بحاكم قوي دون اعتبار للقيم الخلقية. وفي كتابه (فن الحرب): سنة ١٥٢٠. تحدث فيه عن الجيش الضروري لمثل هذا الحاكم، نشرت نظريته التي بثها في كتابه (الأمير) وغيره عن العلم السياسي (الموسوعة العربية، تأليف البرت ريحاني وآخرون، الطبعة الأولى، (بيروت: دار ريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٥ م) (حرف م).

للفكر الشيوعي، من الأساليب الثابتة عن الشيوعيين فيعملون على إماتة معارضيهم معنوياً إذ نجوا من تصفيتهم الجسدية، والشائعات سلاح فعال يستخدمه الشيوعيون لتلويت سمعة الآخرين.

ومن هنا فإنه كلما انحسر سلطان الإيمان بالله، وضعف سلطان التقوى، وتحللت التربية، من الأصول الشرعية النابعة من العبودية المطلقة لله تعالى، واتسعت دائرة اللاوعي على حساب الوعي والإدراك السليم، نتيجة لحملات التضليل والتعمية الإعلامية، اتسعت دائرة السلوك المنحرف الذي يظهر في عمليات الإسقاط والتعويض وغير ذلك مما يطلق عليه علماء النفس (الحيل الدفاعية)، وكلما ضيق الطغاة على أممهم عن طريق الكبت الفكري أو القهر، كلما تداعت أسباب الأخلاق المتدنية التي لا تحسب حساباً لوازع ديني أو وضعي... ونتيجة لذلك كثرت النواذ التي يعبر منها الشيطان إلى عقيدة الإنسان وفكره وإذا فسدت العقيدة فسد السلوك وفسدت الحياة.

أما منهج الإسلام في مقاومة الإشاعة فهو في مجمله يتم على ثلاث مستويات:

الأول: مستوى التربية الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة وآدابهما ومنهجهما الأخلاقي الذي صلح به حال الأمة في أولها ولا يصلح حاضرها ومستقبلها إلا به.

الثاني: مستوى أخلاقي، لا ينظر إلى الشائعات على أنها ظاهرة فحسب بل يعتبرها من مفاصد الأخلاق، وشكلاً من أشكال الغيبة والنميمة والفساد الرخيص والقدف والإفساد في الأرض.

الثالث: مستوى تطبيق الحدود على من لم تُجد معه التربية السوية، ولم يستجب لتعاليم الدين والأخلاق، ولم يراع الله ويتقه في نفسه وفي أخوته المؤمنين.

فهذا المنهج: وقائي وعلاجي إن صح التعبير.

- والوقاية ليست من ابتكار البشر أو صنعهم ولكنه منهج وصفه وحدد

أبعاده خالق البشر الذي هو أدق علماً بمن خلق وما خلق .

- والعلاج ليس علاجاً وضعياً نظرياً أو جدلياً فلسفياً ولكنه علاج فكري علمي يتعامل مع (المادة الإنسانية) في فطرتها الصافية ويرسم لها طريق الإصلاح الذاتي ثم التقويم من السلطة الشرعية في الجماعة .

ونلمس تأصيلاً فكرياً وعملياً لهذا المنهج الإسلامي في مواجهة ومقاومة الإشاعات في الطريقة الحكيمة التي واجه بها رسول الله ﷺ - وهو المثل الأعلى للأمة في القول والعمل - حادثة الإفك حتى انتهى أمرها بقرآن حسمها وميز مواقف المنافقين وفضحهم وبرأ أم المؤمنين وبيت النبوة وحدد المنهج الخلقي للمسلم فرداً وجماعة في مثل هذه الحالات .

خامساً: كيف انتهى حديث الإفك

أ- تفاعل الحدث

بالرجوع إلى مختلف الروايات لحديث الإفك الذي ساقه ابن شهاب الزهري يتضح لنا أن الحدث تفاعل على أربعة مستويات :

المستوى الأول: المنافقون الذين نشطوا في ترديد الأقاويل ونشر الإشاعات كما أثبتنا بعضه في التحليل السابق .

المستوى الثاني: بيت النبوة:

١ - وهنا نجد رسول الله ﷺ وقد رُمي في أحب زوجاته إليه وفي أعلى ما عند الإنسان العادي فما بالك بنبي معصوم .

واحتمل شهراً كاملاً انتظاراً لوحي يثبت طهارته بيته التي لم يساوره أدنى شك فيها .

٢ - ونجد عائشة رضي الله عنها مؤمنة غافلة تتناقل الأحاديث والإشاعات اسمها ويردده المنافقون وهي غافلة لا تدري ما يدور في مجالسهم حتى تخبرها (أم مسطح) عندما تذهب معها لبعض حاجتها فتذهب لتستقين الخبر

من والديها بعد أن أذن لها رسول الله بذلك .

المستوى الثالث : بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

الذي قال كلمة هي أبلغ من كل كلام تعبر عن الهم الذي ألم ببيته الكريم :

«والله ما رُمينا بهذا في الجاهلية . أفنرضى به في الإسلام؟» .

المستوى الرابع : مستوى الجماعة المؤمنة :

ورد في سورة النور بيان لمظهرين من مظاهر التعامل مع حديث الإفك في الجماعة المؤمنة في ذلك الوقت بالمدينة المنورة :

أما المظهر الأول : فيمثله الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري وزوجته اللذان قالوا مع المؤمنين من أمثالهم :

«ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم» فقد قالت أم أيوب لأبي أيوب : يا أبا أيوب ألم تسمع بما تحدث الناس ؟ .
قال : وما يتحدثون ؟ .

فأخبرته بقول أهل الإفك .

فقال : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم^(١) .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ولولا إذ سمعتموه . . . الآية .

والمظهر الثاني : جماعة انجرفوا مع تيار أهل الإفك فرددوا أقوالهم من

غير تثبت وهم الذين أشارت إليهم آية سورة النورة بأنهم (عصبة) .

قال ابن كثير : يعني «ما هو بواحد ولا إثنان بل جماعة»^(٢) .

(١) الواحدي : أسباب النزول ص ٢١٨ .

(بيروت : دار الكتب العالمية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ٢١٨ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ .

(بيروت : دار إحياء التراث العربي) ص ٢٦٨ .

قال الزمخشري في الكشاف «والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين»^(١).

وذكر منهم الرواة: حسان بن ثابت - وحمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثه وهؤلاء هم الذين تقبل توبتهم بعد تطبيق حد القذف عليهم أما رأس الإفك ابن سلول فإن له الخزي والعذاب في الدنيا والآخرة.

هكذا تفاعل الحدث بأبعاده المختلفة في غياب خبر الوحي مدة تقرب من شهر اشتدت وطأة الإشاعات على أطراف الحدث وظلت الأمور تتأزم حتى كادت أن تتحول إلى فتنة بين الأوس والخزرج. إلى أن نزل القرآن الكريم يدفع أصحاب الإفك ويوجه المسلمين إلى المنهج الصحيح في مثل هذا الحدث.

(كيف واجه الرسول ﷺ حديث الإفك).

واجه رسول الله ﷺ هذا الحدث في المستويات التالية:

أولاً: في نفسه ﷺ.

ثانياً: في أهل بيته وصحابته.

ثالثاً: في الجماعة الإسلامية.

رابعاً: القرآن يحسم الحدث.

أولاً: كيف واجه الرسول ﷺ الحدث في نفسه:

أورد ابن حجر في فتح الباري عبارة للشيخ أبي محمد بن أبي جمرة تعطي دلالة عظيمة عن موقف الرسول ﷺ إبان تلك المحنة:

قال:

«إن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي لأنه ﷺ لم

(١) الزمخشري: جار الله محمود بن محمد الزمخشري الخوارزمي الكشاف - عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٣ ص ٥٢ - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

يجزم في القصة قبل نزول الوحي»^(١).

فإنه ﷺ أثر الصبر والتحمل انتظاراً للوحي ليفصل في هذا الأمر المحير ولأنه ﷺ أعلم الناس بمدلول رسالته وزعامته للجماعة الإسلامية وأنه قبل كل شيء نبي معصوم وأن ما يأتي به من قول أو عمل أو حتى حركاته وسكناته سنة ملزمة ولذلك فإنه أعطى لأمته الدروس العملية في مواجهة المحن والصعوبات.

ثانياً: كيف واجه الرسول الحدث في أهل بيته وصحابته:

«استخدم عليه الصلاة والسلام أنواع وأساليب الاتصال الشخصي التالية»:

أ - أنه ﷺ غيّر من أسلوب معاملته وانفعالاته وملاطفته لأحب زوجاته إليه وملامح الوجه والأقوال من أهم أساليب التعبير في عمليات الاتصال الشخصي:

قالت عائشة رضي الله عنها: «ويريني في وجهي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل علي رسول الله ﷺ ثم يقول: كيف تيكُم فذلك يحزنني ولا أشعر بالشر»^(٢).

قال ابن حجر في شرح ذلك وفي بيان فوائد هذا الحديث:

فيه «إشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة:

- فإذا كان السبب محققاً فيترك أصلاً.

- وإن كان مظنوناً فيخفف.

- وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه:

* - لا للعمل بما قيل.

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٨٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٧٩.

* - بل لثلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه .

فكانه ﷺ أراد أن يعلم زوجه الطاهر بما يجول في فؤاده من أحاسيس دون أن يرقى ذلك إلى درجة القطع لأن ذلك ينافي ما يرضاه الله لنبيه من الطهر والعفة ويتعارض مع عصمته وعصمة أهل بيته ويقينه هو في نفسه بذلك .

ب - ومن أساليب الاتصال الشخصي لمقاومة الإشاعة ما ثبت عنه ﷺ أنه استشار الصحابين الكريمين أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب في هذا الأمر وأشار كل عليه بما قدره الله من الخير .

ج - وكذلك سؤاله عليه الصلاة والسلام وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «بربرة» خادمة عائشة رضي الله عنها ونفي الأولى نفياً قاطعاً لما أشيع عن مولاتها .

د - ومن هذه الأساليب سؤاله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن استأذنت في الذهاب إلى بيت أبيها .

كل هذه الخطوات التي اتخذها عليه الصلاة والسلام في غياب الدليل القاطع ومع تزايد الإشاعات توضح الوسائل البشرية لمواجهة هذه الأزمة تلك الوسائل التي تناسب واقع الحال في ذلك الوقت حتى نزول الوحي ببرهان قاطع بتبرئة أم المؤمنين والصحابي صفوان رضي الله عنهما .

ثالثاً : كيف واجه الرسول الحدث في الجماعة الإسلامية :

بعد أن تحدث ﷺ مع زوجه رضي الله عنها في موضوع حديث الإفك قام خطيباً في الناس في المسجد .

قالت أم المؤمنين رضي الله عنها :

«فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر :

«يا معشر المسلمين: من يعذرني^(١) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهل بيتي إلاّ خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي»^(٢).

ولما بلغ الحدث إلى هذا الحد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم وقعه في نفوس آل البيت: فقد كانت أجهزة الإدراك عندهم متيقظة مستعدة وبلغ الغضب عند فريق منهم لعرض النبي ﷺ درجة كادت تسبب احتكاكاً بعيد المدى بين الحيين: الأوس والخزرج - لولا شخصيته عليه الصلاة والسلام التي عملت على تهدئة الموقف بينهما.

وقد كانت كل كلمة بل كل حركة أو سكونة من الرسول ﷺ تفهم بمدلولاتها وأبعادها من صحابته الذين تملك الإيمان منهم كل خلية من خلايا أجسادهم وتعمق في أرواحهم وتشرب به قلوبهم.

ورغم كل ذلك فإن الدليل القطعي غير موجود ولم يبقَ إلا مرجع واحد يقدم البرهان ويوحى بالدليل: إما بالبراءة أو بالإدانة وهنا نصل إلى المرحلة الرابعة من مراحل مقاومة الإشاعات وحسم هذا الحدث المزلزل.

رابعاً: الوحي يحسم الحدث ويفضح المنافقين:

١ - لقد كانت الضريبة التي دفعتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من فكرها ومشاعرها قلقاً متزايداً وحرراً ما فوقه حرج في مواجهة نفسها التي تنطق من أعماقها بالبراءة وفي مواجهة زوجها ﷺ النبي المعصوم الصادق المصدوق وفي مواجهة والديها رضي الله عنهما ولكنها عجزت كما يظهر من سياق الحديث عن إثبات براءتها إثباتاً مطلقاً ولم يبقَ إلاّ الالتجاء إلى الله تعالى وهو علام الغيوب:

(١) يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح مقالته ولا يلومني وقيل معناه: من ينصرتني والعذير الناصر.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٥٣.

وفي ذلك تقول أم المؤمنين رضي الله عنها:
«والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف: قال:
«فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

٢ - أما أبو بكر رضي الله عنه فلم يؤثر عنه أنه تفوه بكلمة في هذا الأمر حتى عندما طلبت منه ابنته رضي الله عنها بأن يجيب رسول الله ﷺ قال:
«والله ما أدري ما أقول» وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري لأنه كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى .
وفي رواية أبي أويس: «فقلت لأبي أجب فقال لا أفعل هو رسول الله والوحي يأتيه»^(١).

إذن فقد تطلعت القلوب كما فعلت في كل لحظة من لحظات هذا الحدث إلى خبر الوحي . فقد تصاعد هذا الحدث تفاعلاً حتى بلغ منتهاه حيث وقفت الأسباب البشرية في الإعلام ومحاولة معرفة الحقيقة عند حدها الظاهري ولم يبقَ إلا أن يتطابق الباطن البريء الطاهر بالخبر الذي يثبت ويؤكد طهره وبراءته الدائمة ببيان معجز يتلى على مر الدهور ويصبح مُثلاً علياً في التعليم والتأديب والإعلام إلى ما شاء الله له أن يكون .

٣ - قالت أم المؤمنين: «ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت: وأنا حينئذٍ اعلم أنني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيماً يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرؤني الله بها .
قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه .

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٧٥ .

قالت فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك . . . فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك»^(١) الحديث.

٤ - وهكذا برأ الله تعالى بخبر الوحي أظهر بيت مما حاول المنافقون أن يرموه به وكانت هذه الآيات التي أنزلت فيها براءة أم المؤمنين رضي الله عنها هي آيات سورة النور (١١ - ٢١).

هذه الآيات الكريمة من سورة النور كما هو شأن القرآن الكريم ترسم معالم المنهج الإسلام في الفكر والاعتقاد وفي القول والسلوك والعمل ويحدد ملامح المنهج العلمي المرتبط بالعقيدة السماوية والذي لا تنفصل فيه حركة الفكر البشري عن وحي السماء ولا تبتعد عن إطار العبودية التامة لله تعالى . وقد أوضح العلماء من خلال هذه الآيات ملامح المنهج الاستدلالي في الإعلام ومن تفسيرهم وشروحهم لهذه الآيات نستدل بشواهد على المنهج الإعلامي في الإسلام:

الشاهد الأول:

﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ (النور: ١٢).

- قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

﴿أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنین أولى بالبراءة من طريق الأولى﴾^(٢).

- وروى ابن إسحاق:

أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب:

يا أبا أيوب وما تسمع ما يقول الناس؟.

(١) فتح الباري، ج ٨، ص ٤٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٧٣.

قال: نعم. وذلك الكذب أكنت فاعله ذلك يا أم أيوب؟.

قالت: لا والله ما كنت لافعله.

قال: فعائشة والله خير منك^(١).

أن يظن المنافقون السوء بأظهر بيت فهذا منسجم مع المنهج الخاطيء الذي يصدر عن قلوب خالية من الإيمان بالله وبرسوله وبما يعايشونه ويحسونه ويلمسونه حياً من مظاهر الوحي والإعجاز والعصمة والطهر والصون والعفاف... أما المؤمنون الحقيقيون فلا... يجب ألا يساور أحدهم أدنى شك في طهارة أخيه حتى يثبت الدليل القاطع الذي لا يحتمل الشك والجدل بعكس ذلك.

ولذلك فقد ناقش ابن كثير في سياق تفسيره هذا الأمر مقدماً دليلاً منطقياً فقال:

«فإن الذي حدث لم يكن ريبة ولو كان فيه ريبة لما جاء صفوان رضي الله عنه بهذه الطريقة بل يكون هذا لو قدر خفية مستوراً فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة»^(٢).

الشاهد الثاني:

«إذ تلقونه بالسستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم» (النور: ١٤).

- وجوهر الإعلام هو الكلمة والقول من قديم الزمان، فالكلمة هي الصورة الرمزية الأولى التي ابتكرها الإنسان للتعبير عن الأفكار والصور العقلية ثم جاءت الصورة والحركة والظلال وأساليب التعبير والتأثير الأخرى، ومسؤولية الكلمة في الإعلام ليست مجرد مسؤولية عابرة، بل يجب أن ترتبط بمنهج

(١) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٧٤.

التفكير الإعلامي الذي يتبنى قواعد الإعلام الراشد القائم على نشر الحقائق وإشاعة الفضائل وتنمية الثقة بالنفس وتوعية الضمير وإحياء القلوب، وتذكيرها دائماً بخالقها، والغاية من وجودها، ومقاومة كل ما يحول بين تأثير الإعلام الراشد في نفوس الأفراد والمجتمعات وهذه المسؤولية دينية في المقام الأول وتجاوزها يرقى إلى درجة ارتكاب المعصية.

إن الإشاعة أقوال يرددها اللسان، وتقع على أجهزة السمع فإذا كان القول بلا علم أي بلا معرفة بحقيقة الخبر فإن ذلك يؤدي إلى اضطراب عملية الإدراك، وتضليل الاستدلال وهذا يساعد على قلب الحقائق، وضياغ خاصية الثبات في العقيدة والسلوك، ويفقد النظام الاجتماعي هيئته وسلطانه، ومن وظيفة الإيمان السليم أن يوجه الطاقات العقلية في طريق إيجابي منتج، وأن يتعد عن إهدار هذه الطاقات في عمليات الهدم والتخريب بالنهش في أعراض المؤمنين وتشويه سمعتهم والقذف مما يربك الحياة الشخصية للفرد والحياة العامة للأمة.

الشاهد الثالث:

﴿لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ (النور: ١٣).

إن إثبات الكذب على مروجي الإشاعات يتطلب مستويين من الإدراك:

الأول: يتكون بالتربية والتثقيف وبناء العقيدة السليمة التي صدر منها قول أبي أيوب رضي الله عنه لزوجته. وهو برهان وجداني داخلي يحسن الظن بالمؤمنين جميعاً.

الثاني: طلب الدليل الخارجي أي الإثبات عن طريق الشهود والأدلة. وهذه الآية تتناول هذه المرحلة من الإثبات فإذا لم يقدم المنافقون ومروجو الإشاعات الدليل فإن ما يشيعونه هو الكذب الصراح. ويحق حينئذ أن ينالوا عقابهم وهو حد القذف.

الشاهد الرابع :

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونُ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

١ - قال الزمخشري في الكشاف: المعنى : «يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة»^(١).

٢ - وقال ابن كثير: «أي يختارون ظهر الكلام عنهم بالقبيح» وهذا تأديب «لمن سمع شيئاً من الكلام السيء فقام بذمّه شيء منه وتكلم به فلا يكثّر منه ولا يشيعه ولا يذيعه»^(٢).

٣ - وقال سيد قطب:

لأن هذا الحب لنشر الفاحشة عن قصد يعمل على :

«زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها بذلك تشيع الفاحشة في النفوس لتشيع بعد ذلك في الواقع»^(٣).

فإظهار الكلام عن عورات المسلمين والرغبة فيه سلوك اختياري يترتب عليه في منهج الإسلام عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

وهذا لا بد يقودنا إلى ملاحظة ما يصدر عن وسائل الإعلام في الشرق والغرب وحتى في بعض بلاد المسلمين عن قصد أو غير قصد من مواد لا يراعي فيها تقوى الله وتكون من عوامل تزيين الفاحشة عن طريق الإيحاء وخاصة وسائل الإعلام غير الرسمي التي تطورت نتيجة للتقدم الهائل في صناعة (الإلكترونيات) والآلات.

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٠٣.

الشاهد الخامس :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ (النور: ٢١).

رسم القرآن الكريم في هذه الآية صورة معبرة منفردة من ارتكاب الإثم بأن جعل من ينزلق إلى إثارة الفاحشة عن المؤمنين وإشاعتها كمن يتبع الشيطان في خطواته وليس أحط درجة في حياة الإنسان من أن يتبع عدوه إلى مهلكه لأن الشيطان عدو للإنسان.

قال الأستاذ سيد قطب في توضيح أثر هذه الصورة من الناحية الإعلامية :

«صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن، ويرتجف لها وجدانه، ويقشعر لها خياله، ورسم هذه الصورة ومواجهة المؤمنين بها يثير في نفوسهم اليقظة والحذر والحساسية»^(١).

وهذه الصورة نموذج إعلامي معبر في سياق منهج القرآن في تثبيت العقائد الأساسية في قلب الإنسان المسلم، فإن العدو الأول للإنسان هو الشيطان الذي يزين كل رذيلة، ويغري بكل فاحشة، وكذلك شياطين الإنس الذين وظفوا أقلامهم وآلاتهم وقلوبهم وعقولهم لتزيين الفواحش ونشر الفساد في الأرض فالذين آمنوا منهيون عن اتباع خطوات الشيطان وهذا الجزء من الآية الكريمة ﴿لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ صورة إعلامية فذة تصور من ينجر في تيار الإثم بشتى صوره القولية والعملية أبلغ تصوير.

وأخيراً نختم هذا العرض بقول للزمخشري في الكشف يعرض فيه ضخامة الفرية التي افترها المنافقون على عائشة رضي الله عنها.

قال الزمخشري رحمه الله :

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٠٤.

«لو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم ترَ الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفضاع ما أقدم عليه مما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كافٍ في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفي بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة»^(١).

(١) الزمخشري، الكشف، ج ٣، ص ٥٦.

٢ - التوبة على الذين خلفوا

الحدث : تخلف بعض المسلمين عن غزوة تبوك^(١).

حددت سورة التوبة منهج الإعلام الإسلامي في مواجهة وتفسير الأحداث، ذلك المنهج الذي لا تختلط فيه الألوان ولا تتداخل، وإذا ما حدث ذلك جاء الوحي كاشفاً وموضحاً ومعلناً ومعلماً.

ومع أن كل مواقف الدعوة كانت جهاداً ومعاناة ومجابهة، وقرارات عظمى أثرت في أمور الدين والدعوة والدولة وهزت الأوضاع الجاهلية وهزمتها، فإن ظروف غزوة تبوك (غزوة العسرة) تتمايز من بين جميع المعارك بمعالم كبرى:

١ - فهي ثاني صدام مع دولة الروم إحدى القوتين العظميين قبيل البعثة والصدام الأول كان غزوة مؤتة.

٢ - أنها تمت في ظروف قاسية وفي وقت عسرة على الناس في كل

شيء.

(١) تبوك: تبوك مشتقة من البوك وهو تشوير الماء وتشوير العين يعني عين الماء يقال: باك العين يبوكتها.

وفي الحديث: «أنهم باتوا يبوكون حسي تبوك بقدح» فلذلك سميت تبوك أي يركون ويدخلون فيه القدح وهو السهم ليخرج الماء (لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٨٥) جاءها النبي ﷺ وهم يبوكون مكان مائها بقدح فقال: ما زلت تبكونها فسميت حينئذ تبوك.

٣ - أنها غزوة تمت في السنوات الأخيرة من العهد المدني، وبعد أن دانت دولة الكفر في مكة لسلطان الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

٤ - أن رسول الله ﷺ غيّر خطته في هذه الغزوة، فقد أخبر الناس بوجهته وأعلمهم بهدفه ليستعدوا كامل الاستعداد.

٥ - أنها تمت عندما طابت الثمار والزروع، وكان ذلك من عوامل ميل البعض إلى البقاء ليتمتعوا بثمارهم وزروعهم.

٦ - أنها كانت آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ^(١).

٧ - أنه أثناء التهيؤ لهذه الغزوة وأثناء مسير المسلمين لملاقاة عدوهم، وبعد عودة الرسول ﷺ والمسلمين من الغزوة، حدثت أحداث كبرى سجلتها كتب الحديث والسير. فقلما زحرت غزوة من غزوات رسول الله ﷺ الكثيرة بهذا العدد الهائل من الأحداث، التي كانت مناسبة لوضع أسس التشريعات التي حددت معالم العلاقات، وأرست نظم المعاملات بين مكونات المجتمع الإسلامي، والعلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الجماعات مما جاء به سورة التوبة.

وقد رجّح الأستاذ سيد قطب في الظلال. أنها نزلت في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: منها كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام^(٢).

المرحلة الثانية: كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثنائها.

المرحلة الثالثة: كانت بعد العودة منها^(٣).

وتقدم لنا أحداث السيرة زمن غزوة تبوك وآيات سورة التوبة، الكاشفة

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤، تحقيق مصطفى عبد الواحد (بيروت: دار المعرفة،

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ص ٦٦.

(٢) عام تسعة هجرية.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد ٣، ص ١٥٦٤.

لمواقف الأفراد والجماعات من قضايا الجهاد والبيعة والمتابعة مقياساً لدراسة تصنيفية للمجتمع الإسلامي في ذلك الحين فنجد الجماعات الآتية :

أ - السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهم خلاصة حركة التربية القرآنية، منذ بدء الوحي مع الرسول ﷺ وعبر عمليات الصهر والتشكيل والفرز الدائم في بوتقة المعارك والمحن وعلى محك الواقع وحسب مراحل فارقة منها :

بدر الكبرى، وبيعة الرضوان، وفتح مكة، وغزوة تبوك وتميز من هؤلاء بصفة عامة :

- السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.

- أهل بدر.

- أصحاب بيعة الرضوان.

- الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا.

ب - المنافقون : ومنهم فئة خطيرة وصفها القرآن الكريم بأنهم مردوا على النفاق وكان منهم جماعات كثيرة في المدينة زمن غزوة تبوك، وليس أدل على ذلك ما ورد في سيرة ابن كثير رواية عن ابن إسحاق :

«ثم استتب برسول الله ﷺ سفره، واجمع السير، فلما خرج يوم الخميس، ضرب عسكره على ثنية الوداع، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس، وضرب عبد الله بن أبي عسكره. أسفل منه - وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين».

وأنه لأمر ملفت للنظر حقاً : فإذا لم يكن عسكر رأس النفاق أكثر من عسكر المؤمنين الصادقين فإنه قد يساويه ولم يكن بأقل منه . .

وجماعات المنافقين ظاهرة أفرزتها المراحل المختلفة للدعوة القائمة على الصدام الدائم مع الباطل والالتزام الدقيق بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية والتسليم بالحاكمية المطلقة لله ولرسوله، مما لم يتمكن المنافقون من

فهمه، والتجانس مع جماعات الإيمان الصادق.

ج - الأعراب: حول المدينة: وما تأصل في طبيعتهم من جفاء وغلظة ونفاق، وكان لهؤلاء أدوار كثيرة في الهجوم على دار الإسلام بالمدينة قبل إسلامهم ولكنهم في زمن هذا الحدث كانوا فئتين:

الأولى: فئة دأبت على النفاق والكيد للإسلام والتربص بالمسلمين.

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾ (التوبة: ٩٨).

الثانية: فئة خالطت قلوبها بشاشة الإيمان، يبتغون بما ينفقون قربات إلى الله.

﴿ومن الإعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم﴾ (التوبة: ٩٩).

د - وبين هؤلاء وهؤلاء كانت جماعة خلطت عملاً صالحاً وآخر فاسداً وتاب الله عليهم وهم أبو لبابة رضي الله عنه وجماعته.

هذه كانت صورة الجماعات المكونة للتركيبة البشرية الاجتماعية في مجتمع المدينة قبيل غزوة تبوك (غزوة العسرة).

ولكي تكتمل صورة الأحداث الممهدة لا بد من عرض أسباب غزوة تبوك:

١ - لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش لتنقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها.

فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون^(١).

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣.

فغزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وإلى أهله.

٢ - بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء فندب رسول الله ﷺ الناس إلى الخروج^(١)

العسرة والتخلف عن الغزو

كانت غزوة تبوك امتحاناً كبيراً للإيمان الصادق. الملتزم، مهما كانت الظروف والأحوال، ومهما كان نوع الأعداء وعددهم وعدتهم، فإن المسلمين خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد، كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة^(٢).

«وكان الرسول ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمن العسرة من الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاء، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه»^(٣).

وفي مثل هذه الظروف التي خرج فيها المؤمنون الصادقون الذين بايعوا الله ورسوله على الجهاد فقد تخلف عن الرسول ﷺ وعن جيش المسلمين جماعات معينة، وهذا التخلف هو الحدث البارز من بين أحداث هذه الغزوة الكبرى.

وكان التخلف أمراً طبيعياً من المنافقين الذين خانوا الله ورسوله ولطالما

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٧ م) ص ١٦٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ١١١.

(٣) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٤، الصفحات ١٦٩، ١٧٠.

خذلوا الرسول ﷺ، وأشاعوا الإشاعات، وتقولوا الأقاويل، وكانوا عامل تخذيل دائم للمسلمين، وعامل تشويه فكري، وتشويش إعلامي في المجتمع الإسلامي، وكان الرسول ﷺ يتقبل منهم تلفظهم بالإسلام ويترك أمر سرائرهم لله وحده ليكشف حقيقتهم ويفضحهم.

أما تخلف بعض من عرف منه الإيمان الصادق والمتابعة لرسول الله فهو الأمر المستهجن والمستنكر والذي دارت عليه أحداث كبرى طوال خمسين يوماً بعد عودة المسلمين من الغزوة.

وباستعراض فئات المتخلفين عن الغزو، ننتهي إلى كعب بن مالك ورفيقه الذين نزلت التوبة عليهم قرآناً يتلى.

هؤلاء الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم بالمسجد وصدقوا رسول الله ﷺ واعترفوا بذنوبهم فكان لهم مع الوحي شأن آخر وهم:

- ١ - كعب بن مالك من بني سلمة.
- ٢ - مرارة بن الربيع العمري . من بني عمرو بن عوف بن الخزرج .
- ٣ - هلال بن أمية الواقفي .

هذه فئات المتخلفين عن الغزو مع رسول الله ﷺ مع اختلاف في الدوافع والأحوال، ولكن الأمر الذي نبخته في هذا الظرف هو أنه قد حدث تخلف وأصبح أمراً واقعياً وحدثاً كبير الأثر في المجتمع الإسلامي في ذلك الزمان وفي كل الأزمان . . . ولذلك جاءت آيات سورة التوبة ترسم منهجاً إعلامياً علنياً، يعتمد الصراحة المطلقة في الكشف عن السرائر، ويصنف ويفرز العناصر البشرية المكونة للمجتمع . . والحقيقة أن العلن والصراحة والوضوح هي سمات بارزة لحقائق الإعلام الإسلامي في هذه الغزوة سواء في أقوال الرسول ﷺ وأعماله، أو في أخبار الوحي في كشفه وتعريته لكثير من مواقف المنافقين والمتخلفين بلا عذر حقيقي، وفي تأصيله للتشريعات الحاكمة للسلوك الفردي والسلوك العام.

ولعل دراسة مدققة لحديث كعب بن مالك رضي الله عنه وهو الوثيقة

الثانية بعد آيات سورة التوبة التي رصدها هذا الحدث وسجلته تسجيلاً وثائقياً أميناً وتاماً. . . نقول إن مثل هذه الدراسة ربما تطلعنا على مزيد من تفاصيل هذا الحدث الفريد في تاريخ الدعوة. . .

إن تخلف هؤلاء النفر الثلاثة لم يكن عن شك أو ارتياب أو نفاق فقد «أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب»^(١).

وكان أبو خيثمة رضي الله عنه من رهطهم، غير أنه لم يتردد لحظة فركب جملة لتوه ولحق برسول الله ﷺ.

القاعدة الأساسية في حديث كعب بن مالك هي المواجهة العلنية للحدث والصدق المطلق الذي كان سبباً للنجاة والتوبة:

- العلقن في ذكر رسول الله ﷺ لكعب بن مالك في تبوك.
- والعلقن والصدق في الاعتراف بين يدي رسول الله ﷺ.
- العلقن في قبول الرسول ﷺ لكلام كعب بن مالك رضي الله عنه.
- العلقن والحسم النبوي في مقاطعة كعب بن مالك ورفاقه حتى يحسم أمرهم خبر الوحي.

يقول كعب رضي الله عنه:

«ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة». «من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا». «حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ولبشنا على ذلك خمسين ليلة»^(٢).

ويتطور الحدث تصاعداً مع كعب بن مالك وصاحبيه فيعتكف صاحبهما في بيتيهما يبكيان أما هو فيقول: «فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٧٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ١١٤ - ١١٥.

فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة. فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني»^(١).

وفي تطور آخر للحدث :

يتجول كعب رضي الله عنه في سوق المدينة فإذا نبطيّ من أهل الشام قدم يبيع الطعام في المدينة يدفع له كتاباً من ملك غسان فيه :

«أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك»^(٢).

فلا يتردد كعب لحظة بعد أن واجه نفسه واعترف بين يدي رسول الله ﷺ في إلقاء كتاب ملك غسان في التنور ليحترق ويحترق تأثيره وتحترق قيمته وكأنه ما كان. فلما مضت أربعون ليلة من الخمسين أمره رسول الله أن يعتزل زوجته ولبث بعد ذلك عشر ليالٍ حتى :

«كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت».

وحينئذ جاءت التوبة عليه وعلى رفيقه إعلاناً خالداً أعلنه «صارخاً أوفى على جبل سلع» قائلاً :

- يا كعب أبشر.

فخر كعب رضي الله عنه ساجداً وعرف أن قد جاء فرج. وأعلن رسول الله ﷺ التوبة على الثلاثة حين صلى صلاة الفجر وتقدم

(١) ابن حجر: نفس المرجع السابق، ج ٨، ص ١١٥.

(٢) ابن حجر، المرجع السابق ص ١١٥.

المسلمون يهنتوهم بالتوبة .

فذهب كعب لتوه إلى رسول الله ﷺ :

«وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت :

«يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله ﷺ : «أمسك عليك بعض مالك» قلت :

«فإني أمسك سهمي الذي بخير» .

فقلت يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت .

وفي هذا الحدث أنزل قوله تعالى في سورة التوبة :

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ .

ويفسر كعب بن مالك في حديثه : المقصود بقوله تعالى : ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ .

«وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال تعالى : ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ .

وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف واعتذر إليه فقبل منه»^(١) .

(١) ابن حجر، نفس المرجع السابق، ص ١١٦ .

الباب الثاني

المصادر النبوية للأخبار

الفصل الأول : المصادر النبوية غير العسكرية .

الفصل الثاني : المصادر النبوية العسكرية .

الفصل الأول

المصادر غير العسكرية

- أ - الوفود .
- ب - الرسائل .
- ج - الأفراد .
- د - الرعاية .
- هـ - التجار .

(أ) الوفود^(١)

سميت سنة تسع من الهجرة بسنة الوفود، لأنها شهدت قدوم العرب إلى رسول الله ﷺ، مبايعة على الإسلام، وذلك بعدما فُتحت مكة، وفرغ رسول الله ﷺ من تبوك، وأسلمت ثقيف، وبايعت، وأظهر الله تعالى دينه، ونصر نبيه على المشركين واليهود، وعلم من كان متردداً من العرب، أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الرسول حق، ذلك أن العرب كانت: «تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله ﷺ»^(٢) فقريش كانوا إمام الناس، وأهل البيت الحرام، ومن سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكل العرب يعرفون ذلك في قريش، وقريش هي التي تزعمت محاربة الرسول وناصبته العداء من البداية، فلما فتح الله مكة لرسوله، ودانت قريش، عرف العرب أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ فدخلوا في دين الله أفواجاً.

ويؤيد ذلك حديث عمرو بن سلمة :

(١) الوفود: جمع وافد، وهو مشتق من الفعل وفد. تقول: (ولقد فلان، يفد وفادة: إذا خرج إلى ملك أو أمير، وفد عليه واليه يفد وفداً ووفوداً ووفادة وإفادة - فهو وافد. وأوفده عليه، وهم الوفد، والوفود، فأما الوفود فاسم للجمع وقيل جمع، وأما الوفود فجمع وافد، تقول وفد فلان على الأمير أي: ورد رسولاً فهو! وافد، وأوفدته إلى الأمير: أرسلته).

ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٨٠.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢٥.

«وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح ، بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال :

«جئتمكم والله من عند النبي ﷺ حقاً»^(١) .

إذن كان فتح مكة والطائف برهاناً عملياً ، ودليلاً منطقياً ، من بين الأدلة الهائلة العديدة التي أقنعت كثيراً من العرب الذين تأخر إسلامهم للوفود إلى رسول الله ﷺ للبيعة والدخول في دين الله وتعلم أصول الدين الجديد .

وكانت الوفود بالصورة التي رسمتها لها كتب الصحاح والسنن والسير ظاهرة اتصال عظيمة الأثر في نشر الدعوة والإعلام بالدين الجديد ، وكانت وسيلة هامة لنقل الأخبار من عاصمة الدولة الإسلامية إلى كافة الأقطار وبالعكس فقد كانت هذه الوفود تحمل معها أخبار قبائلها . . . وقد تنوعت هذه الأخبار وتعددت أشكالها ، وتعدد حاملو هذه الأخبار ، ولكن كلها كانت تنبع من مصدر واحد وتدور حول محور أساسي أصيل ، وهو تعلم الدين الجديد فكانت وسيلة هامة لنشر الإسلام بين القبائل في طول الجزيرة العربية وعرضها .

وقبل أن نستطرد في توضيح القيمة الإخبارية للوفود نشير إلى أن بعض الوفود قدمت إلى المدينة في وقت مبكر أي قبل السنة التاسعة ، فقد كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مضر أربعمائة من مزينة وذاك في رجب سنة خمس^(٢) ووفد أشجع وكانوا مائة رجل ورئيسهم مسعود بن رخيعة قدموا عام الخندق .

وَوَفَدُ خُشَيْنٍ وَمِثْلَهُمْ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسْنِيِّ وَرَسُولُ اللَّهِ يَتَجَهَّزُ إِلَى خَيْبَرَ فَشَهِدَ مَعَهُ خَيْبَرَ ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِضِعْفَةِ عَشْرِ رِجَالًا مِنْهُمْ فَأَسْلَمُوا^(٣) .

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٦ - ١٨٢ .

وكذلك وفد من عبد القيس وهم من ربيعة بن نزار - وفدان : الأول قبل الفتح وكان ذلك قديماً : إما في سنة خمس أو قبلها وكانوا يسكنون جواثي أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة ، وكان عدد وفدهم الأول ثلاثة عشر رجلاً ، والثاني كان في سنة الوفود وكان عددهم أربعين رجلاً .

واستدل ابن حجر على الوفد الأول من قول وفد عبد قيس لرسول الله ﷺ : إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم ، حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة ودعونا من وراءنا» الحديث^(١) وهذا دليل على إسلامهم قبل وفادتهم الثانية في عام الوفود .

وكان في الوفد في المرة الأولى الأشج الذي قال له النبي ﷺ إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة» الحديث .

وكان في الثانية الجارود العبدي الذي كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه . واستشهد ابن حجر بتعدد الوفادة من عبد القيس بما أخرجه ابن حبان من وجه آخر أن النبي ﷺ قال لهم في وفادتهم الثانية على الأرجح : «مالي أرى ألوانكم تغيرت» ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير»^(٢) .

ومن الوفود التي قدمت المدينة قبل عام الوفود ، وفد ثعلبة عام ثمان من الهجرة ، ووفد سعد بن بكر في رجب سنة خمس هجرية ، فقد ذكر ابن كثير في السيرة النبوية نقلاً عن الواقدي حديث ابن عباس قال :

«بعثت بنو سعد بن بكر في رجب سنة خمس ضممام بن ثعلبة وكان جلدأ أشعراً ذا غدير تين وافداً إلى رسول الله ﷺ . .» الحديث^(٣) .

وأورد ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى وهذا الحديث مخرج في

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٨٥ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، نفس المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) ابن كثير السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

الصحيحين وغيرهما بالفاظ وأسانيد كثيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وقد جاء في سيرة ابن هشام أن رفاعه بن زيد الجذامي وفد إلى رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر وكتب له كتاباً يكلفه بدعوة قومه إلى الإسلام :

«فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين»^(١).

فلما قدم رفاعه إلى قومه أجابوا وأسلموا .

إذن كانت هناك وفود قدمت إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ قبل عام الفتح وقبل السنة التاسعة وهي عام الوفود .

ومن تتبعنا لمختلف الروايات عن الوفود التي جاءت إلى رسول الله ﷺ ، نلاحظ بوضوح الوظيفة الإخبارية لهذه الوفود فهي ما أقبلت إلى المدينة أصلاً إلا لأنها تواترت إليها أخبار الدعوة أولاً ثم أخبار الحوادث المتتابعة في نشر الدعوة وأخبار المعارك والغزوات والسرايا والبعوث التي كانت تنتشر في جميع الأرجاء ، وأخبار الانتصارات الباهرة . التي حققها الدين الجديد على جحافل الكفر والشرك ، وهي أيضاً جاءت مدفوعة بمعرفتها للأخبار لتتعلم من رسول الله ﷺ - رأس الدولة وزعيمها وقائد قافلة الدين الجديد - . . جاءت لتتعلم أصول هذا الدين الجديد وفرائضه .

وهذا هو الأمر المشترك بين هذه الوفود وهذا لا ينفي أن هناك أغراضاً أخرى لبعض الوفود ومن ذلك قصة وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس اللذان تأمرا - لعنهما الله - على قتل النبي ﷺ فلما لم يمكنهما الله من ذلك تولى عامر وهو يهدد «أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً» .

فدعا رسول الله ﷺ «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» فأصيب بالطاعون . وأما أربد فقتلته صاعقة من السماء .

(١) ابن هشام ، سيرة النبي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٧ .

وعامر هذا هو الذي يقول عند موته :

«أغدة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية» .

غير أنه كانت ترد خلال المناقشات والمفاوضات أخبار مختلفة حملتها هذه الوفود من أخبار الدعاة والبعوث وأخبار البلاد التي جاءت منها . وكان الرسول ﷺ يسأل بنفسه عن هذه الأمور كلها وأحياناً يبادر رئيس الوفد أو عضو من أعضائه بالسؤال عن أمر من أمور الدين أو الدنيا فيتلقى الإجابة من رسول الله ﷺ . فهذا ضمام بن ثعلبة موفد سعد بن بكر يسأل الرسول ﷺ عن أرسله؟ وبما أرسله؟ وسأل عن شرائع الإسلام . فأجابه الرسول ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد وأخبرهم بما أمرهم به رسول الله ونهاهم عما نهى عنه فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً وبنوا المساجد وأذنوا بالصلوات^(١) .

وكان في وفد كلاب في السنة التاسعة جبار بن سلمى الذي كان بينه وبين كعب بن مالك صداقة ، فبلغ كعب قدومهم فرحب بهم وهدى لجبار وأكرمه وخرجوا مع كعب فدخلوا على رسول الله ﷺ فسلموا عليه بسلام الإسلام وقالوا :

«إن الضحَّاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وبسنتك التي أمرته وأنه دعانا فاستجبنا لله ولرسوله ، وأنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فردها على فقرائنا»^(٢) .

ولما وفد وفد ثعلبة سنة ثمان قالوا :

نحن رسل من خلفنا من قومنا ، ونحن وهم مقرون بالإسلام فأمر الرسول ﷺ لهم بضيافة وأقاموا أياماً ثم جاءوا اليودعوه عند عودتهم .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

فهذا الوفد كأنه أعطى تقريراً إخبارياً عن حالة قومهم وإقرارهم بالإسلام.

وقد حمل وفد عبس خبراً عن نشاط الدعاة وعملهم في تبليغ الدعوة وتعليم الناس أمور دينهم وجاءوا يسألون النبي ﷺ عن أمرهم فقد قالوا:

«قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواشي هي معاشنا فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا».

فطمأنهم ﷺ قائلاً:

«اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً ولو كنتم بصمد وجازان»^(١).

وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان.

فقالوا: لا عقب له.

فقال: «نبي ضيعه قومه».

وسأل الرسول ﷺ كذلك وفد فزارة وهم بضعة عشر رجلاً عن بلادهم فقال أحدهم: يا رسول الله أسنت بلادنا، وهلك مواشينا، وأجذب جنابنا، وغرث عيالنا فادع لنا ربك.

فصعد رسول الله ﷺ المنبر ودعا فأمطرت السماء ثم دعا فانجاب السماء عن المدينة انجياب الثوب.

وتزداد القيمة الإخبارية للوفود إذا علمنا أن القبائل غالباً كانت توفد وجوهها وعقلاءها وأهل الرأي فيها إلى رسول الله ﷺ، إلا ما كان من حالات فردية كان يفد الرجل إلى رسول الله ﷺ مدفوعاً برغبته في الإسلام حتى لو خالف قومه أو بدوافع فردية أخرى.

ولكن غالبية الوفود جاءت بتكليف من قبائلها، أو من رؤساء وملوك هذه

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٩٦.

القبائل ومن الأمور المعروفة عن هذه القبائل انقيادها شبه التام لرؤسائها وشيوخها، وكان هؤلاء الرؤساء يأتون بأخبار قبائلهم وبلادهم، ثم يعودون بأخبار ما سمعوا وما رأوا وما عاشوا في جوار رسول الله ﷺ، وكانت هذه الوسيلة المباشرة للإتصال من أهم عوامل نقل الأخبار على حقيقتها ولنا أن نتصور الآن حركة دائبة للأخبار من وإلى المدينة كانت الوفود وسيلة هامة من وسائل نقلها، وإذا عتتها، ومن أهم ما أطلعت عليها الوفود في زيارتها لعاصمة الدولة. آنذاك، الشخصية العظيمة لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه ﷺ من الشرائط التي كذبت بأسلوب عملي كل ما كان يذيعه المشركون وينشرونه من الشائعات والأباطيل وأساليب الحرب النفسية عن الرسول والقرآن الكريم:

من شدة في التمسك بما أوحى إليه من العلم في مقابل علوم الجاهلية وما كان في المجتمع الإسلامي من علاقات ومعاملات أقامها الدين الجديد ورأوا وسمعوا بأعينهم كثيراً من المعجزات في إخبارهم بأمر عن بلادهم وهم عنده جلوس في ضيافته ﷺ:

من ذلك ما أخبر به ﷺ وفد جرش وهم حضور عنده عن قتل صرد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه لهم عندما أمره عليهم.

وأمره أن يحارب بمن أسلم من لم يسلم وقد أوقع بأهل جرش ومن انضم إليهم من خثعم هزيمة نكراء عند جبل شكر وأخبر رسول الله ﷺ وفد جرش بهزيمتهم وهم جلوس عنده وصحح لهم اسم جبل شكر عندما نطقوه كثر.

وقد حمل وفد فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان في (الأردن حالياً) خبر إسلام فروة وأرسل معه هدية للنبي ﷺ بغلة بيضاء.

أما تميم الداري رضي الله عنه فقد جاء بخبر عن الجساسة والرجال اللذين قابلهما في جزيرة منعزلة عندما تاهت به سفينته وذهب يلتمس الماء من الجزيرة فقابل الجساسة ثم توغلا في الجزيرة فقابلوا الدجال.

ولما حدث تميم الداري رضي الله عنه بهذا الحديث قال الرسول ﷺ :
« هذه طيبة وذاك الدجال ».

ومن الملفت للنظر أن أخباراً شخصية بحثة من مناطق بعيدة كانت تصل إلى المدينة ليقتضي فيها الرسول ﷺ وكانت بعض هذه الأخبار تنشأ عن حوادث نتجت عن دخول العرب أفراداً وجماعات في الدين الجديد ومن ذلك ما أخبر به أعشى بني مازن واسمه عبد الله الأعور - رسول الله ﷺ عن نشوز زوجته والتجائها إلى شخص آخر يدعى مطرف بن نهشل أثناء ذهاب زوجها لقضاء حاجة عياله من (الإحساء الحالية) وعندما رفض مطرف رد زوجته إليه خرج الأعشى حتى أتى النبي ﷺ .

فأنشده شعراً يستجير به، وشكا إليه امرأته فكتب رسول الله ﷺ إلى مطرف :
« انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه »^(١).

وردّ زوجته إليه امثالاً لأمر رسول الله ﷺ بعد أن أخذ عليه العهد ألا يعاقبها.

ومن الوفود المتأخرة التي حملت أخبار إسلام أقوامها وفد خولان من اليمن وهم عشرة فقالوا: يا رسول الله .

«نحن على من وراءنا من قومنا، ونحن مؤمنون بالله عز وجل، ومصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وقد ركبنا الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : -

«أما ما ذكرت من مسيركم إليّ فإن لكم بكل خطوة خطاها بغير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين فإن من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة»^(٢).

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٤٣.

(٢) ابن التميم، زاد المعاد في هدى خير العباد، المجلد الثاني ج ٣، ص ٥٠، ٥١ الرجوع السابق، ص ٥٠.

وسألهم رسول الله ﷺ عن صنم خولان «عم أنس» فبشروه بأن الله «بدلنا به ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله فقد كنا منه في غرور وفتنة»^(٣).

وجرت بين الرسول ﷺ وبين الوفد مناقشة عن فتنة الصنم لهم فأخبروه ما كانوا يفعلون عن جهالة وغفلة وحمدوا الله تعالى على الهدى وعلى أن بعث لهم الرسول ﷺ.

وكانت الوفود من ناحية أخرى عاملاً من عوامل «ولادة الأحداث» التي تنتقل أخبارها وتنتشر فما كان يسمعه الوفد ويراه ويعيشه من أحداث الدعوة كان هذا الوفد عاملاً في إيجاده وبالتالي يتولى نقل أخباره، وهذه العملية الدائمة جعلتنا نتصور طبيعة جديدة لمصدر الخبر في العهد المدني فمصدر الخبر الذي يخدم الدعوة ويدعم أركان الدولة وينشر الدين الجديد كان مصدراً مباشراً يعتمد غالباً على الاتصال الشخصي وهو أهم أساليب الدعوة والإعلام وأقواها أثراً، وهذا الأسلوب ذو طبيعة شبكية له بداية وليس له نهاية.

وكانت الوفود باعتبارها مصادر للأخبار تحمل أخباراً من كل الأنواع وتأتي بها إلى النبي ﷺ. وبعض هذه الأخبار كان يحصل عليه الرسول ﷺ بمبادرة من أعضاء الوفد، وبعض هذه الأخبار كان يحصل عليها عن طريق سؤاله للوفد، غير أنه ﷺ استخدم هذه الوفود التي أقبلت عليه من كل صوب وبكثافة لتنتقل هي الأخبار بدورها إلى قبائلها وشعوبها وبلادها بالطريقة المعروفة «برجع الصدى» في العمليات الإعلامية. ونحن نعرف تأثير الكلمة في النفس العربية وخاصة في الجاهلية، وكانت عبارات تصدر من الرسول ﷺ تعبر عن واقع الحال عند بعض الأفراد أو الزعماء أو الرؤساء الوافدين، يكون لها وقع عظيم في نفوس هؤلاء وقبائلهم. من ذلك: ما قاله ﷺ لوفد عبد القيس:

«مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى»^(١).

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٨٥.

وخص منهم «الأشج» بقوله ﷺ :

«إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة»^(١).

ومن هذا القبيل أيضاً ما قرره ﷺ من صفات أهل اليمن بقوله :

«أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة . الفقه يمان والحكمة يمانية»^(٢).

وأيضاً حديثه ﷺ في زيد الخيل عندما أقبل في وفد طيء وسماه الرسول ﷺ زيد الخير :

«ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتَه دون» .

«ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه»^(٣).

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً زحرت بها كتب الحديث والسير .

ومن ناحية أخرى فقد كان حضور الوفود إلى المدينة والقرآن ينزل من السماء، ويتلى، موفقاً تجريبياً عاشته هذه الوفود وهي تجد المعجزة القرآنية يتتابع ببيانها بالوحي من السماء فيدرك هؤلاء بأسلوب عقلي حسي تجريبي دليلاً قوياً على صدق الرسول ﷺ :

فهذا وافد بني سليم قيس بن نشبة يرجع إلى قومه بعد أن أسلم فيقول :

قد سمعت ترجمة الروم وهيمنة فارس وأشعار العرب، وكهانة الكهان، وكلام مقاول حمير، فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم فأطيعوني وخذوا بنصييكم منه^(٤).

(١) الإمام مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صحيح مسلم، مجلد ١، ج ١ دار الفكر ص ١٩٢ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٩٩ .

(٣) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٤٥ .

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٧٧ .

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا الرسول ﷺ بقديد وهم سبعمائة ويقال: كانوا ألفاً وشهدوا بعد إسلامهم الفتح والطائف وحينئذ.

ولكي تظهر لنا القيمة الإعلامية لهذه الوفود في نقل الأخبار من وإلى المدينة عاصمة الدولة، وتأثير ذلك كله في نشر الإسلام وتوطيد أركان الدولة ونشر الدعوة الإسلامية، نلقي نظرة على الأعداد المشتركة في هذه الوفود فنجدها أعداداً كبيرة، وتظهر ضخامة تأثيرها إذا عرفنا عدد هذه الوفود. وعندما نعلم أن هذه الوفود كانت أعدادها كبيرة، فلنا أن نتصور العلاقات الإتصالية التي تنتج عند عودة هذه الوفود إلى بلادها، وتأثير ذلك في نشر الأخبار الصحيحة، عن كل ما شاهده أعضاء هذه الوفود، يضاف إلى ذلك الأمانة في نقل هذه الأخبار، والدقة والنزاهة والوضوح الناتج من فصاحة العرب وإيجازهم في القول، واحتمال الأمانة وارد لأن من جاء بالإسلام وأسلم قومه معه كان ملتزماً بالخبر الصحيح، ومن وفد مشركاً وعاد مسلماً فإنه يلتزم بما يلتزم به المسلم من قول الصدق والنطق بالحق، وأعضاء الوفود من الصحابة، والصحابة كلهم عدول.

فوفد مزينة من مضر في السنة الخامسة للهجرة كان مكوناً من أربعمائة رجلاً، ووفد من تميم من ساداتهم تسعة نفر، ومن عبد القيس ثلاثة عشر راكباً.

وكان وفد نجران ستون راكباً أمرهم إلى ثلاثة الأسقف والسيد والعاقب.

وكان وفد أشجع مائة راكب، ووفد تغلب ستة عشر رجلاً وبنو مرة عشرون رجلاً.

ومن استعراض مختلف الروايات وما ورد في السير فإن مجموع ما وفد على رسول الله ﷺ عام الوفود يزيد على ستين وفداً.

وهذا يوضح لنا بأسلوب كمي دور هذه الوفود في حمل الأخبار من وإلى المدينة وتأثير ذلك في نشر الدعوة ومراقبة أحوال الدولة، بجانب الوسائل الأخرى المناسبة للظروف والأحوال التي كانت سائدة في جزيرة العرب وفي

خارجها من البلاد والتي وظفها رسول الله ﷺ توظيفاً مثالياً في نشر الدين وبناء الدولة .

إذ المعروف أن تنشأ عن عمليات الاتصال ظاهرة العلاقات الشبكية في الجماعات البشرية ، وهذه العلاقات تتسع دائرتها كلما كانت عمليات الاتصال دائمة ومن يقوم بالاتصال على درجة عالية من الكفاءة .

وهذا هو شأن الوفود وما كان لها من دور كمصدر للأخبار من وإلى المدينة في العهد المدني للدولة الإسلامية .

ب - الرسائل

عرف العرب قبل الإسلام الكتابة واستخدموها على نطاق ضيق وكان من يجيد الكتابة من أهل مكة عدد قليل . ورغم ذلك فقد كانوا ينظرون إلى من يجيدها نظرة احترام وتقدير، فقد اعتبروا الكتابة أحد الأركان الثلاثة لاعتبار الرجل من الكاملين، والركنان الآخران هما: أن يحسن الرجل العوم والرمي . قال ابن سعد في الطبقات «الكامل عندهم في الجاهلية وأول - الإسلام»:

«الذي يعرف يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي»^(١).

ومن الأعمال التي كانوا يستخدمون فيها الكتابة في مكة: المواثيق والعهود، والصكوك، لحساب تجارتهم ومكاتب الرقيق، والنقش على الخواتم والمعلقات والرسائل^(٢).

ورغم أن العرب كانوا يأنفون عن بعض الأعمال ويحتقرون صاحبها فقد زاول مهنة التعليم كبار الأشراف في الجاهلية والإسلام.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى مجتمع الجزيرة العربية قبيل الإسلام

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٤٢.

(٢) علي يوسف السبكي، الرسائل النبوية، ط ١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص ٢٩٨.

بالمجتمع الأمي، ووصف الرسول نفسه بأنه النبي الأمي.. وقال ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»^(١).

وبهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وبدء تأسيس دولة الإسلام، ولا بد لنظام الدولة من جهاز إداري، لذلك شجع رسول الله ﷺ المسلمين على تعلم الكتابة والقراءة وبفضل هذا التشجيع انتشر التعليم في وقت قصير حتى بلغ من كتب للنبي خمسين شخصاً في شتى الأعمال والمناسبات^(٢).

ولم يمضِ طويل وقت على دولة الإسلام الناشئة في المدينة المنورة، حتى وضعت فيها نواة الدواوين، ومن بينها ديوان الإنشاء الذي كان يضطلع بأعباء الكتابة والمراسلات بشتى أنواعها وأغراضها.

ويقوم عليه جهاز أشبه بجهاز «(السكرتارية)» بالمفهوم المعاصر ورغم أن المشهور في تاريخ الدولة الإسلامية أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي وضع الدواوين ونظمها، إلا أن نواة هذه الدواوين كانت في عهد الرسول ﷺ كما ذهب القلقشندي في صبح الأعشى وأخذ برأيه صاحب «كتاب النبي» (بضم الكاف)^(٣).

وكانت هناك هيئة كاملة من الصحابة تخصص كل منهم في نوع من الكتابة.

- فبجانب كتاب الوحي الذين يسجلون القرآن الكريم:
- كان من الصحابة من يكتب إلى الملوك كزيد بن ثابت.
- ومنهم من يكتب المعاهدات كعلي بن أبي طالب.
- ومنهم من يكتب المداينات والعقود بين الناس كعبد الله بن الأرقم.

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد والنسائي (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي).

(٢) محمد الأعظمي، كتاب النبي، ط ١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ١١.

(٣) د. محمد مصطفى الأعظمي، كتاب النبي، مرجع سابق، ص ١٣، ١٤، ١٥.

- ومنهم من يكتب فيما يعرض من الأمور كالمغيرة بن شعبة .
- ومنهم من يقيد الغنائم كمعيقب بن أبي فاطمة الدوسي .
- ومنهم من يكتب خرص الحجاز كحذيفة بن اليمان .
- وكان من بينهم حنظلة الكاتب خليفة لكل منهم إذا غاب عن عمله فغلب على اسمه «الكاتب» وهو حنظلة بن الربيع بن المرقع^(١) .

ومع نشأة دولة الإسلام وزيادة علاقاتها مع الجماعات والقبائل حولها ثم مع بلاد الجزيرة العربية فيما بعد ومع البلاد على أطرافها وخارجها تمشياً مع عموم الدعوة وعالميتها، تنوعت الرسائل وازداد عددها وساعد على تنوعها الأحداث التي نشأت عن الصدام بين الإسلام وبين أعدائه، فكان لازماً أن تستخدم الأساليب الكتابية إلى جانب غيرها من الأساليب لمتابعة هذه الأحداث وحسمها في ضوء أخبار الوحي وتعاليم الدين الجديد .

والعقبة الرئيسية في دراسة الوظيفة الإخبارية للرسائل في العهد المدني هي : أن المراجع المختلفة عرضت للرسائل النبوية الصادرة من المدينة المنورة بشكل مباشر وعلى نطاق واسع، وحرصت هذه المراجع على إفراد أبواب مستقلة لها وتتبع العلماء لمختلف الروايات بشتى الأسانيد .

أما الرسائل الواردة إلى المدينة المنورة فلم يعرض لها معظم المؤرخين والعلماء الذين بحثوا في موضوع الرسائل والمكاتبات إلا نادراً في معرض الحديث عن رد نبوي على رسالة معينة .

وكان لازماً أن نلجأ إلى الاستنتاج المنطقي في كثير من الأحيان معتمدين على عبارات معينة وردت في الرسائل النبوية، أو على روايات الصحابة الذين عاصروا العهد المدني والذين عاشوا تجربة حمل الرسائل وما صاحبها من أحداث كبرى .

ومن بين هذه الرسائل يهمننا في هذا البحث تلك التي كانت تحمل

^(١) د. محمد مصطفى الأعظمي، كتاب النبي، مرجع سابق، ص ١٣، ١٤، ١٥ .

أخباراً إلى عاصمة دولة الإسلام عن الدعوة والدعاة، وعن البعث والوفود، وعن المشكلات التي كانت تواجه حركة انتشار الإسلام، وكذلك الرسائل التي نتجت عنها أحداث وأخبار عن العلاقات بين دولة الإسلام وغيرها من الدول في ذلك الحين.

وقلما نجد نظاماً سياسياً طور جهاز اتصالات لمتابعة الأخبار وجمعها والرد عليها في ذلك الزمان كما فعل رسول الله ﷺ في دولة الإسلام الناشئة.

فالرسل الذين توجهوا إلى الدول المعروفة في ذلك الزمان يحملون رسائل الدعوة إلى الملوك والأمراء والحكام عادوا بأخبار ما عاشوه من تجربة حية وما شاهدوا وما سمعوا من أحداث صنعتها هذه الرسائل أثناء أدائهم للمهمة التي وكلت إليهم. . . ومن القليل الذي وصلنا موثقاً من أخبار هؤلاء الرسل حاملّي رسائل الدعوة إلى أقطار الأرض عرفنا الكثير عن الأحداث الكبرى التي كان لها دور مصيري في رسم خريطة سياسية جديدة للعالم المعروف في ضوء تعاليم الدين الجديد.

فهذا كسرى ملك الفرس يمزق كتاب النبي إليه فيدعو النبي ﷺ بأن يمزق الله ملكه، وقد كان فلم تمضِ سنوات حتى فتح الله على المسلمين مملكته وكانت ثرواته غنيمة للمسلمين.

وهذا هرقل ملك الروم حين وصله خطاب النبي ﷺ مع دحية بن خليفة الكلبي الذي حمله إلى عامل هرقل على بصرى بالشام ليسلمه إليه، يأتي بأبي سفيان بن حرب قبل إسلامه وصحبة له كانوا تجاراً في مدينة غزة بفلسطين فيجري معه نقاشاً عن أمر النبي ﷺ ويدرك بعد تلاوة كتاب النبي وبعد الحوار مع أبي سفيان أنه هو النبي المذكور عند أهل الكتاب في كتبهم.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا.

فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه

ملك بني الأصفر، فما زلت مؤقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام^(١).

ومن الأحداث التي صاحبت كتاب النبي إلى هرقل: أنه عندما رجع إلى حمص وكانت عاصمة ملكه جمع عظماء الروم وقال لهم:

يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وآيس من الإيمان قال: -

ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل.

وأورد (أبو عبيد) في كتاب الأموال أن رسول الله ﷺ كتب إلى «كسرى وقيصر فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم وضعه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«أما هؤلاء يعني كسرى فيمزقون وأما هؤلاء فستكون لهم بقية»^(٢).

وترسم لنا رسائل النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة صورة مشرفة عن الظواهر الإعلامية التي نشأت عن الرسائل عامة وما صنعته من أحداث وما نقل عن هذه الأحداث من أخبار. فلما وصلت رسالة النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري وضعها على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض إجلالاً وإعظاماً ثم أحضر جعفر وأصحابه وأسلم على يدي جعفر لله رب العالمين وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ^(٣).

ولقد كان الحدث الأكبر الذي صاحب الرسائل النبوية للنجاشي حينما أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي وحملتهما

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ص ٣١.

(٣) علي يوسف السبكي، الرسائل النبوية، مرجع سابق، ص ١٣٠ و ١٣١.

بالهدايا ليرد لهم المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة، وما جرى من الحوار بين جعفر رضي الله عنه وبين النجاشي، واتفاق النجاشي مع جعفر على أن يستقل المسلمون السفن التي هيأها لهم إذا ضعف مركزه أمام البطارقة وكتب كتاباً ضمنه أنه: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج على الحبشة وصفوا له فقال: يا معشر الحبشة أأست أحق الناس بكم؟.

قالوا: بلى.

قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟.

قالوا: خير سيرة.

قال: فما بالكم؟.

قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد.

قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟.

قالوا: نقول هو ابن الله.

قال: ووضع يده على صدره على قبائه:

هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئاً وإنما يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له^(١).

وإذا كان لنا أن نستنتج أمراً من هذه الأحداث ومن هذا الموقف في مجال مصادر الأخبار في العهد المدني فلنا أن نقرر أن رسول الله ﷺ كان على صلة تامة بالأحداث تتواتر إليه أخبار الأقطار المجاورة لجزيرة العرب عن طريق وسائل الاتصال المعروفة في ذلك الزمان وإن قصرت وسائله البشرية عن معرفة هذه الأحداث وتتبع أخبارها فقد كان خبر الوحي وسيلة فائقة على

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦٤.

طاقات البشر ترعى رسول الدعوة وتحرس الدين وتأتيه بالخبر اليقين في حينه .
ومن مجموعة رسائل النجاشي إلى رسول الله ﷺ وصلت إليه ﷺ
الأخبار الآتية : -

- إسلام النجاشي الأصحم بن أبجر ومبايعته لرسول الله ﷺ ومتابعته إياه
على الإسلام .

- علم الرسول ﷺ صدق إسلام النجاشي من قوله : -

«وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ﷺ فإني أشهد أن ما تقول حق» .

- امتثاله لطلب الرسول ﷺ أن يزوجه أم حبيبه بنت أبي سفيان .

- وفي رسالة أخرى نقل النجاشي إلى رسول الله ﷺ خبر إرساله
المهاجرين المسلمين الموجودين عنده إلى رسول الله .

«فقد أرسلت إليك يا رسول الله ﷺ من كان عندي من أصحابك»^(١) .

«المهاجرين من مكة إلى بلادي» .

- ذكر النجاشي في بعض رسائله للنبي أنه أرسل إليه ابنه أريحا في
ستين رجلاً من أهل الحبشة .

وفي الرسالة التي أخبره فيها أنه امتثل لأمره بتزويجه بأم حبيبه أخبره أنه
بعث له بهدية .

«وأهديتك هدية جامعة : قميصاً وسراويل وعطافاً» .

«وخفين ساجدين»^(٢) .

ولقد كان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً للروم على معانٍ كتب إلى

(١ ، ٢) د. محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة ،
ط ٣ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٦٩ م) ص ٧٩ و ٨٠ نفس
المرجع ، ص ٩٦ .

رسول الله ﷺ يخبره بإسلامه وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد «لمحمد رسول الله: إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام»^(٣).

ويدل كتاب فروة هذا على أن الكثير من الأمراء والعقلاء وأصحاب الرأي ممن بلغتهم الدعوة ولو بالسماع كانوا يبادرون بالكتابة إلى النبي ﷺ يخبرونه بما عزموا عليه أو بما يحدث في بلادهم من أمور. وقد حفظت في الكتب التي سجلت أحداث السيرة وحركة انتشار الإسلام الرسائل التي تحمل أخباراً سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فلم يبقَ منها إلا القليل ومن هذا القليل عرفنا ما انطوت عليه أحداث السيرة من دلالات إعلامية شاملة.

ولما لنجد أحياناً رد رسالة من النبي ﷺ على أصل لم يصل إلينا ويفهم من هذا الرد أن الرسالة الواردة كانت تحمل أخباراً إلى عاصمة الدولة ومن هذه الرسائل ما يفهم من رسالة النبي إلى زياد بن جهور اللخمي ونصها.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى زياد بن جهور» أما بعد إنه بأرضك رجلاً يقال (له) عمرو بن الحارث قد أفتنهم وأعان على فتنهم فأنه ما استطعت أما بعد: فليوضعن كل دين وأنه الناس إلا الإسلام فاعلم ذلك.

أما بعد فقد أتاني رسولك ولم يصب عندي شيئاً من الشهوات ولن أعتذر من ذلك أما بعد فإنه من أتى من (عمم) قول أبي الحسين بن قانع: (بطن من اليمن) فإنه آمن بأمن الله ومحمد رسول الله واتعد الله ربك وكتب»^(١).

ومن الرسائل ذات الدلالات الإخبارية البارزة أيضاً: الرسالة التي بعث بها المنذر بن ساوى العبدي عامل كسرى على البحرين إلى رسول الله ﷺ يسأله في أمر أهل البحرين قائلاً.

(١) د. محمد حميد الله، مرجع سابق، ص ٩٩.

«أما بعد يا رسول الله : فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم :

- من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه .

- ومنهم من كرهه .

- وبأرضي مجوس ويهود .

- فأحدث في ذلك أمرك»^(١) .

وجاء الرد النبوي توجيهاً بُني على الأخبار التي حملتها رسالة المنذر بن ساوى إلى النبي :

«فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه ، فمن صلى صلاتنا .

واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا .

فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا .

«ومن لم يفعل فعليه دينار من قيمة المعافري»^(٢) .

والسلام ورحمة الله يغفر الله لك» .

ولنا أن نتصور الكثير من الرسائل على نمط رسالة المنذر التي حملت إلى عاصمة الدولة أخباراً عما حدث في البحرين نتيجة لوصول الدعاة وما تلقاه من توضيح عن أحكام الدين فيمن تحت حكمه من المجوس واليهود .

ومن الرسائل التي تعتبر برهاناً ساطعاً على أن الرسائل كانت وسيلة لنقل الأخبار ومصدراً هاماً من مصادرها ما كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه من بلاد بلخارث إذ أرسله الرسول ﷺ إليهم :

«بسم الله الرحمن الرحيم» .

لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ١١٥ .

أما بعد :

يا رسول الله . فإنك بعثني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام .

وأدعوهم إلى الإسلام . فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا أقاتلهم .

* - وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام . كما أمرني رسول الله (ﷺ) وبعثت فيهم ركبانا : يا بني الحارث : أسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يقاتلوا .

* - وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمر الله به وأنهاهم عما نهاهم عنه وأعلمهم معالم الإسلام .

وسنة النبي (ﷺ) حتى يكتب إلي رسول الله والسلام عليك يا رسول الله»^(١) .

ففي الفقرة الثانية من هذه الرسالة الأخبار الآتية : -

١ - امثال خالد رضي الله عنه لأمر النبي بدعوة بلحارث ثلاثة أيام .
٢ - الأخبار عن أسلوب التبليغ وأنه أرسل فيهم فرساناً ينادون فيهن بأن يسلموا .

٣ - الأخبار بأنهم أسلموا بلا قتال .

٤ - أن خالدأ رضي الله عنه يعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي .

٥ - أنه رضي الله عنه منتظر كتاب رسول الله يأمره بما يراه .

٦ - أن خالد مقيم بينهم ينفذ فيهم أحكام الله ويقيم شرعه .

أما كتاب علي رضي الله عنه من اليمن إلى النبي ففيه أخبار عن قصة طريفة وقعت . فذكر أن ثلاثة نفر يختصمون في غلام وأنه قضى بينهم عن

(١) المرجع السابق ، ص ١٣١ .

طريق القرعة فمن قرع له فله الولد وعليه لصاحبه ثلثا الدية فأقرع بينهم فجعل لمن قرع له .

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أضراسه ونواجهه وكان الغرض من هذا الكتاب استفتاء من علي رضي الله عنه للنبي في حكمه في هذه القضية .
فقال رسول الله : لا أعلم فيها إلا ما قضى علي^(١) .

وقد تكون الرسالة الإخبارية من قائد سرية من الصحابة فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتوجه على رأس سرية إلى قبيلة كلب ولما أسلم الأصمغ بن عمر بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم الكلبي وكان نصرانياً وهو رأس القوم كتب بذلك إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث وأخبره أنه أراد أن يتزوج فيهم .

فرد عليه النبي ﷺ أن تزوج تماضر ابنة الأصمغ^(٢) .

ورغم أننا نعلم من تاريخ السيرة أن الطريقة العامة في نقل الخبر كانت هي الطريقة الشفوية مما طبع عليه العرب من قوة الحفظ والاستيعاب تدعمها قدرة عظيمة من الذكاء الفطري التي شهد لهم بها كثير من المنصفين وخاصة في جيل الصحابة والتابعين فإننا نجد الرسائل والمكاتبات وسائل أصيلة لنقل الخبر .

فهذا العباس عم النبي يرسل بخبر اجتماع قريش وتجهيزها لمحاربته بعد ما أصابهم في غزوة بدر .

قال ابن سعد : «وكتب العباس بن عبد المطلب بخبرهم كله إلى رسول الله ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ سعد بن الربيع بكتاب العباس»^(١) .

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، ج ٥، ص ٣٦٧ (رواه أبو داود والإمام أحمد والنسائي) .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧ .

(١) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ص ٢٤٧ .

وهذا دليل آخر على أن الرسائل والمكاتبات كانت من مصادر الأخبار الرئيسية في الدولة الإسلامية في دورها المدني .

وكانت أول ردة في الإسلام باليمن على عهد رسول الله ﷺ على يدي ذي الخمار عبهلة بن كعب وهو الأسود العنسي في عامة مذحج ، خرج بعد حجة الوداع فكاتبته مذحج ، وواعده نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص (أميري رسول الله ﷺ عليهم) .

وأنزله منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث عامل الأسود على فروة بن مسيك ، وهو عامل الرسول ﷺ على قبائل مراد ، فأجلاه ونزل منزله ثم سار عبهلة إلى صنعاء فأخذها .

وكتب بأخبار هذه الفتن إلى عاصمة الإسلام وإلى قائدها فروة بن مسيك المرادي .

ثم لم يلبث مسيلمة أن غلب على اليمامة ثم ادعى طليحة الأسدي النبوة وعسكر بسميراء .

وأول من كتب إلى النبي ﷺ بخبر طليحة : سنان بن أبي سنان وكان على بني مالك .

فحاربهم رسول الله ﷺ بالرسل فأرسل إلى نفر من الأبناء رسولا ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستجدوا رجلا قد سماهم من بني تميم وقيس ، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ، ففعلوا ، ذلك فأصيب الأسود في حياة رسول الله ﷺ قبل وفاته بيوم أو ليلة .

ولظ^(١) طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسل ، ولم يشغله ﷺ ما كان فيه

(١) لظ بالمكان وألظ به وألظ عليه : أقام به وألح .

والإلظاظ : لزوم الشيء والمثابرة عليه ، والملاظة في الحرب : المواظبة ولزوم القتال من ذلك . . . وألظ فلان بفلان : إذا لزمه .

(ابن منظور : لسان العرب : الجزء التاسع - صفحة ٣٤٠) .

من الوجد عن أمر الله والذب عن دينه^(١).

وهكذا نجد أن الرسائل التي كانت ترد إلى المدينة المنورة في العهد المدني مصدراً للأخبار من ناحية، وعاملاً من عوامل صناعة الأخبار من ناحية أخرى، ووجدنا أن بعض هذه الرسائل كان صريح العبارة في حمله للأخبار، أما البعض الآخر فدفعنا إلى استنتاج حمله للأخبار صيغة الرد النبوي عليها، والبعض الثالث من الردود النبوية أو من الرسائل التي كتبت ابتداءً إنما ترتب على أحداث وصلت أخبارها إلى عاصمة الدولة فاستعمل رسول الله ﷺ الأساليب التحريرية في التفاعل مع هذه الأحداث بالمراسلات التي وظفها ﷺ لنشر الإسلام صدعاً لأمر الله تعالى، وأداءً لواجب البلاغ المبين، لكافة البشر، فكانت هذه الرسائل لبنة في البناء الإعلامي للدعوة الجديدة ومناراً يسترشد به في كل عصر ومصر.

(١) الإمام الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (أحوال الحادية عشرة).
(بيروت: مكتبة خياط) ص ١٧٩٥.

ج - الأفراد

المقصود بالأفراد كمصدر للخبر: الحالات التي جاء بالخبر فيها أفراد تطوعاً من أنفسهم، لأنه سبق لنا أن عالجت الحالات التي جاء الخبر فيها من أفراد مكلفين بمهام محدد كالعيون والطلائع.

فمن الأمور الملفتة للنظر، والجديرة بالتقدير والاقتداء أن المجتمع الإسلامي في عهده المدني زمن الرسول ﷺ كان مجتمعاً يعيش على الخبر، فخير الوحي يترى ويتتابع، يرويه ويدركونه والرسول المعصوم بين ظهرانيهم يقود مسيرتهم في معركة الصراع بين الحق والباطل.. وأفراد مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم يشعرون بوعي كامل بقيمة الخبر وآثاره على سير الدعوة التي اختارهم الله جلّ وعلا لنشرها، وعلى بناء الدولة التي قدر لهم أن يكونوا لبناتها وجنودها وحراسها، والشهود عليها. دولة للحق قامت وعليه تشاد. فلا عجب أن تسجل لنا كتب الصحاح والسنن والسير رصيماً ضخماً من المواقف التي تشهد بكل وضوح على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تتبع أخبار الدعوة والدولة والرجوع بكل ما تقع عليه مداركهم إلى معلمهم الأعظم - رسول الله ﷺ.

فما من خبر عن تحرك معاد، أو واقعة تتعلق بالدين، أو نتائج سرية أو غزوة إلا وكانت مادة إعلامية يتناقلها أفراد المجتمع المدني في ذلك الوقت.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل ورد على لسان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

«وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر».

وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه. «فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال: إفتح. إفتح. فقلت جاء الغساني فقال: بل أشد من ذلك: اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه. فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة» الحديث^(١).

وهذا الحديث يرسم صورة لما كان عليه مجتمع الصحابة في عهد الدولة المدني من إحساس مرهف ومدارك متيقظة، يتابعون بها الأخبار ويرصدونها ويلاحقونها فكل من الفاروق رضي الله عنه وصاحبه الأنصاري كانا يتعاقبان على تتبع الأخبار ورصدها فقد كان الخبر محور حياتهم، وكان ذلك العهد زائراً بالأحداث العظمى التي كانت تجعل من عملية متابعة الأخبار وملاحقتها عملية في غاية الأهمية، وفي هذا الحديث يتضح نوع الأخبار التي كانت تشغل الصحابة فقد كان ما يشغل الفاروق رضي الله عنه خبر خارجي، أما ما جاء به الأنصاري صاحبه فقد كان خبراً داخلياً.

وأكثر ما كان الصحابة رضي الله عنهم يتابعون وينقلون من الأخبار تلك التي تتعلق بأمور دينهم وكانوا يرصدون الأحداث اليومية التي يواجهونها ويذهبون بأخبارها إلى رسول الله ﷺ.

فعن جابر رضي الله عنه قال:

«كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء ثم أتى قومه فأمتهم فافتتح بسورة البقرة فأنحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له: نافقت يا فلان.

(١) متفق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج ٢ (مكة المكرمة: المكتبة الإسلامية، دار البنا للنشر والتوزيع) ص ١١٦ و ١١٧.

قال : لا والله لا أتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه .

فأتى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله : إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإنّ معاذ صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة .

فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال :

يا معاذ أفтан أنت؟

اقرأ بكذا واقرأ بكذا^(١) .

فهذه واقعة عن أمر يتعلق بركن من أركان الإسلام جاء الصحابي الكريم بخبرها إلى رسول الله ﷺ ، وقد رابه ما فعل معاذ رضي الله عنه ، ولنا أن نتصور حياة لمجتمع زاخر بالآلاف من سكان المدينة وما حولها وقد قلب الدين الجديد حياتهم من جاهلية مغرقة في الجهل والفساد والانحطاط ، إلى نور وعلم وهدى وعرفان وأحداث مزلزلة داهمتهم في عقر دارهم ، أو خرجوا إليها مطيعين لله ، مستسلمين له يرجون منه تعالى ما لم يكن لهم به علم قبل أن ينير ديارهم الإسلام ، فهذه العوامل كلها كانت تنسج أحداثاً يتناقل أخبارها أفراد هذا المجتمع وكان مرجعهم الأعلى في كل أمورهم رسول الله ﷺ يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

ولا يغيب عنا في هذا المجال ما فعله العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عندما أرسل من مكة - حيث كان يقيم - إلى النبي ﷺ يخبره بعزم قريش المسير إليه لمقاتلته انتقاماً لقتلهم في بدر .

ونحن نقرأ في كتب السير عند الحديث عن الغزوات والسرايا

(١) الحافظ المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، ط ١ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (دولة الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الدار الكويتية للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م) ص ٨٢ و ٨٣ .

والأحداث التي كانت في العهد المدني أن رسول الله ﷺ بلغه كذا أو بلغه كذا أو علم رسول الله ﷺ أن قبيلة كذا قد جمعت له، أو أن زعيم قبيلة كذا عزم على محاربته فسار إليه مع المسلمين... والمُبْلَغُ إما يكون فرداً في كثير من الحالات، أو يكون جماعة كما حدث بعد نقض قریش لشروط هدنة الحديبية، عندما أعانت بني بكر على بني خزاعة وأمدتهم بالرجال والسلاح خفية، مما أوقع بخزاعة حلفاء رسول الله ﷺ إصابات بالغة فجاء بخبرهم «عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم، ويستنصرونه، فقام وهو يجز ردائه وهو يقول: لانصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي إن هذا السحاب ليستهل بنصر بني كعب»^(١).

وقد مر بنا قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام:

«وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عيبة نصح»^(٢).

«رسول الله ﷺ بتهامة، صفقتهم معه»^(٣)، ولا يخفون عنه شيئاً كان بها»^(٤).

فهذه الأدلة ومئات غيرها منتشرة في كتب الصحاح والسنن والسير تثبت أن أفراد مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مصادر للأخبار يأتون به في كل المناسبات إلى قائدهم الأعلى ﷺ ليشرع لهم مُبْلَغاً عن ربه جل شأنه حتى اكتمل بناء الدين، وقويت أركان الدولة التي لن يمر عليها طويل وقت حتى تنطلق تلك قواعد الكفر والظلم والطغيان داخل الجزيرة العربية وخارجها.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) عيبة نصح: أي موضع سره (ابن هشام: ج ٣ ص ٥٣ هامش (٢)).

(٣) صَفَّقُهُمْ معه: يريد اتفاههم وهواهم له واجتماعهم عليه.

(٤) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٣.

د - الرُّعَاة

وهؤلاء كانوا من مصادر الأخبار الثانوية بالنسبة لما تم عرضه من المصادر التي استعملها رسول الله ﷺ، للحصول على الأخبار، وربما كانت ميزتهم تكمن في تنقلهم وراء الماء والكأ فيتيح ذلك لهم فرصة للاطلاع عن كئب على ما يجري في المحيط الذي يعيشون فيه، ويتعرفون على سير الأحداث والظواهر الطبيعية الموجودة حولهم والتغيرات الطارئة، كمرور ركب أو رحيل جماعة أو وصول سرية أو النذر بجيش قادم.

ويضاف إلى ذلك كله ما فطر عليه الرعاة من الحذر والصبر واليقظة والجلد مما يجعلهم أحياناً مصدرأ لا غنى عنه للأخبار، ورغم أن الحالات التي ورد ذكر الرعاة فيها وسيلة لنقل الخبر أو مصدرأ له كانت قليلة نسبياً في كتب التاريخ والسير إلا أنه كان لبعضها فائدة ملحوظة.

فقبل غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة قدم قادم المدينة بجلب له فأخبر أصحاب رسول الله ﷺ أن أنمارأ وثعلبة قد جمعوا لهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغزاهم في عقر دارهم^(١).

ولما وجه رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك «فخرج يلقي رعاء الشاء فسأل عن الناس فقبل في بواديهم»^(٢).

(١) ابن سعد، الطبقات، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٩.

وربما لم يكن من السهل الحصول على أخبار من الرعاء في مناسبات معينة عندما تتوجه السرية أو الغزوة إلى جهة يقيم بها قوم الراعي أو قريباً منها.

أو إلى قوم حلفاء لهم، وأحياناً كان يمتنع الواحد منهم عن مجرد الكلام. وكان البعض منهم نذر حرب لقومهم: ففي غزوة قرقرة الكدر في السنة الثالثة بلغ رسول الله ﷺ أن بهذا الموقع جمعاً من سليم وغطفان فسار إليهم فلم يجد أحداً، وأرسل بعض الصحابة في أعلى الوادي واستقبلهم رسول الله ﷺ في بطن الوادي فوجد «رعاء» فيهم غلام يقال له «يسار» فسأله عن الناس فقال: لا علم لي بهم، إنما أورد لخمس وهذا يوم ربيعي.

والناس قد ارتفعوا إلى المياه ونحن عزاب في النعم فاكتفى رسول الله ﷺ بأخذ النعم»^(١).

وواقعة أخرى تمثل كيف كان الرعاء نذر حرب إلى قومهم في سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن في السنة الثالثة للهجرة:

«فخرج فأغذ السير ونكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار وانتهى إلى أدنى قطن فأغار على سرح لهم فغنمه وأخذوا لهم مماليك ثلاثة، وأفلت سائرهم فجاؤوا جمعهم فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية»^(٢).

وهكذا يظهر لنا أن رسول الله ﷺ لم يهمل مصدراً من مصادر الأخبار في زمانه ووظف كل ذلك في نشر الدين الإسلامي ومحاربة من يحارب الله ورسوله.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٥٠.

هـ - التُّجَّار

وكما كانت حرفة الرعي من الحرف الأساسية عند العرب وخاصة سكان البوادي ، فقد كانت التجارة هي الحرفة الأساسية لسكان المدن ، وكان ثراء قريش راجع إلى حسن استغلالها لميزة موقع مكة والبيت الحرام متوسطاً بين بيئتين مختلفتين في الظروف الطبيعية .

اليمن ذات المناخ الموسمي والأمطار الصيفية والشام ذات المناخ المعتدل والأمطار الشتوية ، وتنظيمها للقوافل التجارية بين هاتين المنطقتين من ناحية والاستفادة من قربها النسبي من البحر الأحمر وعبره إلى الحبشة وما تلاهما من الأمصار .

ولقد ظلت هذه المميزات موجودة حتى بعد ظهور الإسلام وانتقال مركز الثقل السياسي والاقتصادي والفكري مع هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة . . . وظلت القوافل التجارية المظهر الاقتصادي الرئيسي لسكان مكة . . ولقد كانت واقعة بدر الكبرى في أسبابها الأولى بعد مشيئة الله وتقديره في ظروف اعتراض المسلمين لعير قريش كمظهر للحرب الاقتصادية التي قرر الرسول ﷺ أن يشنها ضد مشركي مكة .

ولأجل ذلك فيمكننا أن نقول بشيء من الثقة أن التجار كانوا من الوسائل الفعالة لنقل الأخبار في داخل الجزيرة العربية أي بين أقطارها وأرجائها وكذلك بينها وبين الأقطار المجاورة ، ومن هنا فقد كان العرب قبل الإسلام على دراية واسعة بالأمم التي تجاورهم ويتبادلون معها العلاقات الاقتصادية كما كانوا

على دراية واسعة بأنسابهم ومضارب قبائلهم وبأخبار هذه القبائل وأحوالها وتطور الحياة في داخل جزيرتهم...».

وحتى بعد ظهور الإسلام فقد حاول العرب الجاهليون جاهدين أن يصوروا المعركة بين الإيمان والكفر تصويراً اقتصادياً ويحجموها تحجيماً مادياً، وفي موقف وجهاء مكة عندما عرضوا على الرسول في حضور أبي طالب تجسيد لهذه المحاولة... وعجزوا أن يفهموا أن الإسلام جاء ليعطي الحياة مدلولاً آخر يتسامى فوق المادة وأن المعركة ليست بين مطالب للسلطة والنفوذ وبين أصحاب هذه السلطة وذلك النفوذ، وأنها معركة بين الحق والباطل، معركة الحرية والقيود، معركة التوحيد والشرك معركة بين الإله الحق المستحق للعبادة وبين الآلهة التي اصطنعها البشر وصورت لهم أحلامهم المريضة أحقيتها للتقديس.

والوقائع كثيرة تلك التي تثبت أن التجار كانوا نقلة للأخبار في العهد المدني وقبله نختار منها نماذج تناسب اتجاه البحث:

١ - بلغ رسول الله ﷺ خبر عير قريش بمجرد أن فصلت من بلاد الشام ولا شك أن خبر العير جاء مع التجار القادمين من بلاد الشام ولأن رسول الله ﷺ كان يرصد تحركات قريش.

فإنه لما تحين رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام التي كان خرج لها يريدوها حتى بلغ ذا العشيرة، بعث طلحة بن عبد الله التيمي وسعيد بن عمرو بن نفيل يتحسنان خبر العير فبلغا التجار من أرض الحوراء فنزلا على كشد الجهني، فأجارهما وأنزلهما وكنم عليهما حتى مرت العير...»^(١).

ثم عاد طلحة وسعيد إلى المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ بخبر العير.

٢ - ولقد حمل وفد من عبد القيس جاؤا يمتارون من المدينة خبر مسير المشركين بعد موقعة أحد ليكروا على المسلمين فقد مر هذا الوفد من التجار

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١.

بأبي سفيان فقال لهم : أين تريدون ؟ .

قالوا : المدينة

قال : ولم ؟ .

قالوا : نريد الميرة .

قال : فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ .

قالوا : نعم .

قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال : «حسبنا الله ونعم الوكيل»^(١) .

والأمثلة على الأخبار التي حملها التجار كثيرة وهل كانت الأخبار إلا بضاعة من بضائع الركبان . . فقالوا : هذه قصة سارت بأخبارها الركبان .

ولا شك أن التجار كانوا أكثر الفئات اهتماماً بالأخبار ورصداً لها ومتابعة لكل جديد فيها ، لأن التجارة مصدر رزقهم ومن الطبيعي أن يتلمس الإنسان خير السبل لضمان سلامة مورد رزقه ، فتراه دائم السؤال عن الأحداث والأخبار حتى يختار أقصر الطرق وأكثرها أمناً للوصول إلى مواطن البضائع وكيفية نقلها أو توزيعها ، وقد كانت التجارة مورد الرزق الأساسي لقريش وخاصة للاستفادة من مواسم الحج في تبادل البضائع ، وتأمين حاجاتهم .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ٥٥ و ٥٦ .

الفصل الثاني

ثانياً: المصادر العسكرية

- أ - السرايا
- ب - الطلائع .
- ج - العُيون (الجواسيس)
- د - الأسرى .

أ - السرايا

مفردها سرية .

والسرية لغة : من السرى وهو سير عامة الليل . وهي من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة^(١) .

جاء في اللسان :

في عدد أفراد السرية ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة وقيل هي من الخيل نحو أربعمائة وفي تعريفها : أنها قطعة من الجيش يقال :

سميت السرية بذلك لأنها تسري ليلاً في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا ويمنعوا . يقال سرى قائد الجيش سرية إلى العدو : إذا جردها وبعثها إليهم أو سُموا بذلك لأنهم خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس ، وقيل لأنهم ينفذون سرأ وخفية^(٢) والسرايا وسائل عسكرية وتربوية استخدمها الرسول ﷺ بعيد وصوله إلى المدينة المنورة ، وطوال العهد المدني ، وقد تعددت أغراضها وتنوع وظائفها تبعاً للمناسبة والحدث الذي دعا إلى تشكيلها وتكليفها بالمهمة الموكولة إليها . وكانت السرايا وسائل نشطة لتنفيذ المهمات بشجاعة عرضت أفرادها أحياناً للإبادة التامة والفوز بالشهادة ،

(١) الفيروز أباهي ، القاموس المحيط ، ج ٤ (بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر) ص ٣٤٣ و ٣٤٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٠٥ .

وبعضها عاش منها أحد أفرادها لينقل خبر ما حل بها إلى رسول الله ﷺ.

وإلى جانب مجمل الوظائف التي قامت بإنجازها السرايا فإنها كانت وسيلة ناجحة لجمع المعلومات ودراسة البيئة المحيطة بمركز الدولة دراسة تفصيلية ميدانية، وكانت تدريباً للمسلمين على مواجهة أعدائهم، وتمهيداً للمعارك الكبرى التي سيخوضها الدين الجديد ضد جحافل الشرك والجاهلية.

وفي ذلك الزمان لم تكن وسائل الاتصال التقليدية الحديثة المعروفة لدينا قد مرت بخيال أحد من الناس هذا إذا استثنينا الوحي الذي كان ينقل الأخبار للرسول ﷺ وفق المشيئة الإلهية مع الفارق في القياس بين الوسائل البشرية في نقل الخبر وبين الوحي، ولكن الذي يدعو إلى اعتباره واسطة لنقل الخبر المواقع الكثيرة في السيرة العطرة التي ورد فيها نقل الخبر عن طريق الوحي، وكانت وسائل نقل الأخبار وسائل مباشرة ميدانية تناسب واقع الحال الموجود آنئذٍ. فعندما كانت تمس الحاجة إلى معرفة أخبار الأعداء أو أخبار الصحابة، وأعضاء المجتمع المدني في الدولة الجديدة، كان الوحي هو المكلف بحماية النبي ﷺ وعصمته ومنعه من الناس وبجانب الوحي كانت الوسائل النبوية ضمن منهاج الأخذ بالأسباب وسائل عظيمة الأثر في تبليغ الدعوة وحمايتها، وفي بناء الدولة وصيانتها من الأعداء، وهذه الوسائل متضمنة في معنى الوحي بصورة أو بأخرى ذلك أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وسنته وحي وتوفيق من الله جلّ شأنه.

ومن دراسة الوظيفة الإخبارية للسرايا نجد هذه الوظيفة صريحة في كثير منها، وبعضها لم نلمس نصاً صريحاً يوضح وظيفتها الإخبارية، ولكنها مفهومة ضمناً إذ أن المعقول في تصور وظيفتها والأقرب إلى الواقع أن الرسول ﷺ كان يكلف الصحابة رضوان الله عليهم بالإشتراك في السرية، أو يعين أمراءها غالباً ممن لديه العلم بالمكان الذي يوجه إليه وبالظروف الموجبة لذلك وبالتالي فيمكننا أن نتصور أن جميع من كان يشترك في السرية كان شاهداً على الوقائع والأحداث التي كانت تواجههم، وبما يتم بها فيعودون بها إلى

النبي ﷺ، وفي كثير من السرايا بدر من بعض أمرائها أعمال معينة نقل أخبارها الصحابة المشتركون فيها إلى رسول الله ﷺ للحكم فيها.

ومن الملاحظ على السرايا المبكرة بعد وصول النبي إلى المدينة أنها جميعاً كانت من المهاجرين، فكانت سرية عبيدة بن الحارث في ستين أو ثمانين من المهاجرين، وسرية حمزة في ثلاثين من المهاجرين، وسرية سعد بن أبي وقاص في ثمانية، كلهم من المهاجرين، ثم سرية عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي ومعه ثمانية من المهاجرين.

وفي سرية عبد الله بن جحش هذه تظهر القيمة الإخبارية للسرايا واضحة جلية في جملة الوظائف التي من أجلها نظمها رسول الله ﷺ، فقد كتب النبي لقائد السرية كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي فيه لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه:

«إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارهم»^(١).

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: «سمعاً وطاعة».

وأخبر أصحابه بما فيه فلم يتخلف منهم أحد، ونفذوا المهمة وعادوا وقد أسروا وغنموا، وعلى أيديهم سقط أول قتيل من قريش بعد الهجرة، وهو عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله التميمي بسهم.

ومما لا شك فيه أن مهمة السرايا لم تقتصر على استطلاع المكان الموجهة إليه فحسب، بل كانت تغطي الطرق والشعاب والسكان وكل الظواهر التي تؤثر في المهمة مباشرة وفي أمن الدولة والدعوة بشكل عام وفي رصد كل حركة لأعداء الدين المتربصين به.

وندر أن نقرأ في كتب السير خبراً عن سرية دون أن ندرك بوضوح

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٠.

الوظيفة الإخبارية لها المتمثلة في جمع المعلومات والحصول على الأخبار ونقلها إن لم يكن عن الأعداء كما وجدنا في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف - فعن أفراد السرية أو قائدها كما حدث في عدة سرايا، فما من أمر صغر أو كبر إلا وكانت السرية متمثلة في أفرادها أو قائدها يأتون بخبره إلى رسول الله ﷺ رئيس الدولة وزعيمها ومنظم أمورها. وكان دور الرسول ﷺ يحتاج إلى جانب الوحي الأخذ بالأسباب في الحرب وفي السلم وهو في ذلك يضرب المثل الأعلى لأئمة رعاة ورعية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه الحقيقة تظهر بوضوح في عدد من السرايا منها على سبيل المثال سرية أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي قبل فتح مكة. فإن رفاعه نزل بقومه في مكان يعرف بالغابة يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ.

قال أبو حدرد: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين فقال: «أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم»^(١).

وقد خرج أبو حدرد وصاحبه امتثالاً لأمر القائد الأعظم وأغاروا ثلاثتهم على القوم أخذوهم على غرة بعد أن قتلوا رئيسهم منفذين خطة محكمة وضعها الصحابي أبو حدرد وغنموا إبلاً كثيرة «واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ»^(٢).

وقد حمل أبو حدرد معه رأس كبير الشرك قيس بن رفاعه فكان الخبر مدعماً ببطولة منقطعة النظير وبتقرير عملي عن هذه البطولة.

(١) سيرة النبي، ابن هشام، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٢) ورد اسم رفاعه بن قيس عن ابن إسحاق بطريقتين، جاء في سياق قصة سرية ابن أبي حدرد على لسانه قوله: «فلبثت أياماً وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له: (رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعه...)».

وفي بعض السرايا كان رسول الله ﷺ يعرف الأخبار على وجوه من وجههم في هذه السرية فنحن نقرأ عن سرية عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي أنه رضي الله عنه احتال على عدوه حتى تمكن منه فقتله . يقول رضي الله عنه :

فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال :

«أفلح الوجه» .

قلت : قد قتلتك يا رسول الله .

قال : «صدقت»^(١) .

ومن الملفت للنظر في سرايا الصحابة لقهر أهل الشرك وتثبيت هبة الإسلام : أن أحد الصحابة كون من نفسه سرية تكفلت بقتل عصماء بنت مروان من بني خطمة عندما نافقت وقالت شعراً تهجو فيه الإسلام وأهله فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك :

«ألا آخذُ لي من ابنة مروان» .

فسمع ذلك عمير بن عدي الخطمي ، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ وأخبره بما فعل . وهي التي قال في قتلها رسول الله ﷺ :

«لا ينتطح فيها عتران»^(٢) .

قال ابن سعد عن عصماء بنت مروان هذه :

«وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر»^(٣) .

ومعنى هذا أنها كانت منبراً من منابر الدعاية السيئة ضد الدين الجديد

(١) سيرة النبي ، ابن هشام ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن هشام ، سيرة النبي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٤ و ٣١٥ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

وعنصراً من عناصر التشويش المتعمد فلا بد من إسكاته ليفتح الباب للعقول كي تستوعب الإصلاحات التي جاء بها الإسلام في مجال العقيدة والسلوك والحياة.

وفي بعض السرايا كانت تقع أحداث ذات تأثير بالغ على حركة انتشار الإسلام وكانت هذه الأحداث مناسبات لنزول القرآن يوضح الوحي فيها كثيراً من الأصول الشرعية، وكما كانت الغزوات وملاحم الإسلام الكبرى في مواجهة الشرك والجاهلية، كذلك كانت السرايا مناسبات للتشريع، وكانت أخبار هذه السرايا تصل مفصلة لرسول الله ﷺ فإما يتنزل فيها الوحي بالقرآن، أو يؤصل الرسول ﷺ أصلاً شرعياً.

ومثال الأول: سرية ابن أبي حدرد (بطن أضم) وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي قبل الفتح فقد بعث رسول الله ﷺ بعض المسلمين إلى (أضم) ومن بين من خرج في هذه السرية محلم بن جثامة فمر عليهم عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له فلما مر بهم سلم عليهم بتحية الإسلام فتركوه وشأنه، ولكن محلم بن جثامة حمل عليه فقتله لشيء كان بينه وبينه. فلما عادت السرية أخبرت الرسول ﷺ خبر ما جرى من ابن جثامة وقتله عامر بن الأضبط، بعد أن ظهر منه ما يدل على إسلامه فنزل قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (النساء: ٩٣).

وقد جاء محلم بن جثامة لكي يستغفر له رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة» ثلاثاً.

وقال له: «أمنت بالله ثم قتلته».

ولما مات دفنوه فلفظته الأرض مرتين ثم أهالوا عليه صخوراً وحجارة كثيرة حتى واروه لشدة هول ما ارتكب بحق المسلم.

أما المثال على السرية التي نقل خبرها إلى رسول الله ﷺ فهي السرية

التي قَتَلَ فيها أسامة بن زيد رضي الله عنه ورجل من الأنصار، مرداس ابن نهيك حليفاً لبني مرة بعد أن قال: لا إله إلا الله.

يقول أسامة بن زيد رضي الله عنه:

«أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: فلم نزع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره».

فقال: «يا أسامة من لك بلا إله إلا الله».

قال: «قلت يا رسول الله إنه إنما قالها تعوداً بها من القتل».

قال: «فمن لك بها يا أسامة».

قال أسامة: فوالذي بعثه بالحق، ما زال يرددها عليّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني كنت أسلمت يومئذٍ وأني لم أقتله»^(١).

وهكذا نرى ما رأيناه في الوفود كيف أنها كانت تصنع أحداثاً وتنقل أخباراً. أما الأخبار التي تنقلها فهي إما بتكليف صريح من رسول الله ﷺ، أو أنها متضمنة ضمناً في مهمتها التي ندبها القائد الأعظم لها.

أما الأحداث فقد كانت هي وأخبارها مناسبات تشريعية واقعية رصدها الوحي وأصلها وحدد بها الحدود ورسم معالم الدين حتى اكتمل بناؤه وفي هذا الإطار نفهم القيمة الإخبارية لكل من الوفود والسرايا لا تفصل مهمتها عن الإطار الأعظم لنشر تعاليم الدين الجديد، وبناء قواعده وبناء الدولة الجديدة وترسيخ دعائمها وامتداد سلطانها: دولة التوحيد، دولة الحق، دولة الإيمان، دولة الخبر الصادق.

وكانت السرايا بهذه الصورة أداة لتصفية أعداء الدين الجديد من رؤوس الكفر، وكانت وسيلة تؤكد حقيقة إعلامية وهي: أن التضليل الإعلامي والحجر على العقول والوقوف بين الناس وبين الحق يرقى إلى مرتبة الجريمة. التي

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

يكون عقابها الموت، وأن مصير الطغاة والحاجرين على عقول الناس: أن يعرفوا الحق ويفهموا الإسلام ويطيعوه لا يجب أن يختلف في كل زمان ومكان عن مصير المنافقين والطغاة من بقايا المشركين، الذين ظلوا يعاندون ويكابرون، ويحولون دون قبائلهم وبين الدخول في الإسلام، بما لهم من النفوذ القوي على أفراد هذه القبائل، وظلوا يتعمدون الإساءة إلى الإسلام وإلى نبيه وإلى مبادئه، والتأمر عليه والطعن فيه بلا حق ولا مجرد إعمال عقل.

وبالإضافة إلى حقيقة أن السرايا كانت مصدراً عظيماً من مصادر الأخبار للدولة الإسلامية في العهد المدني، يلاحظ أن هذه السرايا كانت تتحرك وتتوجه إلى أهدافها نتيجة لوصول أخبار من مصادر أخرى عن تحرك أعداء الدين في ركن من الأركان في البلاد المجاورة للدولة الإسلامية.

وفي معظم الأحيان لم تصرح المراجع بالمصدر الذي وصلت بواسطته أخبار تحركات العناصر المعادية ويكتفي المؤرخ لهذه الحقبة بعبارات مثل:

- فبلغ رسول الله ﷺ أمرهم، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب^(١).

- وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن طلحة وسلمة ابني جويلد قد سارا في قومهما وما أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله، فدعا رسول الله أبا سلمة وعقد له لواء^(٢).

- وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أمر سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني وكان ينزل عرنه ومن والاها في ناس من قومه وغيرهم قد جمع الجموع^(٣).

- بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب بتعرض لها^(٤).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) ابن سعد، نفس المرجع، ص ٥٠.

(٣) ابن سعد، نفس المرجع، ص ٥٠.

(٤) ابن سعد، نفس المرجع، ص ٨٧.

- وقدم دحية على النبي ﷺ فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارث في سبعمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة فأقبل بهم حتى هجم بهم الصبح على القوم^(١).

وفي مواضع أخرى لم يصرح المصدر التاريخي بعملية وصول الخبر أو مصدره بل تركه للقارئ ليستنتج أن السرية ما كانت توجه إلا بعد وصول أخبار أعداء الدعوة وأخبار أحقادهم وأساليب تشهيرهم بالإسلام والمسلمين وتجاوزهم الحد في تعديهم على رعايا الدولة ونلاحظ ذلك في الأمثلة التالية:

ففي رمضان سنة ست من الهجرة:

- كان أبو رافع بن أبي الحقيق النضري في خيبر قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب وجعل لهم الحفل العظيم لحرب رسول الله .

* - فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبا قتادة والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان وأمرهم بقتله فذهبوا إلى خيبر ونفذوا المهمة . ولما انتهوا من مهمتهم قدموا على رسول الله ﷺ فعرف الخبر في وجوههم وقال لهم : أفلحت الوجوه فقالوا أفلح وجهك يا رسول الله^(٢).

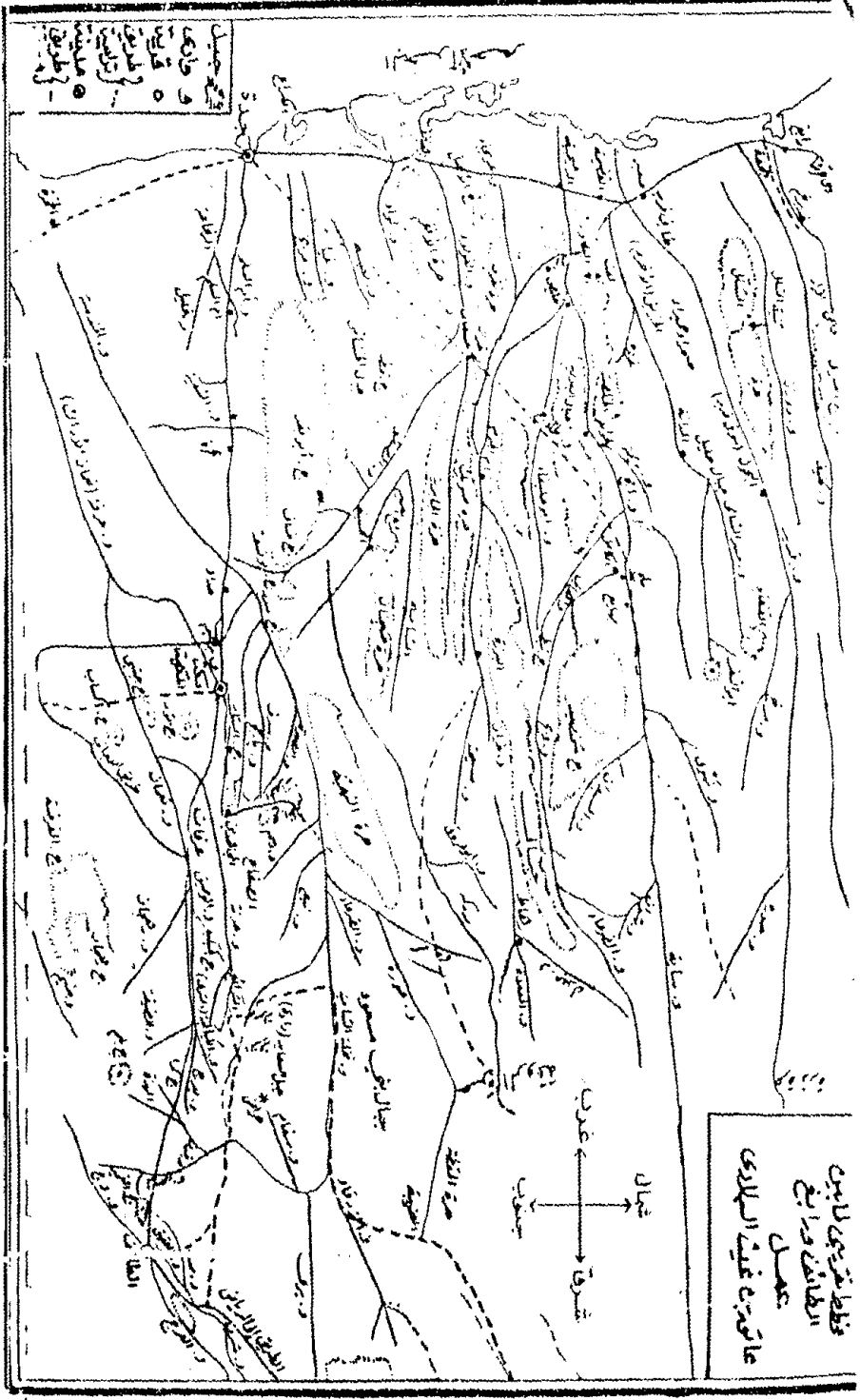
ويبدو أن تحركات اليهود المجاورين للدولة في خيبر قبل فتحها وبعد إجلاء بني قريظة وبني النضير كانوا أخطر أعداء الدولة الإسلامية وكانت أخبار تحركاتهم ومكائدهم تأتي تباعاً إلى رسول الله ﷺ :

فلما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليهم أسير بن زارم فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ .

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فوجه إليهم عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً فسأل عن خبره وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فندب رسول الله الناس فانتدب له ثلاثون رجلاً فذهبوا إلى أسير وقتلوه .

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) ابن سعد، نفس المرجع، ج ٢، ص ٩١.



ب - الطلائع

ومن مصادر الأخبار في العهد المدني في الغزوات : الطلائع وهي من يرسله القائد - فرداً أو جماعة - لمطالعة خبر العدو لدراسة أحواله والتعرف على مكانه وتحركاته، وتقدير عدده، ورصد معالم البيئة التي يكون معسكراً فيها، ومقدار بعده عن جيش المسلمين وعناصر القوة والضعف فيه حسب تقدير أفراد الطليعة.

جاء في «اللسان»^(١).

«والطليعة»: القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو والواحد والجميع فيه سواء.

«وطليعة الجيش: الذي يطلع من الجيش يُبْعَثُ ليطلع طَلَعَ العدو فهو الطَّلَعُ مشتق من الإِطْلَاع».

وفي الحديث أنه «ﷺ» كان إذا غزا بعث بين يديه طلائع^(٢) والطلائع: الجماعات... وكذلك الرِيْثَةُ وَالشَّيْفَةُ وَالْبَغِيَّةُ. بمعنى الطليعة^(٣).

(١)، (٣). ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج - ٩، ص ١٠٧.

(٢) لم أعثر على مصدر ورد فيه الحديث الذي ذكره صاحب اللسان في تعريفه للطلائع. جاء في مادة (طلع) في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف» (طلع - أطلع - اطلع - اطلع - طلع - طلعه - طليعة - طلاع - طلوع - مطلع) ولم ترد كلمة طلائع التي أوردها صاحب اللسان في أي من الكتب التسعة والإلكان ذكرها المعجم وكذلك الحال في مادة «غزا» لم ترد إشارة لهذا الحديث المذكور.

والطليعة أمر شرعي في الحصول على الأخبار في الحروب .

أفرد لها الإمام البخاري بابين فقال في :

- باب فضل الطليعة .

- وباب هل يبعث الطليعة وحده .

وساق حديثين :

الأول : عن جابر رضي الله عنه قال : -

« قال النبي ﷺ من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ فقال الزبير: أنا . ثم قال من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا . فقال النبي ﷺ : «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير»^(١) .

وقد ساق ابن حجر رواية عند النسائي يتضح منها المقصود بالقوم وأنهم بنو قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله ﷺ وخانوه بتحالفهم مع مشركي قريش .

الثاني : عن جابر أيضاً قال :

« ندب رسول الله ﷺ الناس - قال : (صدقه) أظنه يوم الخندق » .

« فانتدب الزبير ثم ندب الناس فانتدب الزبير ثم ندب » .

« الناس فانتدب الزبير ثم ندب الناس فانتدب الزبير » .

« فقال النبي ﷺ : «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير» .

« ابن العوام » .

واستدل ابن حجر رحمه الله من الحديث على جواز استعمال التجسس في الجهاد فقال : وفي الحديث جواز استعمال التجسس^(٣) والمعروف أن

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٦، ص ٥٢ .

(٢، ٣) نفس المرجع، ص ٥٣ .

العيون والطلائع وغيرها من أساليب الحصول على المعلومات خفية دون علم العدو كلها من أنواع التجسس المشروع على الأعداء.

ولا تنال الطلائع وسيلة فعالة للحصول على المعلومات والأخبار عن العدو ومراقبة تحركاته وما زادها التقدم (التقني) في وسائل المواصلات وطرق الاتصال وطرق الحصول على الأخبار إلّا حيوية وفعالية واتساعاً. في وظيفتها فهي تستخدم السيارات وأجهزة الاتصال الحديثة وتحمل سلاحاً خفيفاً ليسهل رجوعها إلى الجيش بسرعة إذا دعت الحال.

والطلائع من وسائل التعبئة العسكرية ويدرسها الخبراء العسكريون ضمن عوامل التنظيم الذي يسبق الالتحام بالعدو فمن الأمور اللازمة «للجيش المحارب إذا نزل بأرض العدو أن يقدم بين يديه بعض أفراده طليعة ليختبر أرض المعركة ويعرف مواقع الأعداء، ويجمع المعلومات الممكنة عنه، ويضمن سلامة الطريق الذي يسلكه، من كمين معد له، أو أي عائق يعوق تقدمه، وهذا هو عمل «دوريات الاستطلاع» في العصور الحديثة^(١) الذي ينصح به الخبراء العسكريون.

ويلخص أحد الخبراء العسكريين أهمية الطليعة بقوله :

«إن النجاح يكون في الغالب مؤكداً إذا حافظ القائد على الاتصال الدائم بالأعداء وقد تحل الهزائم والكوارث إذا فقد ذلك الاتصال»^(٢)

ويختار أفراد دوريات الاستطلاع من الأفراد المعروفين بالثبات والذكاء وسرعة التصرف وكذلك كان الحال عند المسلمين منذ زمن الرسول ﷺ إلى قادة الفتح الإسلامي في صدر الإسلام.

أما بعضها الآخر فكان غرضها استطلاعي إخباري محض، ولم يكن الأمر الموجه لها بالسير إلى مهماتها إشارة إلى القتال ومنها سرية عبد الله بن

(١، ٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦١ م) ص ٢١٧.

جحش الأسدي في اثني عشر رجلاً من المهاجرين إلى نخلة قرب الطائف لرصد أخبار قريش وكانت مهمتها محددة في كتاب نبوي .

« فنظر فيه فإذا فيه » إذا نظرت في كتابي هذا فامضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً ونعلم لنا من أخبارهم»^(١) .

ففي هذا النص دليل صريح على أمر الرسول ﷺ برصد العدو والحصول على أخباره والعودة بها إليه .

فلم يكن أمر الرسول هذا تصريح بالقتال لهذه الدورية الاستطلاعية ولكن الأمر الصريح كان بضرورة (رصد) قريش والحصول على أخبارهم) .

« غير أن القتال وقع بترتيب علوي أقره الله تعالى بقرآن يتلى في سورة آل عمران آية ٢١٧ » .

في قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ الآية .

والرصد والترصد : الترقب .

والراصد بالشيء : الراقب له .

يقال أرصدته : إذا قعدت له على طريقه ترقبه .

والرصد والمرصاد : الطريق .

قال تعالى : ﴿ واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ أي كونوا لهم رصداً لتأخذوهم في أي وجه توجهوا^(٢) .

فكان الرسول ﷺ وقادة الفتح من بعده يختارون للملائكة كل جندي عرف بالشجاعة والنجدة ويحملونهم على سوابق الخيل جيدة الحوافر والظهور ويرسلونهم متخفين من كل ثقل يعوقهم ليس مع أحدهم إلا قوسه وجعبته بها

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٥٨ و ١٥٩ .

عشر نشاطات أو عشرون وقد يحطوا حقائبهم خلفهم لتحقيق لهم خفة الحركة المطلوبة في مثل مهماتهم ومقياس هذه الصفات جيل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن الأدلة القوية على أن أفراد الطلائع كانوا من «طبيعة متميزة» .

ما أورده (ابن سعد) في الطبقات في حديثه عن سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد برواية جندب بن مكيث الجهني قال :

«فسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكمنّا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيّة^(١) لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفاً على الحاضر يطلعه عليهم حتى إذا أسندت عليهم فيه علوت على رأسه ثم اضطجعت عليه . .» .

قال : فإني لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته :

«إني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أول من يومي هذا فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً قال فنظرت فقالت والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً .

قال : فناوليني قوسي ونبلي وناولته قوسه وسهمين معها فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عيني . قال : فانتزعته» .

وثبت مكاني ثم أرسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته فوضعتة وثبت مكاني ، فقال لامرأته والله لو كانت ربيّة لقد تحركت بعد والله لقد خالطها سهماي لا أبالك فإذا أصبحت فانظريهما لا تمضغها الكلاب»^(٢) .

والرسول ﷺ (القدوة العظمى) في سلمة وحره استخدم سرايا ودوريات الاستطلاع في وقت مبكر من هجرته الميمونة إلى المدينة المنورة فكان من

(١) سبق توضيح معنى ربيّة عند شرح معنى طليعة وأنهما بمعنى واحد .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢٤ .

السرايا الأولى التي وجهها هنا وهناك سرايا قتال . كما اعتبرها وصنفها أحد المؤرخين العسكريين المسلمين المعاصرين^(١).

- كسرية حمزة رضي الله عنه إلى سيف البحر لاعتراض قافلة لقريش .

- وسرية عبدة بن الحارث إلى بطن رابغ .

وكذلك كان منها دوريات استطلاعية محضة :

كسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار لاعتراض غير لقريش .

وسرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة بين مكة والطائف لرصد قريش والرجوع بأخبارهم .

فقد كان من الدروس المستفادة من هذه الدوريات الاستطلاعية الأولى أن المسلمين استطاعوا (التعرف) على الطرق المحيطة بالمدينة والمؤدية إلى مكة، خاصة الطريق التجارية الحيوية لقريش بين مكة والشام، كما استطاعوا التعرف على قبائل المنطقة وموادعة بعضها .

وكانت هذه الدوريات الاستطلاعية أعمالاً تمهيدية للحرب مع الكفار لجمع الأخبار ورصد تحركات الأعداء ودراسة البيئة المحيطة والحصول على أكبر كمية من المعلومات عن البيئة الجديدة التي توشك أن تصبح ميداناً لمعركة طويلة مع قوى الباطل والشرك ولرصد القوى الحليفة والمعادية للدولة الإسلامية ولرسم خطة الحرب القادمة .

وعلى هذا المقاييس تدخل في طلائع الاستطلاع مجموعة السرايا الأولى التي وجهها رسول الله ﷺ في وقت مبكر منذ وصوله المدينة إذ أنها بجانب المهمات القتالية الصريحة لبعضها كسرية حمزة وسرية عبدة كانت المهمات الأخبارية واضحة أيضاً .

(١) العقيد الركن / محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ج ١١ .

(بغداد: الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) ص ٥٠

و ٥١ - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

(٢) نفس المرجع، ص ٥٨ .

وعملية الرصد هذه هي استخدام جميع الحواس والقوى المدركة في الحصول على أخبار تفصيلية عن حركات العدو وشؤونه التفصيلية .

تلك كانت الوظيفة الإخبارية لدوريات الاستطلاع في الأعمال التمهيدية للحرب مع المشركين التي ستبدأ وشيكاً بغزوة بدر الكبرى، أما الطلائع موضوع هذا المصدر من مصادر الأخبار النبوية وقت الحرب فهي . . الأفراد لذين كانوا يتقدمون جيش المسلمين الزاحف لملاقاة المشركين ولرصد تحركاتهم والرجوع بالمعلومات والأخبار عنهم إلى رسول الله ﷺ .

ومن الترتيبات الإلهية لهذه السرايا الاستطلاعية التي تكشف عن عظيم قدرة الله تعالى أن بعض السرايا التي خطط لها لتكون سرايا قتال ومواجهة لم تقاتل كسرية حمزة رضي الله عنه وسرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه، وأن بعض السرايا التي لم يكن خطط لها القتال أو أمرت بالقتال: قاتلت . . . كسرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الذي رمي بأول سهم في الإسلام وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذي رجع بالغنائم رغم أن مهمته كانت استطلاعية محضة بنص أمر التكليف الصريح من القائد الأعظم ﷺ . . . وتأکید القتال في الشهر الحرام بقرآن يتلى وهذه حكمة الله جلّت قدرته مصرف الأقدار.

ويلاحظ أن كثيراً من مراجع السيرة إما أغفلت ذكر توجيه رسول الله ﷺ الطلائع في الغزوات على أساس أنها أمر معروف بداهة:

«إن رسول الله ﷺ وهو القدوة في هذا الأمر أو أنها خلطت في ذكر الطلائع بين الطلائع والعيون إلا أن ابن سعد في الطبقات صرح في حديثه عن غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد مباشرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس وركب رسول الله ﷺ فرسه وخرج الناس معه .

«فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم لحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق مباشرة عن ذي

الحليفة إذا أخذتها في الوادي، وللقوم زجل وهم يأترون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك فبصروا بالرجلين فعطفوا عليهما فقتلوهما ومضوا ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد فدفن الرجلين في قبر واحد»^(١).

ولما غزا رسول الله ﷺ بني لحيان بعد الذي فعلوه في عاصم بن ثابت ورفاقه، هرب هؤلاء إلى رؤوس الجبال فأقام يوماً أو يومين.

«فبعث السرايا في كل ناحية فلم يقدروا على أحد ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعروهم فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً»^(٢).

وفي غزوة الحديبية «أحرم رسول الله ﷺ ولبس وقدم «عباد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فرساً من خيل «المسلمين وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار»^(٣).

وفي عمرة القضية في السنة السابعة لما انتهى رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة «قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح وعليه بشير بن سعد...»

ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران فوجد بها نفرأ من قريش فسألوه فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله فأتوا قريشاً فأخبروهم الخبر»^(٤).

ونلاحظ من هذه الطليعة أنها ليست طليعة للعودة بالأخبار بغرض المباغلة لأنها تمت في فترة الهدنة ولكنها طليعة لإخبار لقريش وإعلام بأن

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٥.

(٤) نفس المرجع، ص ١٢١.

جموع المسلمين قادمة لتأخذ حقها الذي حالت قريش بينها وبينه في غزوة الحديبية قبل ذلك بعام .

وفي غزوة الفتح الأكبر، وبعد استكمال حشد قوات المسلمين ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مكان يقال له «الصلصل» قدم أمامه الزبير بن العوام في مائتين من المسلمين^(١).

وقد ضمن رسول الله ﷺ عنصر المباغة الكاملة نتيجة لعاملين هما :

- ١ - إن أخبار قريش كانت تصله من مصادره الدائمة للأخبار.
- ٢ - أن أخباره كانت خافية عن قريش بفضل ما اتخذهُ ﷺ من إجراءات على المستوى الإخباري ومنها : -

أ - التورية بسرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن أصنم إلى خارج المدينة «ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار»^(١).

ب - وصول الأخبار بحقيقة ما فعلته قريش عند مساعدتها لبني بكر حلفائها - بالرجال والسلاح خفية وأخذهم بني خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ على حين غرة. وقد وصلته الأخبار الصحيحة الكاملة بواسطة عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة.

«يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه»^(٢).

ج - احتياط الرسول ﷺ التام من عدم وصول الأخبار إلى قريش، واتخاذهُ إجراءات مشددة في ذلك دعمها خبر الوحي الذي يظهر جلياً في قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش وكيف أطلعهُ الله سبحانه وتعالى عليه .

(١) نفس المرجع، ص ١٣٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) نفس المرجع، ص ١٣٤.

د - إلى جانب ذلك دعاؤه ﷺ قائلاً: «اللهم خذ عني أبصارهم فلا يرون إلا بغتة»^(١).

وفي ذلك معلّم هام من معالم المنهج النبوي في الاعتماد على الأخبار وهو منهج يعتمد التوكل أساساً للعمل، والأخذ بالأسباب أسلوباً وخطة، وهو ما يجب أن يكون عليه كل عمل عند الإنسان المسلم الحق.

والدعاء على الأعداء بإخلاص النية أمر أهمله المسلمون في هذه الأيام على عظم شأنه.

وهو وسيلة فعالة استخدمها رسول الله ﷺ يوم بدر فكان نتيجتها بتقدير الله إمداد المسلمين بالملائكة تحارب معهم، واستخدمها في غزوة الفتح الكبرى هذه فكان من نتائجها التعمية الكاملة على قريش، إذ لم يعلموا بأمر الرسول ﷺ إلا من النيران تشتعل على رؤوس الجبال حول مكة ومن طلائعه المنتصرة تزرع الخوف والهلع في صناديدهم ورؤسائهم وعامتهم.

وكان دعاء الرسول ﷺ على المشركين يوم الأحزاب كما أورده الإمام البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: قال: «دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال»^(٢):

«اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اللهم أهزم الأحزاب. أهزمهم وزلزلهم».

ومن دعائه على كفار مضر: اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسني يوسف».

وهذا المنهج النبوي الكريم هو الأجدر بالاتباع في زماننا هذا الذي تكالبت فيه على أمة الإسلام الأمم نتيجة لبعدها عن كتاب الله وسنة رسوله وعزوفها عن المنهج المحمدي الذي رسمه له.

(١) نفس المرجع، ص ١٣٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٠٦.

فما أحرانا بأن نأخذ بطرفي هذا المنهج التوكل والأخذ بالأسباب في مواجهة العدو وفي جميع مجالات الحياة.

ومن أكبر الأدلة على اهتمام رسول الله ﷺ بالطلائع كمصادر للأخبار وصيته لأسامة بن زيد بن حارثة عندما بعثه على رأس سرية إلى أهل ابني، وهي أرض السراة - ناحية البلقاء (في الأردن حالياً). حيث قال كما أورده ابن سعد في الطبقات: -

«سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش».

«فأغر صباحاً على أهل ابني وحرقت عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم»^(١).

«وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك».

ومن وصيته ﷺ تتضح الأهمية البالغة التي كان رسول الله ﷺ يوليها لعملية جمع المعلومات وتنظيم عملية اتصال دائمة بين المسلمين وأحوال أعدائهم ليكونوا على بينة من أمرهم، ويأخذوا لكل أمر العدة اللازمة فلا يأخذهم العدو على غرة، وهذا سبب من أسباب النصر التي يسرها الله تعالى جلّت قدرته لتكون أمة الإسلام أعز الأمم وأقواها.

وقد اتبع الصحابة أمراء السرايا التي وجهها رسول الله ﷺ نفس الخطة التي كان يرسمها رسول الله ﷺ في اهتمامه البالغ بتوجيه العيون والطلائع أمام الجيش الزاحف.

فقد وجه رسول الله ﷺ بعد عودته من خيبر سرية إلى «الحرقات» وأميرها أسامة بن زيد رضي الله عنهما فلما دنا المسلمون منهم «بعث الأمير الطلائع فلما رجعوا بخبرهم» أقبل حتى إذا دنا منهم ليلاً وقد اجتمعوا وهدأوا.

«قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله»^(١) نظمهم ووجههم وحملوا

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩٠.

(١) ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤٨.

على العدو حملة واحدة. فكانت الطلائع من أسباب النصر في هذه السرية. وهناك أمثلة كثيرة على بعث الطلائع في السرايا والغزوات يرجع إليها في كتب الصحاح والمغازي والسير.

وخلاصة القول أن الرسول ﷺ وهو القدوة العظمى لم يترك وسيلة من وسائل الحصول على الأخبار عن الأعداء إلا واتباعها ليرسم لأمتة المنهاج الكامل في السلم والحرب وأنه ﷺ كان يدرب أمتة لتكون خير أمة أخرجت للناس، مستعيناً بهدى القرآن الكريم، والخيرية بالضرورة تتضمن القوة المشروعة القاهرة للكفر والإلحاد في كل زمان ومكان.

ج - العيون (الجواسيس)

وأكثر ما ذكر في كتب المغازي والسير للحصول على أخبار العدو خفية والوقوف منه على ما يهم المسلمين من معلومات كان إرسال العيون وهم الجواسيس .

فالعين هو الجاسوس وهو الذي يبعث ليتجسس الخبر «ويسمى ذا العينين»^(١) .

وجاء في القاموس المحيط في مادة (الجسس) .

وهو «تفحص الأخبار ومنه الجاسوس» .

«والجسيس : صاحب سر الشر» .

«والجواس : الحواس»^(٢) .

وجاء في مادة (العين) :

ومن معاني العين الجاسوس^(٣) .

ومن الأمور المعروفة أن التجسس على المسلمين وتتبع عوراتهم أمر محرم بنص القرآن الكريم في سورة الحجرات .

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٧، ص ١٧٥ .

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، جـ ٢، ص ٢١١ .

(٣) المرجع نفسه، جـ ٤، ص ٢٥٣ .

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾^(١) .

ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر - مهما يكن - لانتهاك حرمة الأنفس والبيوت والأسرار والعورات .

حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس . فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب مواطنهم وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما ظهر منهم من مخالفات وجرائم . وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم وكل ماله عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها واكتشافها، مع الضمانات الأخرى التي ينص عليها بالنسبة لكل جريمة^(٢) .

وفي اعتقادي أنه ليس أبلغ وأوضح من هذا في توضيح حرمة التجسس وتبعية عورات المسلمين .

قال ابن كثير في تفسيره لكلمة (ولا تجسسوا) آية الحجرات :

﴿أي على بعضكم بعضاً﴾ يعني جماعة المسلمين .

والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس .

وأما التجسس فيكون غالباً في الخير كما قال تعالى :

(١) سورة الحجرات (آية رقم ١٢) .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٤٦ .

إخباراً عن يعقوب أنه قال :

«يا بني اذهبوا فتجسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله» .

«وقد يستعمل كل منهما في الشر»^(١) .

واستعمال كلمة التجسس والتحسس للدلالة على الأمور المنهى عنها ورد في حديث الرسول ﷺ :

«لا تجسسوا ولا تحسسوا لا تباغضوا» .

«ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»^(١) متفق عليه .

وساق أبو داود أحاديث في النهي عن التجسس على المسلمين منها : -

١ - عن زيد بن وهب قال : أتى ابن مسعود ف قيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمراً . فقال عبد الله : إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به^(٢) .

٢ - وعن راشد بن سعد عن معاوية قال :

«سمعت رسول الله ﷺ يقول : -

«إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» قال أبو الدرداء : «كلمة سمعها معاوية عن رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها»^(٣) .

أما التجسس على الأعداء للحذر منهم ، والكيد لهم ، ومعرفة خططهم ، ومصدر خطورتهم فهو أمر يدعو إليه القرآن الكريم ، وتحث عليه السنة المشرفة ، وهو نوع من الإجراءات التي تتخذ لحماية الجماعة الإسلامية ومظهر

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢١٣ .

(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ .

التحسس والتجسس : التحسس بالحاء أن تتسمع الأخبار بنفسك والتجسس بالجيم :

أن تفحص عنها بغيرك (الروض الأنف : ج ٣ ص ٤٣) السهيلي .

(٣) أبو داود ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

من مظاهر الأخذ بأسباب القوة والمنعة لدين الله ولأمة الإسلام، وهو واجب المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات في كل عصر ومصر.

قال تعالى: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد...﴾ الآية (التوبة: ٥). والسنة العملية لرسول الله ﷺ تؤيد مشروعية التجسس على الأعداء، فقلما نجده ﷺ في غزوة أو حملة حملها على أعداء الإسلام إلا وبعث عينا له يأتونه بالخبر عن القوم:

١ - فعل ذلك في غزوة بدر العظمى عندما أرسل «بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار، إلى بدر ليتجسسا الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب. بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها»^(١).

وكان ﷺ يتحين الفرص للإنتقام من قريش التي أخرجته من أحب البلاد إليه فلما سمع بخبر العير كان يتحين انصرافها من الشام. حتى بلغ ذا العشرة، فبعث طلحة بن عبيد الله التيمي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسسان خبر العير، فبلغا التجبار من أرض الحوراء، فنزلا على كشد الجهني، فأجارهما وأنزلهما، وكنتم عليهما، حتى مرت العير ثم خرجا وخرج معهما كشد خفيراً حتى أوردتهما ذا المروة، وساحت العير، وأسرعت، فساروا بالليل والنهار فرقاً من الطلب، فقدم طلحة وسعيد المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير فوجداه قد خرج»^(٢).

٢ - وعندما وصله ﷺ خبر مسير قريش إليه لمحاربته من عمه العباس رضي الله عنه في مكة وشاع خبر قريش ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة بعث رسول الله ﷺ عيين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة الظفرين ليلة الخميس لخمس ليالٍ مضيئ من شوال فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم وأنهم قد

(١) ابن كثير، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٩٠ - ٣٩١ (وابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ١٢).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١١ - ١٢.

خلوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء .

ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجموح إليهم أيضاً فدخل فيهم فحزروهم وجاءهم بعلمهم^(١) .

ومن مهمة (الحباب) هذه يظهر أن الجواسيس والعيون لم تكن مهمتهم مجرد العودة بمعلومات سطحية عن العدو وإنما كان يطلب منهم إعطاء معلومات وافية عنهم ، لاتخاذ الإجراءات والاحتياطات المناسبة حسب واقع الحال . وأن مهمتهم لم تكن المراقبة من الخارج فحسب بل كانت هذه من مهمات جنود الطلائع أما العيون فيطلب منهم أحياناً الدخول إلى معسكرات الأعداء لتقدير عددهم والتعرف على أسلحتهم ومدى استعدادهم وقوتهم ، ورغم أن ذلك لم يظهر صراحة في مهمة الحباب ولكن لم يكن ذلك ليغيب عن القائد المعصوم ﷺ بجانب حصافة الصحابة وكياستهم رضي الله عنهم .

ولكن عبارة «فدخل فيهم فحزروهم وجاءهم بعلمهم» تدل على مدى ما كان يعلق على مهمات العيون من مسؤوليات في تلك الفترة .

٣ - وفي غزوة الأحزاب والمشركون يحاصرون المدينة ، وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أرسل الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عينا يرى ما يفعل القوم . يقول حذيفة :

«والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويماً من الليل ثم التفت إلينا فقال «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع» ؟ .

«يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة» أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة» .

فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

فلما لم يقم أحد دعائي رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعائي .

فقال : « يا حذيفة إذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا » .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل^(١) .

فلما رأيته أدخلني إلى رحليه وطرح عليّ طرف المرط ثم رجع وسجد وإني لفیه . . .

فلما سلم أخبرته الخبر^(٢) .

ومن الواضح في هذا الحديث أن العيون أو الجواسيس لم يكونوا يكلفون على عهد رسول الله ﷺ بأكثر من الرجوع بأخبار العدو وهو أمر صريح بعدم إحداث شيء من اشتباك أو غيره حتى لا يفتضح أمره وتفشل المهمة التي وجه أصلاً لتنفيذها وفي ذلك ما لا تحمد عقباه عليه شخصياً وعلى عملية الحصول على الأخبار عن الأعداء .

والظاهر أن إرسال العيون كان جزءاً من الخطة العامة لرسول الله ﷺ في مواجهة أعدائه .

فها هو عام الحديبية وبعدما خرج بأصحابه يريدون مكة للعمرة « فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة . وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان « بغدير الأشطاط أتاه عينه قال :

(١) مراجل : ضرب من وشى اليمن (انظر) سيرة لابن هشام ج ٣ ص ٢٥١ .

(٢) ابن هشام ، سيرة النبي ، ج ٣ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش^(١).

وهم مقاتلونك وصادوك عن البيت ومانعوك^(٢).

وجاء في السيرة النبوية لابن هشام برواية ابن إسحاق أن اسم العبد الذي أرسله ليأتي بخبر قريش هو: بسر أو بشر بن سفيان الكعبي^(٣).

ومما يلفت الأنظار طريقة للوصول إلى الأخبار عن طريق العيون تشبه إلى حد كبير ما يقوم به رجال المباحث والمخابرات كما تنشر في القصص البوليسية مع الفارق في الهدف والدافع بين الحالتين:

فبعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق زعيم يهود أمروا عليهم أسيد بن زارم فسار هذا في قبيلة غطفان يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ وبلغ ذلك رسول الله فوجه إليه، عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سراً، فسأل عن خبره وغرته (أي الوقت الذي يمكن أخذه فيه على غرة) فأخبر بذلك فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره.

فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب له ثلاثين رجلاً فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقتلوه هو وأصحابه^(٤).

وكانت مهمة عبد الله بن رواحة وصاحبيه رضي الله عنهم الأولى عاملاً فعالاً في تنفيذ المهمة الثانية للتخلص من أسير هذا وإنهاء شره وتأليبهم لقبائل العرب ضد المسلمين.

(١) الأحابيش: مفردا أحبوش وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش قبل تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة وقيل سموا بذلك لتحيشهم أي تجمعهم والتحيش: التجمع (والجباشة: الجماعة) فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٤.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٥٣ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٣، ص ٣٥٦، وابن سعد في الطبقات، ج ٢ ص ٩٥.

(٤) القصة بكاملها في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٢.

فكان العمل العسكرية بخروج السرية مكملًا للخبر الإعلامي الذي جاء به عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

وكما كان للرسول ﷺ «عيونه» كذلك كان لأعدائه «جواسيس» فهذا مالك بن عوف النصري بعد أن جمع هوازن وثقيف بأوطاس يريدون حرب رسول الله . أرسل ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب . ووجه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم ، فلما كان الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين^(١) وعبأ رسول الله ﷺ المسلمين في السحر وجعل منهم الألوية والرايات ومن هذا السياق يتضح بجلاء أهمية الأخبار التي يأتي بها العيون أو الجواسيس ، فإن تعبئة الجيشين المتقاتلين تمت بعد وصول الأخبار إلى قيادة كل من الطرفين عن الطرف الآخر . وقد اختلفت حال (العيون) عند المشركين عنها عند المسلمين فجواسيس المشركين رجعوا يرتعدون من الخوف والهلع وكان لذلك أثره في اتخاذ قيادة المشركين الأمر بالتعبئة الفورية . أما «عين» المسلمين عبد الله بن أبي حدرد فهو صحابي مشهور ومحارب من قادة السرايا ، فرجع بالخبر اليقين عن المشركين أخذ بعده رسول الله ﷺ القرار بالتعبئة التي تسير وفق خطة عسكرية وإعلامية متقنة . كانت نتيجةها النهائية هزيمة الأحلاف وزحف رسول الله ﷺ لفتح الطائف وقبل غزوة المريسيع المعروفة بغزوة بني المصطلق عندما علم رسول الله ﷺ بخبر تحريض زعيم بني المصطلق . . .

(الحارث بن أبي ضرار) لقومه ولمن والاه من العرب على المسلمين واستعداده لحرب رسول الله ﷺ .

«أرسل رسول الله بريدة بن الخصيب يعلم له علم ذلك»^(١) .

فأتى بني المصطلق وقابل الحارث ملكهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

خبرهم فندب الرسول الناس للخروج لحرب بني المصطلق الذين تجمعوا على ماء يقال له (المريسيع) وقتل المسلمون «جاسوس» المشركين وهم في طريقهم للقائهم.

وهاتان صورتان متناقضتان تماماً لمصير مصادر الأخبار الإسلامية ومصدرها عند المشركين، فقد كانت نهاية جاسوس الكفار القتل مما فت في عضدهم وتفرقوا وبقي بنو المصطلق وحدهم في مواجهة المسلمين... أما بريدة^(١) رضي الله عنه فقد أدى المهمة على أكمل وجه وجاء بالخبر اليقين إلى قائده رسول الله، وكانت غزوة المريسيع التي كان حديث الإفك في طريق العودة منها، وهو حادث شغل الجماعة الإسلامية شهراً كاملاً أو يزيد.

ومن هذه الأمثلة التي سقناها تتضح لنا وظيفة العيون في جمع الأخبار عن أعداء الدعوة الإسلامية ونقلها في عملية اتصال منظمة نشطة إلى عاصمة الدولة وإلى قيادتها حيث تتخذ القرارات وترسم معالم الأحداث بتدبير من الله جلّت قدرته.

(١) لم يرد ذكر إرسال بريدة رضي الله عنه تصريحاً باسمه إلا في طبقات بن سعد ج ٢ ص ٦٣ واكتفت بقية مراجع السيرة بذكر: أن رسول الله ﷺ علم علمهم فندب الناس إليهم ولم يذكر بن سعد على غير عادته أنه كان عيناً غير أن مهمته تقترب من مهمة العين ذلك أن أول صفات مهمة العين أو الجاسوس أن تكون سرية وبريدة رضي الله عنه قابل الحارث فربما أخفى بريدة مهمته ولم يصرح بها أو تخفى فكان أمهر العيون الذين وجههم الرسول ﷺ.

د - الأسرى

في كل معركة يتقابل فيها جيشان لا بد من وجود أسرى لكل طرف عند الطرف الآخر وهذه ظاهرة مألوفة في الحروب وخاصة عندما يزداد العدد المشترك في المعركة من الطرفين وعندما يكون هناك نقص في المعلومات عن العدو من المصادر الأخرى العادية فيضيف الأسير بحديثه مهما كان مستواه ونوعه معلومات مهما قلت تكون ذات قيمة عند تحليلها .

وعملية أسر أفراد العدو تتم قبل المعركة أو أثناءها أو بعدها أو في أي وقت يكون فيها طرفان في حالة حرب .

غير أن أكثر أنواع الأسرى فائدة كمصدر للمعلومات والأخبار عن الجيش الذي ينتمي إليه هم أسرى ما قبل المعركة حيث تمس الحاجة إليهم لاستكمال جهاز المعلومات ولتكملة الصورة التي ينبغي أن يكونها القائد عن عدوه، إما لرسم خطته في المناوشة والهجوم أو لوضع خطة مضادة لخطة العدو لتفويت أغراضه عليه وخداعه وتضليله وقد يتم إلغاء خطة معينة بناءً على المعلومات الجديدة أو اتخاذ إجراء سريع ومفاجئ .

أو يتم حشد القوات لضمان عنصر المباغتة والمفاجأة الذي يكون له الأثر الحاسم في تحديد نتائج المعارك وكذلك لاحتلال الموقع الأمثل في المعركة الذي يضمن تدابير السلامة للأفراد وإيقاع أكبر قدر من الإصابات في الطرف المعادي . .

وأسرى ما قبل المعارك هؤلاء هم الذين يعتبرون من مصادر الأخبار

بالنسبة لهذا البحث ولكن قد تطول الحرب وتستمر المعركة أياماً أو شهوراً فحينئذٍ يعتبر الأسير بشكل عام وأينما أخذ مصدراً للأخبار القيّمة عن الجيش الذي ينتمي إليه .

غير أن أخبار الأسرى ليست كلها مما يمكن أن يوثق فيه فأول ما يلقيه الجندي ويتعلمه من قاداته هو: مجموعة من المهارات لتضليل العدو وضمان أقل درجة من الفائدة منه للعدو إذا وقع في الأسر .

ولكن تحت أوضاع معينة وأشكال خاصة من المعاملة فيمكن الحصول من الأسرى على معلومات مفيدة وحتى قيمة .

وقد كان هذا الحال أيضاً في معارك الإسلام مع قوى الباطل والشرك في الدور المدني من الدولة الإسلامية فقد كان المسلمون يستثمرون الأسرى الذين يقعون في أيديهم قبل وأثناء المعارك في التعرف على أخبار أعدائهم .

وفي المقابل فقد وقع الكثير من المسلمين أسرى في أيدي المشركين كأصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة وغيرهم والملاحظ في هذا الأمر أن المسلمين نادراً ما كانوا يستأسرون للكفار إذا أحاطوا بهم: إما طلباً للشهادة أو أن الكفار بما أنطوت عليه نفوسهم من الغدر ونقض العهود لخلوها من العقيدة وعدم ارتباطها بتعاليم السماء كان يعميهم الحقد فيحرصون على قتل من استأسر من الصحابة الكرام وهذا كان حال زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وغيرهما ممن اقتضت إرادة الله أن يقعوا في أيدي الكفار وكأن المشركين لم يأبهوا بقيمة الأسرى كمصدر للأخبار وكل همهم كان تصفية هؤلاء الأبطال الدعاة حتى لا يظهر ما يدعون إليه من قيم جديدة وأفكار تهدم حياة الجاهلية وما علموا أنهم أثناء أسرههم وحتى عند استشهادهم كانوا دعاة هداة .

وعلى كل حال فقد كان أسرى المعارك المشركين من مصادر الخبر للرسول ﷺ وللمسلمين يؤيد ذلك ما حدث في معركة بدر الكبرى وقبل وقوع القتال بين الطرفين حيث جرى الكثير من عمليات تتبع الأخبار ودراستها وتحليلها وبالنسبة للرسول ﷺ ولجماعة الإيمان فإن عملية الحصول على أخبار

الكفار وتتبّع أحوالهم ورصد حركاتهم لم تتوقف لحظة واحدة بكل الطرق الممكنة في ذلك العصر.

حتى جاء وقت أول صدام فعلي مع المشركين عند آبار بدر واستعمل الرسول ﷺ كل الوسائل المتاحة لدراسة تحركات الأعداء ورصد منازلهم ومن بين هذه الوسائل الأسرى من المشركين الذين نحن بصدد دراستهم كمصدر للأخبار.

بعد وصول المسلمين بداراً مباشرة ركب ﷺ هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وقابلاً شيخاً من العرب فسأله عن قريش ودار بينهما حوار حصل منه على معلومات عن قريش ثم عادا إلى المسلمين وفي المساء بعث ثلاثة من الصحابة هم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه والزبير بن العوام رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ليمسسون خبر قريش فأسروا اثنين من سقاة قريش هما:

(أسلم غلام الحجاج عريض أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد) وسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي.

فقالا: نحن سقاة قريش. بعثونا نسقيهم من الماء.

فلم يعجب الصحابة هذه الإجابة فضربوهما ضرباً شديداً لأنهم كانوا يأملون أن يكونا من أفراد القافلة مع أبي سفيان لأنهم خرجوا لطلبها أصلاً... فتركوهما.

وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم وقال:

«إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتموهما».

«صدقا والله إنهما لقريش».

«أخبراني عن قريش».

قالا: هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال لهما رسول الله: «كم القوم؟».

قالا : كثير .

قال : « ما عدتهم » .

قالا : لا ندري .

قال : « كم ينحرون كل يوم » .

قالا : « يوماً تسعا ويوماً عشراً » (أي تسعة من الإبل) .

فقال رسول الله ﷺ : « القوم فيما بين التسعمائة والألف » ثم سألهما : « فمن فيهم من أشرف قريش ؟ » .

فذكرا له جملة من أشرف قريش ورؤسائها .

فقال رسول الله : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(١) .

وهذا الموقف الذي عرضناه يوضح لنا بجلاء كيف كان الأسرى مصدراً للخبر عند المسلمين ويعطينا فكرة واضحة عن منهجه عليه الصلاة والسلام في استقاء الخبر بأسلوب يفيض حكمة .

ففي هذا الحوار القصير عرفنا :

أ - أسلوباً جديداً من أسلوب السؤال غير المباشر ذي الدلالة القوية .

ب - دليلاً قوياً على صدق الرسول ﷺ في إعلام المسلمين بحقيقة هذين الأسيرين .

ج - الربط المنطقي بين الحقائق المطلوب الحصول عليها .

فبدأ رسول الله ﷺ بإقرار الأسيرين على أقوالهما ثم سأل عن مكان قريش ثم سأل عن العدد (الكم) ثم سأل عن نوع العدو وتركيبته (الكيف) الذي عبر عنه بقوله عليه الصلاة والسلام :

« هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها » .

وهذا إحياء منه ﷺ بأن المعركة ستكون حامية الوطيس ومكلفة .

(١) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٢، ص ٢٥٦ .

وفي موقع آخر في غزوة غطفان إلى نجد أو غزوة ذي أمر ناحية النخيل في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ضد بني ثعلبة وبني محارب بقيادة دعثور بن الحارث قبض على أسير من المشركين في مكان يقال له ذي القصّة واسمه جبار بن ثعلبة فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم وأنهم هربوا إلى رؤس الجبال. وكان الأسير قصد أن يتطابق قوله مع الواقع فقال لرسول الله ﷺ «أنا سائر معك» فدعاه الرسول إلى الله فأسلم وضمه إليه بعد أن وكل أمره إلى بلال رضي الله عنه^(١).

وتكررت المناسبات التي اعتمد فيها الأسرى في استقاء الأخبار في السرايا التي كان يوجهها الرسول القائد بقيادة الصحابة الكرام إلى المشركين هنا وهناك فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سريره في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بفدك كان يسير الليل ويكنم النهار فوجدوا في طريقهم على ماء عند مكان يقال له (الهمج) رجلاً فاسألوه عن القوم فقال أخبركم على أنكم تؤمنوني فأمنوه فدلهم.

وفي شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة وجه رسول الله ﷺ سرية بقيادة عكاشة بن محصن إلى الغمر وهو ماء لبني أسد فلما أحس بهم القوم هربوا إلى رؤس الجبال وبعث قائد السرية شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر (النعم) وأسروا (ربيثة)^(٢) لهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عمه فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وقدموا بها إلى المدينة^(٣).

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا كيف كان الأسرى مصدراً من مصادر الأخبار في العهد المدني من الدولة الإسلامية وزاد من قيمة هذا المصدر أن هذا العهد كان عهد ملاحم كبرى واشتباكات شبه يومية مع قوى الشرك والكفر

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) ربيثة، طليعة القوم (راجع لسان العرب ج ٩ ص ١٠٧).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٨٤ - ٨٥.

فكانت ظاهرة أخذ الأسرى من قبل المسلمين من المهمات الأساسية للاستفادة منهم في رصد أخبار العدو وجمع المعلومات عنهم وقد ضرب لنا المثل الأعظم في ذلك رسولنا القائد ﷺ في أول المعارك الكبرى بين دولة الإسلام الناشئة وبين دولة الكفر والشرك والوثنية الزائلة .

الفصل الثالث

القسم الأول :

تطبيقات من السيرة النبوية على استخدام رجع الصدى
الإعلامي في الحصول على الأخبار الجديدة.

القسم الثاني :

مصادر الكُفَّار في الحصول على الأخبار

القسم الأول

تطبيقات من السيرة النبوية على استخدام رجع الصدى الإعلامي في الحصول على الأخبار الجديدة

اعتمدت الدعوة الإسلامية منذ بدايتها على العمليات الاتصالية الفردية والجماعية، وكانت تجربة رائدة في تاريخ البشرية وظفت جميع طاقات ومواهب وإمكانيات الفطرة البشرية لتحقيق أوسع استجابة لعقيدة التوحيد، في أمة أمية تباينت عقائدها وتباعدت أهواؤها، وتصلبت عاداتها حتى استطاع الرسول ﷺ وبتوفيق من الله تعالى واستطاع المسلمون الأوائل من الثبات الصلب على الدين الجديد، حتى أظهر الله تعالى دينه واندحرت عقائد الجاهليين.

ولعبت عمليات الاتصال الشخصي في البداية، ثم عمليات الاتصال الجماهيري فيما بعد، دوراً كبيراً في انتشار الإسلام وتكاثر أتباعه.

وسارت الدعوة كما حدد منهجها القرآن الكريم والسنة المشرفة في خطوات مرسومة، وفق منهج كامل من التربية الصلبة للجماعة المسلمة، الدعوة الواضحة التي تخاطب العقل البشري في بدايته ونقائه، وتلح عليه أن ينفذ عنه غبار الإلف، ويجلو عنه صداً العادات المتصلبة، التي تحول بينه وبين الحق، وتحثه على ضرورة استخدام قواه المدركة استخداماً صحيحاً وعادلاً، ليفهم دعوة الحق التي تأخذ بيده إلى الحياة الصحيحة المنطقية في دنياه وآخره...

ومن هنا فقد ظهرت من خلال عملية الاتصال الدائمة الدؤب بين أفراد

الجماعة المؤمنة أولاً في مكة، فيما بينهم وبين أفراد المجتمع المكي الآخرين، حتى فشا الإسلام وكثر اتباعه.

ثم بانتقال المسلمين إلى المرحلة التالية: مرحلة الدعوة التي تحميها الدولة، مرحلة تقوم على التجانس الفكري في المجتمع المؤمن، وعلى التناقض مع المجتمعات الكافرة الأخرى، دخلت عمليات الاتصال في دور جديد، دور يتسم بالضخامة والتشابك، ولذلك كان لا بد من نظام ثابت ودائم يضبطها ويوجهها ويستثمرها، فكان خبر الوحي وتوجيهات السماء، والحدود التي يرسمها في شرع يبني لبنة لبنة، حتى أتم الله الدين وأظهر الدعوة.

وظهرت ظواهر اتصالية جديدة في المدينة المنورة - مركز الدولة الجديد - لم تكن متاحة في مكة في أدوار الدعوة الأولى وهذه الظواهر الاتصالية تأثرت بالعوامل الآتية: -

١ - قيام الدولة الإسلامية وتنظيم السلطة وممارستها لعناصر السيادة الكاملة.

٢ - وجود جماعات اليهود كعنصر أساسي في مجتمع المدينة وعدو للإسلام.

٣ - ظهور النفاق والمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

٤ - تتابع خبر الوحي توجيهاً وتعليماً وتنظيماً وتشريعاً وتأصيلاً.

٥ - ممارسة الرسول ﷺ للسلطتين الدينية والزمنية.

٦ - بداية الصدام العسكري مع أعداء الدولة الإسلامية.

٧ - تميز مواقف القبائل العربية في الحجاز ونجد وحول المدينة وعلى

طرقها.

٨ - استقبال الوفود من مختلف أجزاء الجزيرة العربية.

٩ - الاتصال بالبلاد المجاورة ودعوة ملوكها وقادتها إلى الإسلام.

١٠ - كثرة عدد أفراد المجتمع الإسلامي وانتشار الإسلام في جزيرة

العرب خارج المدينة المنورة.

١١ - البعد النسبي عن دولة الشرك في مكة تطلب استخدام وسائل اتصال لم تك هناك حاجة لها في الدور المكي .

- كل هذه العوامل أوجدت عمليات اتصال فردية وجماعية كان لها دور كبير في نقل الأخبار، وتبادل الآراء، وتوفير كميات هائلة من المعلومات عن المجتمع الإسلامي في المدينة، وعن الأعداء وعن الأصدقاء، وعن القبائل وعن المشركين وعن اليهود والمنافقين والبلاد المجاورة.

وكثير من هذه المعلومات توفرت نتيجة لاستجابات الأفراد الداخلين في عمليات الاتصال ضمن إطار الدعوة للإسلام سلباً أو إيجاباً . . وهذه الاستجابات هي ما يعرف (برجع الصدى) أو التأثير المرتد على الرسالة الإعلامية بمختلف أنواعها وأشكالها . ففي أي عملية اتصال يرسل المرسل رسالة ما فيفسرها المتلقى لها حسب عوامل إدراكية ومجالية معينة، ويستجيب لها، وهذه الاستجابة هي رجع الصدى أو التأثير المرتد، الذي يعرف المرسل بفضلته وصول الرسالة إلى هدفه .

«فرجع الصدى يتكون من ردود فعل المتلقى الداخلية، والخارجية كمستمع أو متلقى والإشارات أو الأعمال التي يقوم بها استجابة على الرسالة»^(١).

وفي ضوء رد الفعل هذا أوجع الصدى ينظم المرسل رسالته التالية، ويرسم خطته في التأثير على المتلقى، ويرصد أخباره ويحصل على كافة المعلومات عنه، ومن هذه الرسالة الجديدة يتولد (رجع صدى جديد) يفيد في الخطوات التالية من التأثير الإعلامي . . . وهكذا تستمر حلقات العمل الإعلامي متتابعة .

ومن هذا التحليل يتضح لنا الأهمية المطلقة لأخذ زمام المبادرة في

(١) د. جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ط ٣ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م) ص ١٢٢ و ١٢٣ .

التأثير على المتلقى بحيث يكون صاحب الرسالة عنصراً نشطاً يقطاً مثابراً، وبقدر ما يمسك بزمام المبادرة يكون التأثير في الطرف الآخر.

وقد أكدت الأبحاث الحديثة في عمليات الاتصال «أن رجوع الصدى من الأمور الأساسية في الاتصال ونقل المعلومات، وحيث أن الاستجابة على رسالة تسيطر أو تتحكم دائماً في الرسالة التالية التي سيتم إرسالها، نجد أن رجوع الصدى أو التأثير المرتد أو التغذية العكسية من المفاهيم الأساسية لفهم الاتصال البشري بشكل عام»^(١).

وتركز الأبحاث الإعلامية الحديثة التي تناول هذا الجانب الإعلامي بالدراسة على أمرين:

١ - الأمر الأول: عناصر عمليات الاتصال كعملية أساسية في الحياة الإنسانية، ووسيلة من وسائل التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه الفرد لزيادة معرفته وتعديل سلوكه واتجاهاته، ضمن دائرة عملية التكيف بين الفرد وبيئته وكضرورة من ضرورات الحياة البشرية.

٢ - الأمر الثاني: دراسة العمليات الإدراكية والسلوكية التي تنشأ أثناء وبعد عملية الاتصال على مستويين:

أ - مستوى الأفراد وتأثير الواحد في الآخر.

ب - مستوى المجتمعات وتوجيه الرسائل الإعلامية.

وينشأ رجوع الصدى الإعلامي في المستويين السابقين، ويستخدمه الخبراء في اختيار الرسائل الإعلامية، وفي رسم خطط عمليات الاتصال، وفي دراسة اتجاهات المستقبلين لهذه الرسائل الإعلامية، وفي تعديل أساليب الاتصال وإجراء إصلاحات على الوسائل والأجهزة الإعلامية بما يحقق أكبر فائدة ويقلل من الجهد والوقت، ويخفف من آثار التشويش في عمليات الاتصال.

(١) جيهان أحمد رشتي، نفس المرجع السابق، ص ١٣٦.

ولما كانت الدعوة الإسلامية تعتمد على أوليات الحياة الإنسانية، وبديهيات العمليات الإدراكية وتتناسب تماماً مع فطرة الإنسان السوية قبل أن تتلوث وتفسد بتأثير التربية وعمليات التطبيع الفاسدة... فإننا نلمح في السنة المشرفة نماذج وتطبيقات عملية استخدم فيها رسول الله ﷺ أساليب تعتمد على استغلال واستثمار (رجع الصدى) في المجتمع الإسلامي في المدينة، وعند أعداء الإسلام داخل هذا المجتمع المدني وفي مواقع الصدام بين جماعة الإيمان وعناصر الكفر... ويكفي أن نضرب أمثلة من واقع تاريخ السيرة النبوية للتدليل على ذلك.

١ - التورية في الغزوات: كان رسول الله ﷺ عندما يستعد لمباغثة قبيلة غادرة، أو محاربة أعداء الإسلام من الكفار والمشركين، لا يذهب إلى ديارهم مباشرة وإنما يظهر لهم أنه ﷺ يريد غيرهم، حدث ذلك في أكثر من موقع، ونموذج ذلك غزوة بني لحيان الذين غدروا بأصحاب الرجيع إلا ما كان منه في غزوة تبوك لأهداف وأغراض معينة.

٢ - عندما سار رسول الله ﷺ لفتح مكة فاجأ المشركين بالنيران على رؤوس الجبال. حولها، وكان من بين أغراض رسول الله ﷺ والله أعلم تحقيق أكبر قدر من ردود الفعل عند المشركين ليدرس تحركاتهم ويحصل على المعلومات الكاملة عنهم. ودليل ذلك أن أهل مكة لما رأوا النار بعثوا من فورهم أبا سفيان بن حرب:

لاستطلاع الأخبار ثم حدث ما حدث من إسلام أبي سفيان وفتح مكة.

٣ - سُنَّةُ الاضطباع والرمل في الطواف في عمرة القضاء كانت رداً إعلامياً على الحرب النفسية التي شنها المشركون على المسلمين في قولهم كما روى البخاري:

«إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب».

فالرمل والاضطباع في الرسالة الإعلامية النبوية لقريش، نوع من الدعاية

المضادة، ورد عملي عميق الأثر نفسياً واجتماعياً. فقال رسول الله ﷺ للمسلمين:

«ارملوا ليرى المشركون قوتكم»^(١).

ولمسلم في آخر الحديث:

«فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى وهنتهم».

«هؤلاء أجلد من كذا وكذا»^(٢).

فقد تولد عن الدعاية المضادة رجع صدى جديد هو قول المشركين كما ورد في رواية مسلم...

فقد كانت سنة الرمل في مواجهة المشركين رسالة إعلامية عملية استخدم فيها رجع الصدى المرتد من المشركين في تشكيل رسالة إعلامية أخرى أحدثت أثراً بالغ الوقع في نفوسهم، وهذه حلقة من حلقات الخطة النبوية لتحطيم معنويات المشركين بغزوهم نفسياً في عقر دارهم، نظراً لأن الاتفاقية التي عقدت قبل عام من هذه العمرة حدثت من فرص الصدام القتالي. وكان ذلك تمهيداً لغزوهم عسكرياً كما سيأتي في غزوة الفتح الأعظم في السنة الثامنة.

٤ - السرايا المبكرة: التي نظمها رسول الله ﷺ من المهاجرين، ودفع بها إلى كل مكان سمع فيه أثراً لقريش، ضمن خطة استراتيجية (تعبوية) وإعلامية عامة كان من بين أهدافها الرئيسية إحداث أكبر قدر ممكن من ردود الفعل عند المشركين، ثم رصد تحركات الأعداء والحصول على أخبارهم.

وقد كان لهذه السرايا أهداف مباشرة ومهمات محددة من قائد الدولة ﷺ، وكان لها أيضاً أغراض نفسية وسياسية وإعلامية واقتصادية.

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٥٠٩ (باب عمرة القضاء).

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، المجلد الخامس، ج ٩، ص ١٣.

فسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة بين مكة والطائف كان هدفها كما سبق عند دراسة السرايا الحصول على أخبار مكة، وجاء قتل عمرو بن الحضرمي فيها، وهو أول قتيل من المشركين بعد الهجرة.. حتى أن المؤرخين يعتبرون من بين أسباب معركة بدر الكبرى إلى جانب بقية الأسباب الرئيسية (الثار لابن الحضرمي هذا)..

٥ - ومن الأساليب التي استخدمت رجع الصدى للحصول على الأخبار معاملة الرسول ﷺ للمنافقين وهم فئة من المسلمين تعرض لهم القرآن الكريم كثيراً وكشف صفاتهم.. حتى الصفات الجسدية وخصائصهم العضوية إلى جانب الصفات النفسية والقلبية والعصبية. وشن حرباً لا هوادة فيها عليهم وأعلن أنهم عدو للمسلمين المؤمنين الصادقين..

وهذه الفئة (المنافقون) كانوا يظهرون الإسلام باللسان والحركات، ويبطنون الكفر والحقْد على الإسلام. وعقائده وبنيه، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الكيد والدس الرخيص والتآمر إلا واتبعوها. ولكن رسول الله ﷺ صبر عليهم طويلاً، وتحمل من أذاهم الشر الكثير متقبلاً منهم ظاهر سلوكهم، وتاركاً أمر قلوبهم لخالق القلوب والضمائر.. وكثيرة تلك المواقف التي خذل فيها المنافقون رسول الله ﷺ واثبطوه وآذوه، حتى تطاولوا بالإشاعات على بيت النبوة الطاهر، والرسول ﷺ صابر صامد يظهر لهم لين الجانب وطيب الخلق، ولا غرو في ذلك فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وأثنى عليه في كتابه الكريم بقوله: «وإنك لعلی خلق عظیم» وكان رسول الله ﷺ يستخدم هذه المعاملة الكريمة التي تتنافى مع حقيقة موقف المنافقين ويلاحقهم، ويحصل على أخبارهم، ويرصد حركاتهم، ويحذر منهم ويميزهم، واثقاً من نصر الله ومن عصمته ومن أن النصر في النهاية سيكون للحق مهما طال الزمن.

وهذه المعاملة تعطينا مثلاً عظيماً من الأمثلة الإعلامية التي ترصد برجع الصدى أو الأثر المرتد من الطرف المتأثر وخاصة عندما يكون زمام المبادرة في التأثير بيد قيادة واثقة مؤمنة مقتدرة، تعرف إمكانياتها وإمكانيات أعدائها،

مخلصة التوحيد والتوكل على الله عز وجل . . . وإنما يحدث التخبط وتحصل الحركات الطائشة الهوجاء من قيادة مهزوزة ضعيفة الصلة بالله فتتصدى للمشكلات بأسلوب إعلامي فج ، وتستخدم أساليب غير ناضجة في تصيد الأخطاء وتسقط العيوب .

والأمثلة كثيرة على المعاملة الحكيمة من رسول الله ﷺ للمنافقين وما كان ينشأ عنها من (رجع صدى) عميق الأثر يعمل على تقليل عوامل التصدع في الجماعة المؤمنة، ويزيد من عوامل التماسك الظاهري في وجه الأعداء المتربصين، والأمثلة كثيرة على مواقف التثبيط والخذلان والاعتصام بروابط الجاهلية وتقديمها على روابط الإسلام، وعمليات التوهين ونشر الإشاعات كثيرة أيضاً من جانب من المنافقين ومن ذلك .

أ - انسلاخ رأس النفاق عبد الله بن أبي بمن تبعه من المنافقين عن القوة المؤمنة التي ذهبت لملاقة المشركين في أحد .

ب - حديث الإفك .

ج - قول ابن سلول بعد الفراغ من غزوة المريسيع . .

«والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» .

د - موقف المنافقين في غزوة الأحزاب وانكشافهم .

هـ - التخلف عن غزوة تبوك .

وغير ذلك من المواقف .

وقد تصدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمقولة ابن سلول الجاهلية بعيد المريسيع وطلب من رسول الله ﷺ أن يأمر عباد بن بشر ليقبله ولكنه ﷺ قال :

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟» .

لا ولكن أذن بالرحيل» .

وهذا الموقف الكريم جعل عبد الله بن عبد الله بن أبي يأتي إلى

رسول الله ﷺ، ويطلب منه أن يأمره بقتل أبيه إن كان يرى أن ما من قتله
بُدَّ لظهور نفاقه وتغلب جاهليته.

فقال له رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا».

يقول ابن إسحاق: «وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم
الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين
بلغه ذلك من شأنهم.

«كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف
لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته!!؟».

قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»^(١).

هكذا يجب أن تكون القيادة الإسلامية والرعية المسلمة في كل زمان
ومكان - فعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق موجود في كل المجتمعات
ولكن أين المتابعين لسنة رسول الله ﷺ والمتأملين في سيرته العظيمة التي لا
تزيدها السنين إلا رسوخاً وأصالة وصدقاً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(١) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٣، ص ٣٣٧.

القسم الثاني

مصادر الكفار في الحصول على الأخبار

كان للعرب في الجاهلية مصادرهم للحصول على الأخبار، منها العيون والطلائع والتجار والمسافرون والرواة والشعراء والقصاصون والرصد وغير ذلك من الوسائل. وقد استمر استخدامهم لهذه الأساليب ولغيرها من الأساليب بعد البعثة وطوال العهد المكي، ثم في العهد المدني بعد الهجرة وطوال مراحل الصراع بين الحق والباطل، وأضيف إلى وسائلهم بعض الوسائل التي فرضتها ظروف المرحلة الجديدة ومنها يهود المدينة الذين انحازوا إلى جبهة الكفار في حرب الإسلام والمسلمين، ومنها أفراد القبائل المتحالفة مع قريش والتي حافظت على علاقاتها وصلاتها معها، أو الفئات التي لم تتدخل في الصراع في البداية بين المسلمين والكفار مثل مجدي بن عمرو الجهني.

والحقيقة أن مصادر الكفار في الحصول على الأخبار ما كانت تستحق الدراسة لولا أننا رأينا التعرض لها استكمالاً لصورة الواقع الذي كانت عليه هذه المصادر في العهد المدني، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الكفار كانوا عاملاً قوياً في صناعة الأحداث بمكرهم وعنادهم وشقاقهم للحق، ومخالفتهم لأتباع الهدى، ولكن سنته تعالى اقتضت إظهار الدين الإسلامي على الدين كله، وهزيمة الجاهلية والجاهليين حتى زالت دولة الشرك وقامت دولة التوحيد.

وفي جميع مواقع الصدام، وفي جميع المعارك كان للمشركين مصادر أخبار ينظمون في ضوء المعلومات التي تصلهم بواسطة خريكتهم ويستعدون

ويتشاورون ويرسمون الخطط ويهيئون أنفسهم للنزال، وكذلك في غير أوقات القتال كانوا مثابرين في تسقط أخبار الدعوة والتعرف عليها، ومعرفة حجم قوتها وعدد أنصارها داخل مكة وخارجها، وليست محاولة الكيد للمسلمين المهاجرين إلى الحبشة لدى النجاشي ببعثة عمرو بن العاص إلا دليلاً واضحاً على ذلك :

وكذلك كان الأمر بعد تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد الهجرة وبعد أن تأكد الكفار من نجاة رسول الله ﷺ، وإشعار الرسول ﷺ بقوة المسلمين في عربينهم الجديد عن طريق السرايا الأولى والغزوات المبكرة. اكل ذلك كان دافعاً لقريش للتعرف على أخبار تلك القوة الجديدة الواقعة على طريق شريانها الحيوي إلى الشام، والتجارة عماد حياة مكة وسر تفوقها المادي على غيرها من القرى في الجزيرة كما كانت خدمات الحجيج التي تقدمها سر تفوقها المعنوي قبل الإسلام .

وعرف المشركون أن الدعوة الجديدة لم تكن لمطمع شخصي أو لغرض دنيوي أو لطلب رئاسة أو ملك وإنما هي دعوة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم .

والمأمل في مصادر وطرق الكفار للحصول على الأخبار يلاحظ جمود لأساليب القديمة المألوفة وعدم جدواها وقلة فعاليتها لأنها لا تعتمد على عقيدة صحيحة أو تفكير سديد فأين أساليب الكفار من أساليب الدولة الإسلامية التي قامت على خبر الوحي واعتمدت على حمايته للدعوة وللرسول وللدولة، وأشادت مؤسساتها على هدى الحق، وتكونت روابط مجتمعها في ضوء تعاليم الدين الحنيف .

فقد كان خبر الوحي في هذه الدولة قاعدة الحياة :

معلماً وحارساً وحافظاً للقيادة المؤمّنة وموجهاً ومسدداً ورغم أن رسول الله ﷺ كان واثقاً من تأييد الله سبحانه وتعالى له وللمسلمين وأنه سبحانه تعهد بإظهار دينه ونصر المؤمنين به وبرسوله فإنه ﷺ لم يترك وسيلة

بشرية تقع ضمن طاقة واحتمال البشر إلا واستخدمها، بينما ترك الكفار بلا حماية عليا لأنهم ركنوا إلى نفوسهم وغرتهم الحياة الدنيا وتركوا لأنفسهم ولمستوياتهم المتدنية المتعلقة بالمصالح الزائلة والأهواء: فظهر الخلل المنهجي في تفكيرهم على هيئة خلل منهجي في الوسائل والمصادر الإخبارية وخاصة أن الإسلام أخذ يجتاح قلاع الجاهلية ويكتسح حصون العقائد الفاسدة حتى ضاقت الدائرة على قريش وانتهى بها الأمر إلى الهزائم المتلاحقة في كل الميادين حتى دالت دولة الشرك عام الفتح الأكبر في السنة الثامنة من الهجرة.

وكان للمصادر الإسلامية في الخبر دورها البارز في تحقيق النصر الكامل، مما يظهر الدور الكبير الذي تلعبه المؤسسات الإعلامية وعمليات الاتصال ومصادر الأخبار خاصة والعاملون فيها في تحقيق النصر وتحديد المنتصر من المهزوم في كل زمان ومكان.

وتتضح هذه الحقائق في استعراضنا لبعض الأمثلة على مصادر الأخبار عند الكفار:

١ - لا عجب أن يكون الشيطان من مصادر الأخبار عند المشركين فهو وليهم وزعيم حزبهم فمن وقائع بيعة العقبة الثانية قبيل الهجرة: أن الشيطان، لعنه الله، صاح في قريش بعد إتمام البيعة المباركة قائلاً:

«يا أهل الجبابب - أي المنازل - هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم».

فقال رسول الله ﷺ:

«هذا أذب العقبة، هذا ابن أذيب أسمع عدو الله، أما والله لأتفرغن لك»^(١).

٢ - ومن أحداث الهجرة المشهورة أن المشركين استعملوا سراقه بن مالك لمطاردة رسول الله ﷺ في هجرته الميمونة، ليأتيهم بخبره وخبر صاحبه

(١) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٢، ص ٤٩.

أبي بكر ورصدوا لذلك جائزة قيمة وكان من خبر سراقه أنه بعد أن رأى معجزات النبي ماثلة حية أمامه، وعاشها تجربة قاسية، أنه بعد أن كان في أول النهار عيناً لأعداء رسول الله ﷺ أصبح في آخره عوناً له .

٣ - وفي حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن الهجرة أنه أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزاء رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بن كعب مكان فتاتهم ومقعهما للمؤمنين بمرصد

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما :

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة»^(١).

وقد كان توجيه هذا الخبر وسيلة إغاطة للكفار سخره الله تعالى ليوهن المشركين ويخذلهم .

٤ - ومن الملاحظ أن حركة السفر والانتقال والتجارة بين مكة والمدينة لم تتوقف حتى بعد الهجرة، بل إن الهجرة النبوية كانت من عوامل زيادتها لأنها كانت عملية مفاصلة مكانية محسوسة بين أهل الإيمان الذين أصبح لهم دولة وكيان وأصبحت الهجرة عليهم واجبة وبين أهل الكفر وجماعات المشركين، وتحققت هذه المفاصلة المكانية قبل الهجرة النبوية لكثير من المسلمين بعد أن تحققت المفاصلة الفكرية والدينية .

وفي إطار عمليات الانتقال والسفر بين مكة والمدينة كانت معظم الحركات السكانية تتم من مكة إلى المدينة إلا في نية الحج والعمرة أو التجارة فإنها تتجه إلى مكة، وقد كان بين أهل القريتين علاقات قوية من

(١) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠١ .

المصاهرة والصداقة والمتاجرة. وأخذت هذه الروابط تنسحب لتحل محلها علاقات جديدة بضوابط جديدة قائمة على الدين الجديد الذي يميز المؤمن الموحد على الكافر المشرك فهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه يذهب معتمراً لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وينزل على صديقه في الجاهلية: أمية بن خلف ثم طلب من أمية أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالكعبة.

وما أن يلحقه أبو جهل حتى اعترضه ووقعت مشادة عنيفة بين رأس الكفر وبين وافد الإيمان يرفع فيها سعد رضي الله عنه صوته على أبي جهل ويهدده قائلاً بعد أن حاول أبو جهل منعه من الطواف بالبيت:

«أما والله لئن منعني هذا: لأمنعك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة».

فقال أمية مهدئاً: «لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي».

قال سعد: «دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلونك».

قال أمية: «بمكة؟».

قال سعد: لا أدري.

ففرع لذلك أمية فرعاً شديداً^(١).

والذي يهمنا في هذا السياق أنه يبين لنا أن الأخبار كانت تصل إلى القيادات الكافرة في مكة من مصادر متعددة وحتى قد تأتي الأخبار من صحابي جليل كسعد. وقد كان خبر سعد هذا لأمية بن خلف من عوامل بث الفرع في نفسه وتثبيط همته وبذر بذور الخلاف بينه وبين أبي جهل فلم يذهب إلى بدر إلا مكرهاً وبعد أن أقذع له أبو جهل وأفحش في المعاملة والاستفزاز.

٥ - وشبهه بهذه الواقعة في الأثر المعنوي ما كان من خبر قريش بعد

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٨٢.

خروجهم لملاقاة المسلمين في بدر فإنهم لما اطمأنوا بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا:

إحذر لنا القوم أصحاب محمد أي قدر عددهم.

فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إلى قريش.

فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون. ثم ذهب في الوادي يستطلع هل للمسلمين من كمائن ومدد متأخر.

فلما لم يجد عاد وقال لقريش:

«ما رأيت شيئاً. ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم؟»^(١).

٦ - ولا يملك المرء إلا أن يعترف بأن مصادر الكفار للخبر كانت متنوعة وكثيرة وأنها وإن اختلفت في أغراضها ومعتقداتها فقد اجتمعت على غرض واحد هو الحقد على الإسلام والكيد له ومحاولة القضاء عليه.

فهذا وفد من اليهود فيهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل يذهبون إلى قريش وقد أعماهم حقدهم بعد انتصار المسلمين في بدر، ورغم المعاهدة التي كانت بينهم وبين المسلمين، فيؤلبون قريشاً على محاربة المسلمين ويقولون لهم:

«إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله».

فيسأل المشركون هؤلاء اليهود: «يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيراً أم دينه؟».

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٨١.

قالوا: «بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه».

فقد حمل اليهود إلى قريش إلى جانب حقدهم وتآمرهم كذبهم على المسلمين ودينهم الحنيف مخالفين ما توارثونه في كتبهم من العلم الصحيح عن بعثة رسول الله بصفاته التي عرفوها فيه. ولذلك استحقوا لعنة الله وكشف القرآن الكريم حقدهم وجريمتهم في قوله تعالى في سورة النساء:

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾.

وقد استخدم المشركون في مناسبات معينة أساليب ألفوها في بيئتهم وتعلموها من طول تعاملهم مع عناصر هذه البيئة واستخدموها في الاستدلال على بعض المعلومات التي وظفوها في تحركاتهم في صراعهم ضد دعوة الإسلام ومن ذلك.

أ - اقتفاء الأثر: وهذا ما حدث في غزوة الرجيع فقد بعث النبي ﷺ سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه، فانطلقوا حتى وصلوا عسفان ولما سمع بهم بنو لحيان وهم من هذيل تبعوهم بحوالي مائة من الرماة واقتصوا آثارهم حتى نزلوا في منزل كانت السرية قد نزلت فيه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة.

فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم وأحاطوا بعاصم وأصحابه..

ب - وقد استدل أبو سفيان قبل حدوث موقعة بدر على وصول المسلمين من أبعاد بعيدين كان رسول الله ﷺ قد أرسلهما وعليهما عينان له هما: عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو واستقى العينان من الماء قبل وصول أبي سفيان ثم انصرفا وكان على الماء في ذلك الوقت مجدي بن عمرو الجهني، فعندما وصل أبو سفيان بقافلته سأل مجدي بن عمرو: هل أحسست من أحد؟ قل مجدي: ما رأيت أحداً أنكره. إلا أنني قد رأيت راكبين أناخا إلى

هذا التل - ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا .

فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعاد بعيريهما ففثه فإذا فيه النوى .

فقال : (والله هذه أعلاف يثرب) . - فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب بوجه غيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراناً فسار حتى أسرع^(١) .

وفي كثير من الوقائع والأحداث يلاحظ الباحث تلهف الكفار لتلقي أخبار الرسول ﷺ وأخبار المسلمين . واستعدادهم للتصديق مما يظهر الآثار النفسية العميقة التي أحدثتها انتصارات رسول الله وانتصارات سراياه على أعداء الله في جميع الجهات التي توجهت إليها .

فهذا الحجاج بن علاط السلمي يقدم على قريش بمكة بعد انتصار النبي على يهود خيبر ويخبرهم - كذباً - (أن محمداً قد أسرته يهود وتفرق أصحابه وقتلوا ، وهم قادمون بهم عليكم) . ولكن الحجاج بعد أن استرد ديناً له كان في قريش يخبر العباس رضي الله عنه بخبر رسول الله ﷺ ، على حقه ، وسأله أن يكتم عليه حتى يخرج ، ففعل العباس ، فلمّا خرج الحجاج أعلن بذلك العباس وأظهر السرور ، وأعتق غلاماً له يقال له أبو زبيبة^(٢) .

والأمثلة على مصادر الكفار في الحصول على الأخبار كثيرة اكتفينا بذكر ما يعطي الدلالة منها ، لقد كان الكفار شركاء في صناعة الأحداث ، وكانوا لا يتورعون عن استخدام الأساليب التي ألفوها في بيئتهم ، وكانت هذه المصادر في أغلب المناسبات دماراً عليهم ، وهذا راجع إلى إرادته الله أولاً ، ثم إلى عصمة رسول الله ﷺ ، وأخذته بأسباب القوة في كل الأمور ، وفي مجال الحصول على الأخبار على وجه الخصوص ، وكذلك الإيمان القوى الذي امتاز به جيل الصحابة رضوان الله عليهم في مواجهة الكفار بجميع فئاتهم ، وشتى أغراضهم .

(١) ابن هشام ، سيرة النبي ، جزء ٢ ، صفحة ٢٥٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جزء ٢ ، صفحة ١٠٨ .

الباب الثالث

الأخبار ومصادرها في العهد المدني والعصر الحديث

الفصل الأول

تطور مصادر الأخبار في العهد المكي والعهد المدني

- ١ - تمهيد.
- ٢ - تطور مصادر الأخبار منذ بداية الدعوة في مكة وحتى نهاية العهد النبوي في المدينة المنورة.
- ٣ - العوامل التي ساعدت على تطور مصادر الأخبار في العهد المدني.

١ - تمهيد

١ - للخبر في الإسلام بعدان :

الأول : يستمد ماهيته من مفهوم الخبر في الكتاب والسنة باعتبارهما الأصول الفكرية لحياة الأمة الإسلامية .

الثاني : يستمد ماهيته من تطور الدراسات الإعلامية في مجال الأخبار وضرورة أن تنهض الأمة الإسلامية بواجب البلاغ وتأخذ بيد البشر الذين تفرقت بهم الطرق وبعثوا عن منهج الله - تأخذ بيدهم بالخبر وبمنهجها المتميز في التعامل معه ، نحو طريق النجاة والخلاص . . . ونتيجة لظهور الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة ثم في تأسيسها للدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، فقد استقرت مصادر الأخبار في العهدين على اعتبار الوحي قاعدة للخبر الإسلامي ، وظهرت في المدينة المنورة مجموعة من الوسائل استخدمها الرسول ﷺ ضمن دائرة الأخذ بالأسباب لمواجهة كافة التطورات والأحداث وليكون زمام المبادرة والمبادأة أبداً في يد القيادة المؤمنة الموحدة سلماً وحرباً . . لحماية حركة بناء الفرد وتكوين الجماعة وحمايتها وفق منهج الله القويم .

٢ - ومن المسلم به تاريخياً أن الحضارة الإسلامية في مراكزها المعروفة طورت أساليب في استقاء الأنباء داخلياً وخارجياً كان لها دور كبير في التأثير على الفكر الغربي في مناطق التماس والاتصال الحضاري في آسيا الصغرى وصقلية وقبرص والأندلس وكان نظام البريد في عهد الدولتين الأموية والعباسية

من الاتفاقان درجة جعلت من الميسور ربط أقصى مكان من الدولة بالعاصمة المركزية، وقد جاء التقدم الكبير في هذا المجال ثمرة جهود بشرية مشتركة وعلى مراحل... فهي ملك للإنسانية جمعاء تأخذ منها بحسب إمكانياتها وظروف حياتها وتوظفها بالصورة المتلائمة مع معتقداتها وأسلوبها في الحياة.

فوكالات الأنباء في بداية أمرها كانت شكلاً من أشكال العمل التجاري، استفادت من أساليب الاتصال التي كانت موجودة في بلاد الإسلام أيام كانت مراكز إشعاع حضاري ثم استفادت من الظروف الخاصة في الدول الأوروبية التي تتابعت زمن السلم والحرب حتى استقرت على وضعها الحالي مهيمنة على حركة الأخبار في جميع أنحاء الكرة الأرضية.

٣ - ثم أن جوهر البشر واحد، وإنما تتغير أساليب التأثير فيهم وما ينشأ عن ذلك التأثير من ظواهر سلوكية فردية والجماعية تتلون بلون الزمن الذي توحد فيه، هذه الأساليب، ولذلك فإننا نحد أن أنواع الأخبار التي كانت سائدة زمن الرسالة الخاتمة في دورها المدني هي بعينها الموجودة في وقتنا الحاضر... ذلك لأن الدور المدني كان مرحلة تأسيس دولة تقوم على عقيدة التوحيد: كاملة المؤسسات مع الفارق في الظروف والأحوال، وهذا الأمر من بديهيات الفكر والتاريخ الإسلامي.

ونحن نلاحظ كذلك أن الاهتمامات والاتجاهات البشرية كانت موجودة، وكل طرق توظيفها وتوجيهها واستثمارها، كانت مما يتلائم مع طبيعة المجتمع الإسلامي وطبيعة المجتمعات التي كانت موجودة على الساحة الأحداث في ذلك العصر.

٤ - ونود أن ننوه إلى أن المقصود بالتطور في رأينا بالنسبة لمصادر الأخبار في العهد المدني ليس هو خبر الوحي، فهذا خارج عن دائرة الإمكان البشري: ولكن المقصود بالتطور تلك المصادر التي اقتضتها ضرورات الحياة الجديدة ومتطلبات بناء الدولة في مركزها الجديد، وهذه المصادر خضعت لأي جهاز بشري للأخبار لعوامل التطور والتغير حسب الظروف والأحوال.

والأمر المؤكد أن رسول الله ﷺ استغل جميع الأساليب ليضرب لأمة
المثل الأعلى في الاهتمام بمصدر الخبر وحامل الخبر وأجهزة نقل الأخبار،
تلك الأمور التي تتصل اتصالاً شديداً بالفكر والسلوك، وواجب البلاغ المبين
في أمة الإسلام والبشر أحوج ما يكونون في هذه الأيام إلى العودة إلى منهج
الإسلام وهديه في الخبر: نقلاً وتحريراً ونشراً.

ط - تطور مصادر الأخبار منذ بداية الدعوة في مكة وحتى نهاية العهد النبوي في المدينة المنورة

جاء الإسلام لهدم عقائد الجاهليين ، وإزالة ما خالف منهج الله في الفكر والعمل والعلاقات والنظم . . . وانعكس أثر العقيدة الجديدة والحياة التي أقامها الدين بالتربية والتوجيه الإلهي على المنهج الإعلامي في استقاء النبأ والحصول على الخبر . . غير أن كثيراً من الأساليب التي كانت معروفة في المجتمع قبل الإسلام ظلت متبعة في دولة الإسلام لأنها تتفق مع الحاجات الفطرية والاجتماعية ، وما عمله الإسلام هو ترشيد هذه الطرق وتوجيهها حسب تعاليم الدين الجديد .

فلقد فرض أسلوب الحياة العربية قبل الإسلام في الحضر والبادية أنماطاً من الاتصال ، وتطورت لدى الجماعات والأفراد أساليب في الحصول على الأخبار ونقلها لتتفق مع ظروف حياتهم مما يمكن أن يطلق عليه «التواجد الأخباري» ومن هذه الأساليب والأنماط مظاهر الحياة الاجتماعية والأدبية والاقتصادية التي عاشوا فيها مثل :

- ١ - التجارة .
- ٢ - الأسواق الأدبية .
- ٣ - التجمعات عند الآبار .
- ٤ - الرحلات التجارية .
- ٥ - رواية الشعر والقصص .
- ٦ - الأنساب .

٧ - الخطابة والمناداة .

٨ - كتابة الرسائل البريدية .

٩ - الرحلات الخارجية إلى البلاد المجاورة^(١) .

١٠ - المعارك والحروب بين القبائل أو بين العرب وغيرهم من
لشعوب .

وسورة قریش في القرآن الكريم أوضح دليل على نشاط هام من
أنشطتهم وهو التجارة واحد التفاسير لهذه السورة يقول :

«إن المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي
الصيف إلى الشام وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم»^(٢) .

وقال تعالى :

﴿أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾
(القصص : ٥٧) .

وقد استمر بعض هذه الأنماط بعد أن أخذ طابعاً جديداً بعد الإسلام
ووظف في الدعوة للدين الجديد، وفي بناء الدولة في كافة المجالات وفي
معارك الصدام بين دولة الإسلام وأعدائها في الجزيرة العربية وخارجها .

وكان من بين المصادر الفكرية الكبيرة للأخبار العظمى كتب أهل
الكتاب من النصارى واليهود الذين كانوا ينتظرون أعظم نبأ في جزيرة العرب
وهو ميلاد ومبعث آخر الأنبياء . . . وقد كانت بقايا الحنيفية أيضاً دافعاً قوياً
لكثير من عقلاء العرب للاحتكاك بأهل الكتاب والاهتمام بأخبار هذا النبي
الذي سيظهر بمكة من ولد إسماعيل فكان اهتمام هذا الفريق من العرب في
مكة وخارجها إشارة إلى وجود مصادر جديدة لأخبار جديدة كانت بعيدة عن

(١) د . محمود أدهم : فن الخبر ط ١ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م القاهرة مطابع دار الشعب ص
٧٣ - ٧٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٥٣ .

اهتمامات غالبية الأفراد والقبائل العربية في ذلك الوقت .

أورد ابن جرير الطبري في تاريخه إسناداً إلى عامر بن ربيعة قال : -

«سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقّه وأشهد أنه نبي . فإن طالت بك مدة فرأيتّه فأقرئه مني السلام وسأخبرك ما نعتّه حتى لا يخفى عليك . . . » .

قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجّه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره فأياك أن تخدع عنه .

فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم وكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون :

«هذا الدين وراءك وينعتونه مثل مانعته ويقولون : لم يبقَ نبي غيره»^(١) ثم ظهر النبي الخاتم المنتظر وكان ميلاده وسيرته حتى مبعثه أعظم الأحداث البارزة قبل الهجرة وكان الصراع الذي بدت بوادره بعد الجهر بالدعوة وتحدي الكفار والمعاندين وبدأت الحوادث الجسام في تاريخ الجماعة الإسلامية وبدأت أخبارها تجتذب العرب خارج مكة من قريب وبعيد وانقسم المجتمع العربي إلى فريقين بل إلى جماعتين متميزتين متناقضتين وأخذت ملامح الجماعة الجديدة تتضح كلما زاد التحدي وتصلبت مقاومة الباطل للحق وعمت الأبصار الجاهلية والبصائر عن إدراك الحقائق الجديدة والتصديق

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ص ٢٩٥ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر - سنة ١٩٧٧ م تاريخ الإيداع - بدار الكتب .

بالآيات الماثلة أمام عيونهم وفي نطاق مداركهم . . . وأصبح للجماعة الإسلامية دوافعها واهتماماتها وتطلعاتها وآمالها وآلامها وروابطها . . . وفي المقام الأول أصبح لها مصدر ثابت للخبر اليقين . . . الرسول الأعظم . . . الذي آمنت به القلوب وصدقته الجوارح واستجابت لما تدعو إليه خلجات النفوس . . . مصدر «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» .

ونقض المسلمون الأوائل في مكة جميع الروابط الجاهلية وألغوا إلى ما لا رجعة علاقاتهم بمصادر الأخبار التقليدية وأصبحت قلوبهم وحواسهم متعلقة بخبر السماء يأتي به الوحي نجوماً على الحوادث والأيام والمناسبات فلا يحدث الكفار أمراً إلا نزل الوحي مشرعاً ومحدداً المواقف ومبيناً السبل وهادياً ومرشداً .

وصار لمصدر الخبر الجديد وظيفة علوية . . . فبعد أن كانت المصادر الأولى في الجاهلية تهتم بالأمور الدنيوية، وبالأغراض الحسية، وبالأمر العاجلة الفانية، وبما يشبع الغرائز وحب السيطرة والظهور . . . أصبح الوحي مصدر تشريع وتأصيل ودفاع فكري وتعليم وتصحيح لمسار الحياة والفكر يحدد للحياة غايات تعلو على مستوى المادة والمحسوسات وتحلق بها إلى آفاق تربطها في نومها ويقظتها، في حركتها وسكونها بالخالق الذي خلقها لغرض واحد هو توحيد عباده خالق آمنت به وبرسوله إلى أعماقها وصار للمسلمين نتيجة للمصدر الجديد اهتمامات غير الاهتمامات الجاهلية، فأصبحت قلوبهم معلقة بالله لا تأخذها في الحق لومة لائم . . . ومعلقة بالجنة ومرتبطة بعقيدة قوية في الإيمان بالحياة بعد الموت والحساب والجزاء واليوم الآخر والملائكة . . . وغير ذلك من أركان العقائد الإسلامية الأصولية . . . قلوب ونفوس تستعذب الموت في سبيل الشهادة والفوز بنعيم الجنة .

وصارت المناسبات التقليدية لتبادل الأخبار تشهد أحداثاً يومية من أتباع الدين الجديد وأخبار جديدة لا عهد لمجتمع الشرك بها :

يقول عفيف الكندي أخو الأشعث بن قيس الكندي لأمه :

«كان العباس بن عبد المطلب لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى : فأتاه رجل مجتمع فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلي فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلي . فقلت : ويحك يا عباس . . ما هذا؟ .

قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولاً . وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد قد تابعته على دينه . . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام في قلبه :
يا ليتني كنت رابعاً^(١) .

ونتيجة لازدياد أذى مشركي قريش على المسلمين بعد وفاة أبي طالب وخديجة زوج الرسول ﷺ خرج إلى الطائف يعرض نفسه على سادتها لحمايته وقبل ما جاء به فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ورجع يائساً مما لاقى من بني ثقيف واثقاً في الله مؤقناً بنصره . . وسلك رسول الله ﷺ بعد هذه الواقعة أسلوب عرض نفسه ودعوته على القبائل في موسم الحج فكانت لقاءاته بهم أسلوباً جديداً في حمل دعوة الإسلام إلى قبائل العرب فمنهم من أعرض ومنهم من لان . واختلفت استجاباتهم تجاه ما كان يدعوهم إليه . .

غير أن هذه المواسم وهذه العملية كانت وسيلة لنشر أخبار الدعوة إلى جميع أرجاء الجزيرة العربية :

«أتى رسول الله ﷺ بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزّ وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له (بيحرة بن فراس) : والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب .

ثم قال : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

خالفك ، أ يكون لنا الأمر من بَعْدِكَ؟.

قال : (الأمر إلى الله يضعه حيث شاء).

قال : فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم .

فقالوا: جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب ، يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ، ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا .

قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف؟ هل لذئابها من مطلب؟.

والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم؟»^(١).

وقد اخترت هذه الواقعة من أحداث السيرة في مكة المكرمة لأن فيها شاهداً قوياً على أن أخبار البعثة فرضت نفسها فرضاً على قلوب ونفوس العرب وأصبح لاجتماعات العرب ولقاءاتهم وتجمعاتهم وأساليب نقل الأخبار عندهم وظيفة جديدة تتناسب مع الحدث العظيم الذي واكب ظهور خاتم الأنبياء .

ثم كانت لقاءات الرسول ﷺ مع أهل المدينة في مناسبات عدة حتى شرح الله قلوب بعض من لاقاهم من الأوس والخزرج للإسلام فحملوا معهم أخبار الدين الجديد إلى قومهم وما حان وقت الهجرة حسب المشيئة العليا حتى شاع الإسلام في المدينة وفشا بين أهلها وسبقت أخبار الرسالة قدوم نبي الرسالة إلى المدينة وتبدأ هنا مرحلة جديدة من مراحل تطور مصادر الأخبار في

(١) ابن هشام ، سيرة النبي ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

تاريخ الإسلام . والمتتبع لسير الدعوة قبيل الهجرة النبوية وأثناء رحلة الهجرة الشريفة من مكة إلى المدينة يدرك كم كان رسول الله ﷺ يعتمد على مصادر الأخبار في قيادته لجماعة الإيمان وكيف كان يحرص على حرمان المصادر المعادية من الحصول على أخبار المسلمين في المقابل ليحرمها من فرصة زيادة التنكيل والتعذيب . . وقد كان خبر الوحي في هذه الفترة كما كان وكما سيظل حارساً للدعوة وموجهاً لها حتى ينفذ أمر الله تعالى ويظهر دينه على الدين كله .

يقول كعب بن مالك في حديثه عن بيعة العقبة الكبرى وهي البيعة الثانية «حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا»^(١) .

وبعد أن تمت البيعة لرسول الله ﷺ هتف شيطان في قريش ينادي : «يا أهل الجبابب (أي المنازل) هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم» .

فقال رسول الله ﷺ :

«هذا أذب العقبة . هذا ابن أزيب» .

«استمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك»^(٢) .

ثم قال : «ارفضوا إلى رحالكم» فقال له العباس بن عباد بن نضلة والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فنا» .

فقال رسول الله ﷺ : «لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم» فرجعنا^(٣) .

(١) ابن هشام ، سيرة النبي ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٧ .

ولا يمكننا أن نمر بالهجرة النبوية دون الإشارة إلى أول صحابي شاب كان رجل أخبار عظيماً سجل له تاريخ الهجرة دوراً كبيراً في الليالي الثلاث التي مكثها رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر في غار ثور ففي حديث الهجرة عن عائشة رضي الله عنها:

«ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام»^(١).

قال في الفتح: ثقف: الحاذق. تقول ثقفت إذ أقمت عوجه.

«واللقن: السريع الفهم»^(٢).

فإلى جانب هذه المهمة الأخبارية لعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يهمننا الإشارة إليه بأنه «شاب ثقف لقن» وهذه من الصفات المطلوبة في رجل الإعلام وفي من يتعامل بصناعة الخبر على وجه الخصوص وسوف نعرض لها عند التحدث عن ملامح رجل الأخبار في الإسلام في موضع آخر من هذا الباب.

فمن توفيق الله تعالى ورعايته لرسوله ودينه أن سخر عبد الله بن أبي بكر وسيلة بشرية لالتقاط الأخبار ونقلها بأمانة إلى رسول الله وصاحبه في الغار ليظلا على صلة وثيقة بما يدبره المشركون من مكائد بعد فشل مؤامرتهم في التخلص من النبي ليلة الهجرة وبعد أن كشف جبريل عليه السلام أمر ما عزموا عليه فيعد رسول الله ﷺ للأمر عدته ويتخذ من الاحتياطات ما يضمن بها بعون الله من إتمام رحلة الهجرة الشريفة التي كانت أعظم حدث هز المنطقة في ذلك الزمان وكان لها من المدلولات الإعلامية ما يقصر المجال عن التحدث

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٣٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٧.

عنه هنا . . ويهمننا في هذا الأمر دور الخبر في الهجرة النبوية الشريفة ودور مصادر الخبر على مختلف أنواعها في هذا الحدث العظيم . .

ولنا أن نتصور الحالة في مكة وقد ارتج على المشركين بعدما أسقط في أيديهم ونجا رسول الله من مؤامرتهم والدور في طريق الهجرة كان للصحابي سراقه بن مالك (رضي الله عنه) قبل أن يسلم فقد شاءت الأقدار أن يكون له دور بارز في قصة الهجرة :

قال سراقه في حديث ابن شهاب الزهري :

«جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقه ، إنني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه .

قال سراقه : فعرفت أنهم هم . فقلت له : أنهم ليسوا بهم . ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا . ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت . . الحديث»^(١) .

ويروي سراقه بعد ذلك قصته المعروفة وقصة فرسه عندما اقترب عليه من رسول الله وصاحبه وحدث لهما ما حدث . . يقول :

«فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم . ووقع حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية .

وأخبرتتهما أخبار ما يريد الناس بهما ، وعرضت عليهما الزاد والمتاع ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا»^(٢) .

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٣٩ .

(بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة) .

كان سراقه ينزل (قديداً) (ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٤٠) .

وفي هذا السياق دلالات قوية لما نتعرض له بالدراسة وهو تطور مصادر الأخبار قبيل الهجرة وفي دولة الإسلام في المدينة بعدها ومن ذلك ما يأتي :

١ - السرعة النسبية في انتشار الأخبار مع بطء وسائل الاتصال البشري في ذلك الزمان . وما ذلك إلا لعظم الأحداث وتعلق قلوب الناس بما كان يدور في مكة من صراع بين جماعة الإيمان وجماعات الشرك .

٢ - توفيق الله سبحانه في تسخير مصادر أعدائه في الحصول على الأخبار له فقد انقلب سراقه بن مالك «وقد كان مشركاً» ساعة الهجرة من ساع إلى الجائزة ومجند عند قريش لمعرفة خبر النبي وصاحبه إلى مجند لإخفاء أمرهما والتستر عليهما .

٣ - والقيمة الكبرى لمعرفة الأخبار حتى عند المشركين فقد جعلوا الجائزة «دية كل من الرسول وصاحبه» لمن يرده إليهم أو يأتي بخبره . . وكذلك فإنه كان في إمكان رسول الله ﷺ أن يتخلص من سراقه بن مالك المدلجي في هذه الواقعة ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون لسراقه هذا رضي الله عنه فيما بعد موقف مشهود في فتوح فارس وهو أمر اقترن باسمه . وأثر ﷺ زيادة في التعمية على المشركين أن يجند سراقه في تضليل القوم بالأخبار .

ففي حديث بن عباس : «وعاهدكم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وأن يكتم عنهم ثلاث ليالٍ»^(١) .

وأورد ابن حجر في شرحه لحديث سراقه رواية لموسى بن عقبة وفيها على لسان سراقه :

«فرجعت فسئلت فلم أذكر شيئاً مما كان»^(٢) .

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه عندما دعا رسول الله ﷺ على سراقه

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٤٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٢ .

بقوله: «اللهم أصرعه، فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال يا نبي الله مرني بما شئت.

قال: فقف مكانك لا تترك أحد يلحق بنا.

قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له^(١).

ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقاً لأمه في تركهم فأنشده سراقاً:

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً لأمر جوادي إذ تسيح قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً نبي وبرهان فمن ذا يكاتمته

وهكذا حفظ الله سبحانه وتعالى نبيه ودينه وعصمه من عصابة الكفر ومكائدها ووصل رسول الله ﷺ وصاحبه المدينة المنورة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول بعد اثني عشر يوماً من مخرجه من الغار أي إن طريق الهجرة استغرقت اثني عشر يوماً.

وبعد وصوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة دخلت مصادر الأخبار الإسلامية في دور جديد: دور حافظ على أصالته في الاتصال بخبر السماء واستخدم جميع الأسباب العملية في ملاحقة الأحداث والحصول على الأخبار بهدف أخذ زمام المبادرة في هدم الكفر والتصدي للشرك بجميع أشكاله ونشر الدعوة في جميع أرجاء الأرض.

وقد عملت على دخول مصادر الأخبار في هذا الدور عوامل كثيرة حتى اتخذت شكلها الجديد.

ونناقش الآن العوامل التي عملت على تطور أساليب الحصول على الأخبار في العهد المدني.

وقبل عرض هذه العوامل لا بد من الإشارة إلى أن المقصود من عبارة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

(تطور مصادر الأخبار في العهد المدني) لا ينطبق على (الوحي) قاعدة الخبر في الإسلام وإنما يشمل الوسائل التي ظهرت الحاجة إليها كوسائل لاستكمال سيادة الدولة وحماية الجماعة الإسلامية ونشر دين الله وتبليغ الرسالة إلى عموم الخلق ولم تظهر الحاجة إليها في الدور المكي عندما كان المسلمون جماعات مستضعفة في مواجهة جبروت الشرك وتسلطه .

؟ - العوامل التي ساعدت على تطور مصادر الأخبار في العهد المدني

أولاً: تأسيس الدولة الإسلامية واستكمال بنائها: وقيام الدولة يتطلب نظام اتصالات لمعرفة ما يجري في دائرة سيادتها وخارج حدودها. . . وقد باشر رسول الله ﷺ أولاً في اتخاذ الإجراءات الدستورية لنشأة الدولة وإعلان قيامها وتمثل ذلك في :

- ١ - بناء المسجد : مركز (قيادة هذه الدولة ومكان العبادة فيها) .
 - ٢ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتحقيق التجانس البشري للدولة وصهر الجميع في بوتقة الإسلام .
 - ٣ - عقد إتفاقية بين قيادة هذه الدولة الجديد وشعبها وبين جماعات اليهود لضبط علاقاتهم بالدولة الجديدة وتحقيق الاعتراف الأول بهذا الكيان الجديد رغم أن التاريخ يسجل أن اليهود كانت لهم السلطة الفعلية في مجتمع المدينة قبل الهجرة بما كان لديهم من بقايا علم أهل الكتاب وأخبار الأنبياء وبما كانوا يتحكمون فيه من مصادر الثروة الاقتصادية : كصناعة وتجارة السلاح مما تؤكد كتب التاريخ التي أرخت لهذه الفترة .
- ثانياً: الإذن للمسلمين بقتال أعدائهم الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم .

جاء الإذن بالقتال في وقت مبكر قبل الهجرة في سورة الشورى عند بيان الله تعالى لصفات المؤمنين وسورة الشورى من القرآن المكي ولكن الإذن لم يكن صريحاً وإنما جاء بصورة تقرير لصفة أساسية في الجماعة المسلمة :

صفة الانتصار من البغي وعدم الخضوع للظلم وهذا طبيعي بالنسبة لجماعة أخرجت للناس لتكون خير أمة، لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهيمن على حياة البشر بالحق والعدل، وهي عزيزة بالله^(١).

وقد ورد ذلك في قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى : ٣٩).

أما الإذن الصريح بقتال الكفار فقد جاء بعد الهجرة في سورة الحج في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ (سورة الحج : ٣٨ ، ٣٩).

والقتال يهدف من الطرفين إلى النصر : أما المسلمون فكانوا يهدفون من وراء النصر إلى نشر دين الله وظهوره وطلب الجنة والشهادة وأما الكفار فكان هدفهم إسكات صوت الحق والقضاء على أهله .

والسعي للنصر يحتاج إلى معلومات وافرة عن العدو : عدده وعدته وتحركاته وطرق هذه التحركات وأماكن تجمعه وتحالفاته ومدى خطورتها ويتطلب أيضاً المعرفة الدائمة واليقظة للأعداء في الداخل كاليهود والمنافقين والمرجفين . . . ورصد حركات المتربصين بدولة الإسلام من الإعراب والطامعين فيها .

ونشأ عن كل ذلك ظهور مصادر جديدة للخبر والتكليف بمهام محددة ضمن حركة استعداد المسلمين للصدام مع الأعداء للدفاع عن أنفسهم ودفع الضرر عن الدعاة والتخلص ممن يقفون في وجه الدعوة أو يرتد عنها بعد أن أعلن التزامه بها .

وفي أثناء الانتقال لملاقاة الكفار وجهاً لوجه كان الأمر يتطلب معرفة

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، المجلد الخامس، ص ٣١٦٦.

المسالك والطرق ورصد الظواهر والعناصر التي يمر بها جيش الإسلام . .
ومعرفة موارد المياه ومراكز التموين والإمداد . .

وكانت مصادر أخبار المسلمين في هذه المرحلة من عوامل النصر بتوفيق
من الله تعالى .

ثالثاً: عالمية الدعوة الإسلامية اقتضت القيام بواجب التبليغ والإعلام
بعقائد الدين الجديد والخروج بها خارج حدود الدولة الإسلامية إلى سائر بقاع
الأرض المعروفة في ذلك الزمان .

وتطلب أيضاً بث الدعوة والبعوث وقد وقعت أحداث عظيمة أثناء القيام
بهذا الواجب العظيم كان من الضروري وصول أخبارها إلى قائد الدولة
وزعيمها لاتخاذ ما ضمن سلامة الدعوة وعندما كان يتطلب الأمر إبلاغاً سريعاً
للنبا كان الوحي (بقوة الله وحوله) يتولى أمر تبليغ الأخبار ففي الصحيح عن
خبر أصحاب بئر معونة وغدر رعل وذكوان بهم من حديث عائشة رضي الله
عنها :

«فأتى النبي خبرهم . فنعاهم فقال : «إن أصحابكم قد أصيبوا» .

«وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضيينا عنك
ورضيت ، عنا ، فأخبرهم عنهم»^(١) .

وهذا مثل من أمثلة كثيرة توضح كيف كانت حركة الدعوة والتبليغ تواجه
وتصنع أحداثاً وأنها كانت من عامل تطوير وسائل نقل الأخبار وإثراء مصادره .

رابعاً: انتشار الإسلام خارج المدينة المنورة ومكة المكرمة في وقت
مبكر فلما كان الإسلام عقيدة واضحة تعتمد على أفكار بديهة تتفق مع قوانين
العقل والمنطق ولا تتناقض مع الفطرة البريئة فإن كثيراً من العرب دخلوا في
الدين الجديد عن اقتناع بالرغم من معارضة مشركي مكة رغم الجهود المضنية

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، جـ ٧، ص ٣٨٩ .

لمشركي قريش لحجبه عن الناس ليس فقط عن أولادهم ونسائهم كما جاء في قصة خروج أبي بكر رضي الله عنه عندما ضاق ذرعاً بتعذيب قريش وأجاره ابن الدغنة فأقام في منزله مسجداً وجعل النساء والصبيان يستمعون إليه فسعت قريش عند ابن الدغنة إلى أن رد أبو بكر له جواره لأنه خالف شرطهم الذي اشترطوه عليه بأن يعبد ربه ويقرأ كتابه في منزله.

فكان من الطبيعي أن تؤمن هذه الجماعات والأفراد خطوط اتصال بينها وبين قيادة الدولة بعدما علموا بهجرة الرسول ﷺ إلى مكان مأمون لمباشرة مرحلة جديدة من مراحل التبليغ.

ولذلك قال وفد عبد القيس عندما قدموا إلى المدينة في عام الوفود في وفادتهم الثانية.

«يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر»^(١).

وعبد القيس هؤلاء هم أهل (جواثي) حيث يوجد مسجد أقيمت فيه أول جمعة بعد الصلاة في مسجد المدينة في الإسلام. وهي منطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية حالياً قرب الهفوف ومسجدها باقٍ ومعروف.

والشاهد هنا أن روابط الإسلام والرغبة في تعلم الدين الجديد كانت تدفع من دخل في الإسلام من سكان الجزيرة خارج المدينة إلى تأمين وسيلة للاتصال بالرسول ﷺ وحرص الرسول ﷺ الدائم لتأكيد رابطة الإخوة في الله بين الصحابة وبينهم وبين إخوانهم خارج المدينة المنورة.

خامساً: ترتب على قيام دولة إسلامية ذات سيادة والإذن من الله تعالى للمؤمنين بالقتال شن حرب لا هوادة فيها ضد المشركين وكانت أول مظاهر هذه الحرب: الحرب الاقتصادية واستدعى هذا الشكل من الأعمال الانتقامية فرض حصار على قريش وقطع طرق تجارتها وإمداداتها ورصد تحركات قوافلها منذ خروجها من مكة أو منذ عودتها من بلاد الشام وقد حدث في أكثر من واقعة

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٨٥.

من وقائع السيرة ورود أخبار هذه القوافل وكان أوضح مثل لذلك عندما غير أبو سفيان خط القوافل وحوله من طريق المدينة إلى طريق عبر نجد فوصل الخبر لرسول الله فأرسل سرية في أثرهم .

وبجانب الحرب الاقتصادية فقد كانت الحرب أيضاً تتطلب عقد تحالفات وإبرام معاهدات مع القبائل المجاورة وموادعتها إما صلحاً أو قتالاً وشن حرب إعلامية ودعائية واسعة تعتمد على الحركة الدائمة والسريعة، ذات الإيقاع الثابت الذي يعتمد على السرايا والغزوات المتتالية مما يزيد من مهابة الدولة الإسلامية وقوتها في نفوس جيرانها .

وكانت الاتفاقات والمعاهدات تحتاج لحفظها واتخاذ اللازم تجاهها ومراعاتها إلى ورود أخبار دائمة عن الطرف الآخر خشية الغدر والخديعة، وهذا تطلب من قيادة الدولة تطوير وتجنيد الكثير من أساليب الاتصال والحصول على الأخبار عن الطرف الآخر . وأوضح مثل على ذلك علاقات الدولة الجديدة باليهود حول المدينة الذين لم يراعوا اتفاقاً، ولم يحفظوا عهداً، فكانت مراقبة تحركاتهم والحصول على أخبارهم من الأهمية بمكان لتأمين الدولة وضرب أعدائها قبل النيل منها . . وكان رصد حركات المنافقين كذلك من الأمور الهامة حيث كانوا يشنون حرباً إعلامية قاسية ولم يسلم منها حتى بيت النبوة الطاهر ولا عرض الصحابة، مستترين بستار الإسلام الظاهر .

سادساً: شراسة المشركين وطمعهم قبل غزوة الخندق في القضاء على الإسلام إما متحالفين مع اليهود أو مشركي العرب حول المدينة، أو بمفردهم، والقرآن الكريم، ووقائع السيرة، وأحداث التاريخ، تشهد بعنف عداة المشركين وجمودهم وفي المقابل تشهد بصمود المسلمين وثباتهم حتى أعز الله دينه ونصر رسوله وظهر دينه على الدين كله . . والمتتبع لأحداث السيرة يرى بوضوح كيف كانت مصادر الأخبار في السلم والحرب تلعب دورها في تحقيق الانتصارات العظيمة في السرايا والغزوات والبعوث إما بالمبادرة للحصول على أكبر قدر من المعلومات عن الأعداء وتحركاتهم ومباغتتهم أو

بالتعمية على الكفار وحرمانهم من الحصول على أخبار تحركات الجيش الإسلامي لمباغتتهم والقضاء عليهم قبل اتخاذ أي إجراء .

ولقد استدعى أمر كشف خطاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش عندما قرر الرسول ﷺ الزحف إليهم ومهاجمة مكة قبيل غزوة الفتح - استدعى كشف هذا الخطاب وصول خبره إلى الرسول عن طريق جبريل عليه السلام بعد أن سارت المرأة التي أخفته مسافة طويلة في الطريق إلى مكة . . وهذا يوضح قيمة التعمية على الأعداء في مصادر أخبارهم وتضليلهم لحرمانهم من الحصول على المعلومات التي قد تضر بالمسلمين .

أطلنا في مناقشة العوامل المختلفة التي ساعدت على تطوير مصادر الأخبار في العهد المدني لأن عرض هذه المصادر بالتفصيل تم في الباب الثاني ونعود الآن لنجمل ما فصلناه فنقول أنه استجد على الدولة الإسلامية في عهدها المدني مصادر ما كانت لها في عهدها المكي ومن هذه المصادر :

إلى جانب الوحي قاعدة الخبر وأصل العقيدة كان :

١ - الوفود .

٢ - الأسرى .

٣ - البعث .

٤ - الرسائل .

٥ - الرعاة .

٦ - التجار .

٧ - الأفراد .

٨ - أساليب كان يتبعها رسول الله ﷺ وأوضحها حرصه الشخصي على متابعة أخبار المسلمين والتعرف عليها .

ولا نجد ضرورة في إعادة عرض هذه المصادر فما تم من ذلك كافٍ في الباب الثاني غير أن تطور مصادر الأخبار في العهد المدني استتبعه تنوع هائل في الأخبار كما ونوعاً ولذلك يجدر بنا أن نناقش أنواع الأخبار .

الفصل الثاني

أنواع الأخبار وحاملوها في العهد المدني

- تصنيف الأخبار .
- أنواع الأخبار في العهد المدني .
- حاملو الأخبار في العهد المدني .
- مميزات الأخبار في العهد المدني .

تمهيد

تصنيف الأخبار

يصنف المختصون بدراسة وتحليل الأخبار أنواع الأخبار إلى ما يأتي :

- أولاً : داخلية وخارجية .
- ثانياً : متوقعة وغير متوقعة .
- ثالثاً : حسب نوع الخبر أو المصدر الذي يصدر عنه أو الواقعة التي يتم نقل خبرها .

- ١ - أخبار سياسية .
- ٢ - أخبار دينية .
- ٣ - أخبار الحوادث .
- ٤ - أخبار الرياضة .
- ٥ - أخبار شخصية .
- ٦ - أخبار المصالح والمحاکم .
- ٧ - أخبار المؤسسات والهيئات .
- ٨ - أخبار الجرائم .
- ٩ - أخبار المرأة والعلوم والجامعات والعمال والفنون وغيرهم^(١) .

(١) دكتور: وليم الميري، الأخبار: مصادرها وأثرها، ط. ١، القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية، ١٩٦٨ م، ص ١٩ - ٢٣ .

ورغم ما يدعيه علماء الدراسات الإعلامية من تقدم في هذه الدراسات فإن هذا التصنيف انعكاس للتيار العلماني اللاديني الذي انجرفت إليه معظم الأنظمة التي بعدت عن خبر السماء، وجعلت الأخبار السياسية منفصلة عن الأخبار الدينية وصار الدين عندهم مجرد طقوس واجتماعات ومناسبات بدل أن كان دعوة إلى الله ونظام حياة وأصبحوا يصنفون في الأخبار الدينية: طقوس الوثنيين وما بقي من طقوس النصارى واليهود ومناسباتهم وكذلك الحال في كثير من بلاد الإسلام أصبحت أخبار الدين عندهم مناسبات وإجراءات يقصد بها الدعاية وحب الظهور وشكليات ما جاء الدين إلا لهدمها وتنقية الحياة والعقيدة منها. ويستثنى من ذلك الجماعات الدينية التي بدأت تعود بالدين الحنيف إلى نقاؤه وأصوله كما فهمها وطبقها السلف الصالح. ونربأ بأنفسنا أن نناقش أنواع الأخبار التي تتسقط أعراض الناس وتتخذ منها مادة للإثارة مخالفة في ذلك أبسط حقائق الدين.

والذي يتأمل في كتابات من يدرسون الأخبار ويدرسونها لا يعوزه جهد كبير ليكتشف أن الدراسات الإعلامية في بلاد المسلمين حذت حذواً متطابقاً تماماً لمنهج الدراسات الغربية وخاصة (الأمريكية) منها في دراسة الأخبار وتصنيفها وتقييمها ونقدها والتمثيل لها وتحليلها وضرب أمثلة لتفسير الأخبار وكان في ذلك خلط غريب معظمه مناقض لنظرة الإسلام إلى طبيعة الخبر وقيمه ووظيفته.

ولكن لا بأس في المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر إذا رجعت إلى الله، وجعلت الأولوية لأخبار العقيدة والدعوة والبلاغ المبين، ومحاربة البدع والمفاسد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تهتم بالنواحي الأخرى التي لا مخالفة فيها للشرع من كتاب أو سنة أو إجماع كأخبار الرياضة النافعة والعلوم والجامعات والفلاحة والصناعة والحوادث والجرائم للعبرة والارتداع، لأن ذلك كان مما تأصل في دولة الإسلام في عهدها الأول وهي حينئذ دولة ناشئة فتية لم تصل إلى ما وصلت إليها المجتمعات البشرية الحالية من التعقيد وأساليب التنظيم ولم يتيسر لها الأجهزة والآلات والأدوات والفنون

الحديث في التعامل مع الخبر.

والواقع أن الجماعة الإسلامية في عهدنا المكي كانت لها أخبارها المتنوعة كأي جماعة ذات عقيدة تجمعها عوامل تعمل على تجانسها وتربطها، ولكن محور هذه الأخبار كان العقيدة التي ميزت المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله وبدينه الجديد عن جماعة الكفر والطغيان، وكانت أخبار ما يحدث في مكة في بداية البعثة وانتشار الإسلام يسير مع الركبان إلى كل مكان تصل إليه القوافل والإخباريون والرواة ومن له علاقة أو مصلحة بقریش أو بطرف من المسلمين ولم تكن قریش مجرد قبيلة من قبائل العرب ولكنها كانت أشرف القبائل وأعزها وأكرمها فكان لما حدث فيها من آثار الدين الجديد صدى كبير وصل حتى إلى خارج حدود الجزيرة إلى الحبشة وبلاد الشام والحيرة وفارس.

ودليل على ذلك حديث عمرو بن مسلمة الذي سبق إيراده في موضوع الوفود «وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه. فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال: جئكم والله من عند النبي ﷺ حقاً^(١) فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلوا صلاة كذا في حين كذا».

فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني، لِمَا كنت أتلقي من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين.

وليس أقوى من دلالة هذا القول الأخير على صدق ما ذهبنا إليه فحتى الصبيان يعون القرآن ويتعلمونه من الركبان بعد أن فشا الإسلام في مكة رغم العناد والاضطهاد.

غير أن اهتمامات المسلمين في مكة كانت معظمها خاصة بالدعوة وتعلم القرآن والفرائض والتمكن من العقائد التي بشر بها الرسول ﷺ وحيًا من عند

(١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٢.

ربه، ولما اشتد أذى قريش على المسلمين تطلّعوا إلى الهجرة وأمرهم رسول الله ﷺ بالتوجه إلى الحبشة، وكانت أخبارها مألوفة لدى العرب إما للجوار أو لغرض التجارة، أما بالنسبة للمسلمين فإن أخبارها أصبحت مألوفة لهم لعلاقتها الشديدة بالدعوة وللنجاة بالدين والنفس والعقيدة من اضطهاد طغاة المشركين، ونحن نلاحظ في مكة نقلة كبيرة في مجال تنوع الخبر فقد حلت أخبار الدين الجديد عند المسلمين وما يتعلق به من أحداث يومية محل أخبار الشعراء والقصاص والتجارة واللهو والمواسم والأعياد والقراية والحروب والمباريات والملوك والفرسان وغير ذلك من اهتمامات عصر الجاهلية وصار لها في نظرهم معان خاصة ومدلولات جديدة.

غير أن انشغال المسلمين بأخبار الدين الجديد في الداخل لم يشغلهم عن متابعة أخبار العالم الخارجي بنفس المقياس ومدفوعين بنفس الدافع وهو دافع العقيدة التي توحدتهم وتصنفهم جماعة متميزة.

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره للآيات الأولى من سورة الروم أنها تؤكد «الترايط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط، كما هو الشأن في عصرنا الحاضر مع هذا فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم.

وكان المسلمون كذلك يحسون أن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب وكما يسوءهم أن ينتصر المشركون في أي مكان وكانوا يدركون أن: دعوتهم وأن قضيتهم ليست في عزلة عما يجري في أنحاء العالم من حولهم ويؤثر في قضية الكفر والإيمان»^(١).

وهذا يبين نوع الأخبار التي كانت تجذب اهتمام الجماعة الإسلامية في الدور المكي.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٥٧.

فقد كان انتصار الفرس على الروم في ٦١٠ م قبل بدء الوحي بسنة . وقد كانت دولة الروم مختلة معتلة بحيث لم يكن في الإمكان تصور قيامها من كبوتها لتنقض على المجوس الوثنيين فلما نزلت البشارة في صدر سورة الروم هزىء أهل مكة بالخبر . وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك وأجازه النبي ﷺ فربح الرهان وقد صح انتصار الروم على الفرس سنة ٦٢٢ م وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤ م فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين وهو المعتمد في التفسير^(١) .

والشاهد هنا أن الإسلام فرض على المسلمين اهتمامات وهموماً وقضايا جديدة داخلية وخارجية جعلتهم يتابعون فيما يتابعون من أخبار تلك الأخبار التي تتعلق بقضية الكفر والإيمان في كل مكان . وأقرب الناس إليهم في ذلك الزمان هم أهل الكتاب في الشام والحبشة .

وما يمكن أن يقال في هذا المجال هو أن الأخبار تنوعت في العهد المكي بحيث وجدنا ما يمكن أن يطلق عليه الأخبار الداخلية والخارجية للجماعة المسلمة ولكن في العهد المدني توسعت مصادر الأخبار وتنوعت الأخبار تنوعاً هائلاً نتيجة للكثرة الكثيرة من الأحداث العظمى شبه اليومية تقريباً وجميع المناسبات والأحداث التي حسمها الوحي أو نزل فيها تشريع ما .

وجميع مباحث علم أسباب النزول وما ورد في كتب الصحاح والسنن والسير من أحداث وأخبار عن هذه الأحداث هو مما يحدد أنواع الأخبار في مجالات الحياة المختلفة في الدور المدني كالدعوة والجهاد والعلاقات الاجتماعية والعلاقات الدولية .

(١) |محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مرجع سابق، ص ١٢٠ و ١٢١ .

أنواع الأخبار في العهد المدني

في ضوء دراستنا لمصادر الأخبار في الباب الأول والثاني ، ومن خلال الوقائع والأحداث التي استعرضناها، يمكننا في هذه المرحلة من البحث تصنيف أخبار العصر النبوي في المدينة المنورة إلى أنواع متميزة حسب مقاييس معينة، كما يلي :

أ - حسب الموضوع : نجد الأنواع الآتية من الأخبار حسب هذا المقياس :

أولاً - أخبار الدعوة والعقيدة، ومنها :

١ - ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أخبار حسمت حوادث ومواقف معينة .

٢ - أخبار العبادات وأحكامها وتطبيقها .

٣ - أخبار خاصة بتطبيق الأحكام الشرعية في الحياة الفردية والاجتماعية .

٤ - أخبار الدعوة والدعاة وما كانوا يحدثونه في داخل الحياة الإسلامية .

ثانياً - أخبار سياسية، ومن هذا النوع :

١ - أخبار عن الجماعات التي تربطها بدولة الإسلام عهود ومواثيق .

٢ - أخبار جماعات يهود في المدينة وما حولها .

٣ - أخبار عن العلاقات الدولية بين دولة الإسلام والدول المجاورة في الجزيرة العربية وخارجها .

٤ - أخبار قريش .

٥ - أخبار البعوث والسفارات والوفود .

ثالثاً - أخبار اقتصادية :

١ - أخبار عن النشاط الاقتصادي للمجتمع الإسلامي في المدينة .

٢ - أخبار عن تحركات قريش وأنشطتها الاقتصادية وطرق قوافلها .

٣ - أخبار التشريعات الاقتصادية الإسلامية كالزكاة والفيء والغنائم وغير

ذلك .

رابعاً - أخبار عسكرية وأمنية :

١ - أخبار عن استعدادات المسلمين وتطبيقهم للأوامر النبوية .

٢ - الأخبار العسكرية قبل وأثناء وبعد المعارك .

٣ - أخبار عن تحركات الأعداء من حيث العدد والعدة ونتائج

اعتداءاتهم .

٤ - أخبار تتعلق بالأمن الداخلي .

ب - حسب مكان المصدر: وحسب هذا المقياس يمكن تصنيف الأخبار

إلى :

١ - الأخبار الخارجية: وهي الأخبار التي كانت ترد إلى المدينة من

البلاد المجاورة .

٢ - الأخبار الداخلية: التي كانت تأتي من مصادرها في نطاق الجماعة

الإسلامية في المدينة وما حولها .

ج - حسب نوع المصدر:

١ - الأخبار الرسمية: أي التي يأتي بها شخص أو أشخاص كلفوا

بمهام محددة في السلم والحرب .

٢ - الأخبار التطوعية: وهي ما كان يتطوع بنقلها إلى النبي أفراد من

نلقاء أنفسهم .

د - حسب تأثيرها النفسي :

١ - أخبار مؤلمة .

٢ - أخبار سارة .

ومن الأخبار المؤلمة : أخبار غدر المشركين بالدعاة الذين كان يوجههم رسول الله ﷺ مثل أخبار أصحاب بئر معونة وأخبار أصحاب الرجيع . وأخبار مقتل حمزة وخبر مقتل سعد بن الربيع يوم أحد وأخبار غدر اليهود ونقضهم العهد يوم الخندق والأخبار والإشاعات التي كان يتناقلها المنافقون في حديث الإفك .

أما الأخبار السارة فقد كانت كثيرة لا تقع تحت حصر ومن أمثلتها أخبار قتل أبي جهل يوم بدر وأخبار البعوث التي كان يوجهها للدعوة فتعود إليه بأخبار إسلام من وجهوا إليهم وأخبار التخلص من أعداء الله في السرايا كمقتل كعب بن الأشرف وأبي عفك وغيرهما .

وعند دراستنا للمصادر النبوية للأخبار تعرضنا لجميع هذه التقسيمات للأخبار في العهد المدني وخشية التكرار نورد بعض الأمثلة مما لم نتعرض له في الأجزاء السابقة من هذا البحث ونشير في موضعه إلى نوع الخبر حسب المقاييس التي حددناها لتقسيم الأخبار في العهد المدني .

ولكن قبل عرض نماذج لهذه الأنواع السابقة يجدر بنا أن ننوه إلى أن هذا التقسيم مجرد تصنيف فني دراسي وليس معناه أن في الإسلام أخبار خاصة بالعقيدة منعزلة عن جوانب الحياة الأخرى أو أن الأخبار العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية لا علاقة لها بالعقيدة وأصولها . ولكن واقع الأمر في دولة الإسلام الأولى أن جميع جوانب الحياة كانت موجهة نحو تحقيق مضمون (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكل ما تفرع عن الدعوة إلى التوحيد الخالص وما تم من مظاهر الحركة والإبداع في حياة الأفراد والجماعات كان يتم في إطار عام . هو إطار العقيدة الإسلامية التي بدأت بالتوحيد وسارت في طريق تحقيقه في ذاتها والدعوة إليه في غيرها من الجماعات البشرية داخل

وخارج الجزيرة العربية.

ونقدم الآن نماذج من أنواع الأخبار في العهد المدني :

أولاً : كان فيما استعرضناه من أحداث في دراستنا للمصادر في الباب الثاني وما نقل من أخبارها إلى رسول الله ﷺ سواء ما تم منها في الغزوات والسرايا أو ما تم في البعوث والوفود أو بواسطة الرسائل الواردة إلى مدينة الرسول .

كان في ذلك نماذج كثيرة تعطي مدلولاً قوياً عن جميع أنواع الأخبار التي توصلنا إلى تصنيفها في هذا الفصل من الباب الثالث .

ثانياً : وما نقدمه في هذا الفصل من النماذج الإخبارية سنرده إلى القسم الذي ينتمي إليه من أنواع الأخبار حسب المقاييس الثلاثة التي تم تصنيف الأخبار في ضوءها .

أ - ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى لأُمَّته في حرصه على متابعة الأخبار التي تهم العقيدة وتهم الجماعة الإسلامية لكونه القائد المسؤول مباشرة أمام الله عن تبليغ وتنفيذ عقائد الدين وإقامة الشرع وتأمين أمور الدولة حسب منهج الله تعالى . . . واختط ﷺ بنفسه لقادة أُمَّته من بعده منهجاً فريداً من نوعه ما اهتمت به بلاد المسلمين قادة ورعيه إلا وكان سبيلها إلى القوة والمنعة . . . وما ابتعدت عنه وزاغت إلا بدل الله عليها واختل توازن الحياة فيها .

ومن هذا المنهج وقوف الراعي بنفسه على شؤون رعيته ومعرفة أخبارها ولذلك لم يتوان ﷺ لحظة في معرفة أخبار الأعداء بنفسه في أشد الأوقات حرجاً وتأزماً .

ورد في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « كان النبي أحسن الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة . عرى ، وفي

عنقه السيف وهو يقول :

«لم تراعوا . لم تراعوا» .

ثم قال : «وجدناه بحراً . أو قال إنه لبحر»^(١) .

هذا النوع وأمثاله كثير من نوع أخبار الأمن الداخلي بمقياس هذه الأيام وبمقياس العهد المدني خبر عسكري محض لأن نظام الحياة كان محدوداً بحيث أن أي حركة خارج الجماعة كانت تعني حادثة خارجية .

ب - وفي غزوة بدر :

بعد أن نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر ركب هو وأبو بكر ليستطلعا خبر القوم فلحقا شيخاً من العرب فسأله الرسول عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم وهو لم يكشف عن حقيقته .

فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : «إذا أخبرتنا أخبرناك» ، قال : أو ذاك بذاك . قال : «نعم» .

قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا أو كذا . فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله .

وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا أو كذا للمكان الذي به قريش فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ثم انصرف عنه . قال : (أي راوي الحديث) : يقول الشيخ : ما من ماء؟ أمن ماء العراق^(٢)؟ .

في هذه الرواية الأخبار الآتية :

١ - تقرير إخباري عسكري كامل عن تحركات الطرفين .

(١) ابن حجر : فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٩٥ .

(٢) ابن هشام ، سيرة النبي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

٢ - أخبار لا شك أنها ذات قيمة كبرى لرسول الله ﷺ وخاصة أنها جاءت من أحد المقيمين الخبراء بالمنطقة .

٣ - في عدم ذكر الراوي لما تدل عليه عبارة (كذا، وكذا) مضامين إخبارية أخرى عن الأمكنة والطرق .

٤ - استطاع رسول الله ﷺ استخلاص أخبار قريش واستدراج «الشيخ» الخبير بالمنطقة دون أن يخل بوعده له في قوله «للشيخ» (إذا أخبرتنا أخبرناك) فقد أعطاه خبراً لا قيمة له من الناحية العسكرية ولكنه وفاء بالوعد وتصديق للقول . فكان (تقرير الشيخ الإخباري) عظيم القيمة وقول رسول الله ﷺ : «من ماء» وسيلة من وسائل التعمية الإخبارية والتضليل الإعلامي للعدو جعلت هذا الشيخ يبعد كثيراً في تحليل (من ماء) بقوله : (أمن ماء العراق)؟ .

جـ - من الأخبار العسكرية ضمن المهمات العسكرية الرسمية «أخبار الأسرى» وقد مر بنا في معالجتنا لموضوع الأسرى خبر (راوية) قريش عندما جاء بهما علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ونفر من الصحابة رضي الله عنهم فأتوا بها فجعلوا يسألونهم عن خبر قريش وهم يصدقونهم الخبر فيضربونهم ولما كذبوا عليهم تركوهم وهذا بتأكيد من رسول الله ﷺ في قوله : «إذا صدقاكم ضربتموها وإذا كذباكم تركتموهما» ، «صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش» .

ثم استجوبهما رسول الله ﷺ حتى حصل منهما على معلومات كافية عن قريش .

د - بعد وقعة بدر خافت قريش على تجارتها أن تسلك بها طريق المدينة إلى الشام فسلخوا طريق العراق عبر نجد وخرج أبو سفيان مع تجار منهم بغضة كثيرة ودليلهم فرات بن حبان يدلهم في الطريق الجديد وكان رئيس القافلة صفوان بن أمية فيما ذكره ابن كثير نقلاً عن الواقدي .

وكان الذي جاء بخبر القافلة «نعيم بن مسعود» قبل أن يسلم فقد «قدم المدينة ومعه خبر العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن الربيع بن أبي

الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم» فشرّبوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر، فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال فخرج سليط «من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال»^(١).

هذا الخبر بالمقياس الثاني: خبر خارجي وبالمقياس الأول. فإن هذا الخبر من الأخبار الاقتصادية العسكرية فيما يطلق عليه الخبراء الأخبار ذات القيمة (الاستراتيجية)، وقيّمته أنه يمتاز بخاصة الآنية أو الظرفية أو الحداثة فقد حمّله «سليط» «من ساعته» «فبعث الرسول ﷺ (من وقته) زيد بن حارثة». مما كان له نتائج باهرة في تحقيق أغراض السرية بالاستيلاء على الأموال لإضعاف قريش.

هـ - خبر دعوة وتبليغ. وخبر اجتماعي ذو مغزى سياسي عميق الأثر:

بعد انتصار بدر جمع الرسول ﷺ يهود بني قينقاع في سوقهم وكانوا يسكنون داخل المدينة وهم حلفاء لعبد الله بن أبي لهعة الله، ولعبادة بن الصامت رضي الله عنه وقال لهم: «يا معشر يهود: احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك؟ لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس^(١).

ثم حدث أن جاءت إلى سوق المدينة امرأة من العرب فباعته ما جاءت به وجلست إلى صائغ لعلها تشتري من عنده، فجعل اليهود يريدونها أن تكشف وجهها فرفضت فربط الصائغ اليهودي طرف ثوبها إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩.

الصائغ فقتله وكان يهودياً فشد اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع^(١) ثم كان من خبر بني قينقاع ما كان.

فهذا خبر مركب :

١ - خبر حادثة فيها مخالفة صريحة لتعاليم الدين في صيانة عفة المرأة (رغم أن السياق لم يذكر أكانت مسلمة أم لا) . . ولكن غضب المسلم الذي قتل الصائغ اليهودي ربما كان لأنها مسلمة أو أخذته الحمية لأنها عربية .

٢ - خبر تكاثر اليهود على المسلم وقتله رغم ما بينهم وبين المسلمين من سابق عشرة وجوار وحلف . . وفيها مخالفة لنصوص الوثيقة الأولى التي عقدوها مع النبي ﷺ مجرد وصوله من مكة .

٣ - فهذا خبر عن علاقة الدولة الإسلامية الجديدة والمجتمع الإسلامي الناشئ مع الجماعات الأخرى ضمن سيادة الدولة .

و - نموذج من أخبار الوحي التي كشفت مؤامرات اليهود على الدعوة والدولة :

بعد غدر بني عامر بأصحاب بئر معونة ونجاة عمرو بن أمية الضمري من بينهم، قتل في طريقه رجلين من بني عامر ولم يكن يعلم أن لديهما عهد من رسول الله ﷺ فلما عاد عمرو بن أمية بخبر أهل بئر معونة وخبر هذين الرجلين ذهب رسول الله ﷺ إلى بني النضير مطالباً إياهم بالمساعدة في دفع دية هذين الرجلين لما بينهم وبين المسلمين من العقد ولأنه كان بين بني النضير وبين بني عامر هؤلاء حلف وعقد . . قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أجبنا مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك،

(١) ابن هشام، سيرة النبي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢٧ .

فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال . ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، بما أراد القوم . فقام وخرج راجعاً إلى المدينة^(١) .

وهذا من أخبار الوحي المؤكدة لعصمة الرسول ﷺ وأنه بعيد عن أن تطوله أيدي الكفار واليهود .

فإذا نظرنا إليه من زاوية العقيدة فهو خبر عقيدة وكذلك فهو خبر سياسي لأنه يتعلق بالعهد والمواثيق التي بين المسلمين واليهود . . .

وقد أرسل المنذر بن ساوي العبدي عامل كسرى على البحرين أخباراً مكتوبة عن تأثير «مكتوب» رسول الله ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام .

«أما بعد يا رسول الله ، فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود . فأحدث في ذلك أمر»^(٢) .

فهذه أخبار خارجية بالمقياس الثاني وأخبار دعوة بالمقياس الأول .

فهذه جملة من أنواع الأخبار التي تتفق والتصنيف السابق لأخبار العهد المدني ويطول المقام لو تتبعنا جميع الأخبار بالأمثلة فالمعركة في حقيقتها في الدور المدني للدولة الإسلامية كانت معركة أخبار لعبت فيها المصادر دوراً كبيراً في الحرب والسلام .

أخبار للدولة قامت على دعوة الحق وبه تحكم وتساس وبقيمه تبشر ومن أجلها تدعو وتحارب وتسلم وبأخلاق الحق أخذت نفسها وغيرها .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٢) د . محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

وأخبار قوى ظالمة وكافرة متجبرة صدعت عن الحق فمنها من تاب مجرد تبليغه ومنها من طال به الزمان حتى عاد إلى صوابه واتبع النور الذي أنزله الله، ومنها من قضى على الكفر فكانت بئس العاقبة والمرجع والمصير. .

ومصادر أخبار ناصرت الحق وانحازت إليه وتحالفت معها تحالفاً نهائياً ومصادر سخرت لحربه ومجافاة دربه ومقاومة المتنكبين لهذا الدرب فكانت النتيجة المنطقية أن أظهر الله تعالى دينه ونصر رسوله وأظهر شرعه على ما عداه من شرائع الكفار وهدم عقائد الجاهليين وأقام صرح دولة كانت نواة لدولة عظمى حكمت معظم العالم المعروف كله في ذلك الزمان.

حاملو الأخبار في العهد المدني

تشمل طبقة حاملي الأخبار في العهد المدني تنوعاً كبيراً من حيث الكم والكيف وتراوحت بين الصحابي المقرب من رسول الله ﷺ إلى أفراد القبائل التي كانت لا تزال على الشرك ويمكن أن يقال أن جميع أفراد مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجندون أنفسهم كرجال أعلام يرصدون جميع الحوادث وما ينتج عنها من قول أو عمل أو تحركات في داخل المجتمع الإسلامي وخارجه . . . وكانوا لا تلفت أنظارهم صغيرة ولا كبيرة من مجريات الحياة العادية داخل المجتمع وخارجه أيضاً إلا ويأتون بخبرها إلى رسول الله ﷺ . . . وهذا أمر ليس مستغرباً؛ فهم الجيل الذي رباهم الله تعالى بقرآن يتلى من السماء ورباهم رسوله ﷺ وفق منهج الله . . . فكانوا جيلاً مختاراً مميزاً حمل أمانة الدعوة وأدى واجب التبليغ إلى الجهات التي وجهوا إليها وأن المرء منهم لتذهب حياته فداء لدين الله وطلباً لأخبار الأعداء لتحقيق سلامة الدولة الإسلامية الناشئة ورغبة في الشهادة والفوز بنعيم الجنة .

وغني عن البيان أن كل الصحابة عدول وأن ما كانوا يأتون به من الأخبار في المهمات التي وكلت إليهم أو ندبوا أنفسهم للقيام بها كانت أخبار صادقة في حدود طاقة الواحد منهم وجهده .

قال ابن حجر في الإصابة نقلاً عن الخطيب: «إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله وأخباره عن طهارتهم واختباره لهم» في مثل قوله تعالى :

١ - ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

٢ - ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً ﴾ .

٣ - ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ .

٤ - ﴿ محمد رسول الله والذين آمنوا أشداء على الكفار رحماء

بينهم ﴾ .

٥ - وأحاديث كثيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله منهم شيء مما ذكرناه لأوجبت (الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الأبناء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين) القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد قوله^(١) .

فهذا القول الفصل في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم يجعل كل قول في تعداد خصائصهم في حمل الأخبار والقيام بالمهمات من قبيل تحصيل الحاصل .

٦ - قال ابن الصلاح في علوم الحديث :

(للصحابة بأسرهم خصيصة وهي : أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة)^(٢) .

ثم قال :

(ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكان الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم)^(٣) .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، جزء ١ ، (بيروت : دار الفكر ،

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ١٠ .

(٢) و (٣) ابن الصلاح ، علوم الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ و ٢٦٧ .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مشاعل الهدى التي حملت أخبار الرسالة الخاتمة إلى الشعوب والجماعات والأمم التي عاصرت هذه الرسالة وكانوا شهود هذه الرسالة الأمناء، ومادة الأحداث العظمى، ووقود المعارك، وأبطال الملاحم، فهم القدوة الحسنة فيما أسند إليهم، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

وإلى جانب جيل الصحابة وجدت فئات أخرى كثيرة كانت مختلفة الدوافع في تعاملها بالأخبار ومن ذلك:

أ - قبائل متحالفة مع رسول الله ﷺ كقبيلة خزاعة، فقد كانت مجندة لنقل أخبار قريش وإبلاغها لرسول الله. وقد سبق قول ابن هشام في السيرة: أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله مسلمهم وكافرهم.

ب - قبائل من العرب كانت موادعة للمسلمين كقبيلة جهينة وكان المسلمون يستفيدون منهم في معرفة الأخبار.

ج - أفراد كانوا ينقلون الأخبار إما بدافع الرغبة في تناقل الخبر أو بدافع القرابة.

ومن النوع الأول نعيم بن مسعود الثقفي الذي جاء بخبر تحويل قريش لطريق تجارتها عن طريق نجد وذلك قبل أن يسلم، ومن النوع الثاني العباس بن عبد المطلب عم النبي فقد طلب منه رسول الله ﷺ البقاء في مكة للكتابة بأخبار قريش إلى النبي في المدينة.

د - المسافرون القادمون من مكة وبقيّة البلدان والمناطق بعد الهجرة فلم تخف حركة الاتجاه البشري إلى المدينة بعد الهجرة بل على العكس زادت بشكل كبير نتيجة للظروف الجديدة التي كانت تعيشها المدينة بعد وصول رسول الله ﷺ إليها.

ومن حيث تصنيف حاملي الخبر من الناحية المهنية فهذه الوظيفة في العهد المدني تمايزت كما كانت في الجاهلية منوطة بالشعراء والرواة

والقصاصيين والناسيين وغيرهم وكما ستتطور فيما بعد لتصبح وظيفة إعلامية ثابتة .

بل كانت وظيفة نقل الخبر عملاً يؤديه أفراد من جميع المهن . . . كالتجار والرعاة والمزارعين والجنود وغير ذلك من الفئات .

ومن تقصي مصادر الأخبار وأنواعها في العهد المدني يمكننا أن نستنتج ملامح شخصية الإخباري المسلم كما ينبغي أن تكون في كل عصر وفي كل مكان .

أولاً : الإيمان الثابت بالله وبرسوله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ذلك الإيمان الذي ينتج عنه صلابة في المعتقد وصدق في الفكر ووضوح في الرؤية ومن ثم ينعكس ذلك كله على عمله وقوله الذي ينبعث من خشية الله فلا يقول إلا صدقاً ولا ينطق إلا حقاً ويتبني من وراء عمله مرضاة الله أولاً ثم الأغراض التي لا تتعارض مع نص شرعي وهذه الصفات تشط الشخصية وتضاعف الجهد وتدفع إلى إتقان العمل وتوجد حساسية خاصة للأخبار وأذناً حساسة وعيوناً يقظة .

ثانياً : الطاعة المطلقة لرئيسه في الخير والتفاني في أداء الواجب الذي يمكنه من اكتساب صفات الإخلاص وتحمل المتاعب والاستهانة بالمخاطر في سبيل الوصول إلى الخبر الصحيح لا بهدف سبق الصحفي ولكن ليتخذ به وسيلة لنشر الفضيلة وإحقاق الحقوق والتبشير بالخير والإصلاح .

ثالثاً : أن يستخدم جميع الوسائل المشروعة في الوصول إلى الخبر ويتعد عن أساليب الخداع والمراوغة والفساد ويؤمن بضرورة أن يطلب الخبر وينشره لغاية إصلاحية لا أن يطلب الخبر لذاته .

رابعاً : أن يحسن استعمال جميع ما توصل إليه العصر من فنون استقاء الأنباء ويستخدمها استخداماً صحيحاً ويوظفها في نشر الإسلام والدعوة إليها وتقريبه إلى النفوس التي جمح بها سلطان الشهوة وجرفها تيار المادة لعله

يكون له عملاً صالحاً يقربه إلى الله . ولذلك فقد رأينا أن رسول الله ﷺ قد أدخل مصادر جديدة ووظائف في الحصول على الأخبار في منهج كامل من الفكر الموحد والسلوك القويم ووظف كذلك الوسائل التي كانت مألوفة عند العرب مما لا تتعارض مع عقائد الإسلام .

خامساً: الابتعاد عن مظان السوء وأن يتعظ بغيره من الذين انجرفوا وراء البحث عن الأخبار بأي طريق وبأي ثمن فوقعوا في المحظورات وتعدوا على الحدود من الإخباريين غير المسلمين .

ذلك لأن الميادين الإعلامية تعتمد أصلاً على علم العلاقات العامة وللعلاقات الشخصية والصدقات دورها الأول في منهج الإعلام غير الإسلامي وينصح كتاب الكتب الإعلامية في الغرب والشرق والآخذين عنهم من المؤلفين المسلمين بمجموعة من الوسائل للحصول على الخبر منها الحفلات والصدقات والعلاقات الشخصية .

ومن الأمور البديهيّة أن الحفلات والعلاقات في المجتمعات غير المسلمة تزخر بمظاهر العبث والفساد فليتنجب رجل الأخبار المسلم هذه المواطن في بحثه عن الأخبار .

سادساً: ليعلم رجل الأخبار المسلم أن الواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية ليس حجة على الإسلام فلا يجب أن يغره الاهتمام بالأخبار التافهة والقصص التي يقصد بها ملء صفحات الجرائد والمجلات وتكون خالية من أي مضمون إصلاحى ناهيك عن أنها قد تكون مشحونة بالسموم دون أن يدقق المحررون في نشرها . . .

نقول إن الإخباري المسلم عليه أن يكون كَيِّساً حَصِيْفاً يلتزم بآداب القرآن الكريم والسنة المطهرة في بحثه عن الأخبار ونقلها أو نشرها، فكما أن الإسلام يريد من المسلم المقاتل أن يكون أشجع المقاتلين، ومن المسلم التاجر أنزه التجار، ومن المسلم الموظف أكفأ الموظفين، كذلك يريد من

الإخباري المسلم أن يكون أكيس الإخباريين وأصدقهم إخباراً وأدقهم في التحري وتغطية الأخبار وتفسيرها لتعليم الناس وتوجيههم بالخير وأن يبتعد عن كل المقاييس التي يضعها غير المسلمين للخبر مما تتعارض مع مفاهيم ديننا الحنيف.

مميزات الأخبار في العهد المدني

١ - أما الأخبار الواردة بواسطة ملك الوحي عن تدابير المشركين أو اليهود ومكائدهم ضد الدعوة الإسلامية والدولة وعن المنافقين وفي حسم كثير من القضايا مما هو وارد في علم أسباب النزول . . . فإن مميزاتها هي مميزات القرآن الكريم في صدقه المطلق وفي شمول أحكامه وأنه كتاب العلم الحق والخبر اليقين وهذه الأخبار والتصديق بها مقياس للإيمان وهي جزء من عقيدة المسلم .

وكذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنة المشرفة من أخبار عن عالم الغيب فإن هذه الأخبار تكون العقائد الكبرى في الإسلام .

٢ - وأما الأخبار التي حدث بها رسول الله ﷺ عن الأمم الغابرة أو عن الملوك والحكام وكثير من الأمور المعاصرة لجيل الصحابة وكذلك عن الأمور التي ستحدث في فترات معينة من الزمان إنما هي من دلائل نبوته ﷺ ومن المعجزات التي يسرها الله سبحانه وتعالى له برهاناً على صدقه .

٣ - أما الأخبار التي كان يأتي بها الصحابة رضوان الله عليهم في السرايا والطلائع وفي مختلف المهمات والواجبات التي كلفوا بها أو الأخبار التي ندبوا أنفسهم لتبليغها إلى رسول الله ﷺ فقد كانت دقتها تتأثر بما يمتلكه الصحابي من قدرات بشرية تختلف من فرد إلى آخر وأما صدقها فكان ثابتاً وأكيداً من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم فهم الجيل الذي هيأهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا مادة الأحداث العظمى والدرس الأكبر للإنسانية في الخلق العظيم والاستقامة على الحق .

٤ - أما مميزات الأخبار من حيث دلالتها الإعلامية فقد تأثرت بالقدر العظيم من الفصاحة وقوة البيان الذي حظي به العرب في ذلك الزمان. وكانت مادة هذه الأخبار اللغة العربية بكل إمكانياتها التي كشف عنها القرآن الكريم وصقلها ووجها وجهة إعلامية عظيمة الأثر.

٥ - أما من حيث الموضوعات التي كانت تعالجها وتحدد قيمتها الإخبارية فإن أخبار الوحي أمر خارج عن أحكام البشر في تحديد قيمتها وإنما ظاهر هذه الأخبار أنها كانت موجهة لبناء عقيدة التوحيد وتكوين الأمة المسلمة المؤمنة الصادقة المجاهدة وتصحيح مسارات حركة البناء في المناسبات التي قد تخالف فيها اجتهادات البشر أحكام السماء.

وأما القيمة الإخبارية لأخبار الصحابة أو أفراد القبائل المودعة للمسلمين قبل انتشار الإسلام فقد كانت غالب المناسبات مطابقة للواقع الذي توجه لاستكشافه أو الحصول على الأخبار عنه.

وهذا راجع إلى كياسة المسلمين وحصافتهم وإخلاصهم وممارستهم في الدعوة وحرصهم على الطاعة المطلقة لله ولرسوله وفي كثير من مناسبات الدعوة أو مهمات الاستطلاع الإخباري كان الصحابة رضوان الله عليهم يفقدون حياتهم أو أعضائهم فلا يزيدهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً وطاعة لله ولرسوله.

٦ - ولم تكن هذه الأخبار طلباً لسبق صحفي أو طمعاً في مغنم مادي أو سعياً وراء الشهرة والظهور والسمعة بل كانت مظهراً صادقاً لمعنى الإسلام في شخصيات الصحابة الكرام الذي يعني الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.

٧ - إن أخبار العهد المدني كانت أخبار دعوة في أصلها الحقيقي وكل الأخبار التي كانت تنقل من الصحابة رضوان الله عليهم من داخل المجتمع الإسلامي تبليغاً عن حركة داخلية أو خارجية إنما كانت قياماً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة لله ولرسوله، واحتساباً لله في فعل الخير

وحسنة يرتجى بها المسلم وجه الله تعالى .

فلقد كان أعداء الدعوة والدولة الإسلامية كثر: قبائل خارج المدينة
تتربص بالمسلمين الدوائر وجماعات المنافقين المرجفين واليهود الحاقدين
وقريش بكل ثقلها وعلاقاتها القوية التأثير في القبائل الأخرى كل ذلك جعل
مهمة الخبر الإسلامي مهمة بالغة الأثر في صيانة حركة الدعوة وبناء الدولة .

الفصل الثالث

المصادر الحديثة للأخبار في ضوء الإسلام
(التركيز على : عمل المندوب الصحفي ووكالات الأنباء)

القسم الأول

المصادر الحديثة للأخبار

- ١ - طبيعة المصدر في الإعلام الحديث .
- ٢ - مصادر الأخبار الحديثة (من حيث هي) .
- ٣ - دراسة تفصيلية لمصدرين من مصادر الأخبار الحديثة :
الأول : مصدر ذاتي (المندوب الصحفي) .
لثاني : مصدر خارجي (وكالات الأنباء) .

تمهيد

عندما نتأمل في مصادر الخبر في الإسلام من خلال دراستنا لمصادر الأخبار في أول شكل من أشكال الكيانات السياسية الإسلامية في الدولة الأولى . . . حيث أقام الرسول ﷺ أول دولة إسلامية في المدينة تركز على خبر الوحي ويقودها نبي الوحي . . . نتطلع إلى مصادر الأخبار حيث تضاعف تأثير خبر السماء حتى آل أو كاد في المجالات الإعلامية . . . وكما تُظهر الخلفية السوداء الخط الأبيض يبدو خبر الوحي ومصادره . . . وكما أشرقت علينا سيماء خبر الوحي ومصادره . . . لا بد من أن نتعرف على ما وصلت إليه الإنسانية من أساليب بعيدة عن منهج الله في استقاء الخبر والتعامل معه، وفي استغلال مصادره وتوجيهه في طريق الشر ونشر الرذيلة . . . رغم أن الأساليب الفنية في تحري الخبر ونقله ونشره وتحريه وتوزيعه، بلغت درجة عزت على كل عصور الجنس البشري، إلا أن الذي يتعامل بالخبر في الوقت الحاضر قلوب خواء ونفوس حجبت عن طريق الصواب، وتحكمت فيها الغرائز، فجرفت إلى هاوية سحيقة لا يمكن أن تتدارك الوقوع فيها إلا إذا عادت إلى منهج الله تستلهمه، وإلى خبر الوحي تسترشد به وتستهدي، واستشرفت نفحات الهدى التي تنبها دعوة التوحيد، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، . . . ومن هذا المنطلق ندرس نماذج من مصادر الأخبار الحديثة (أهم مصدرين وأبلغهما أثراً): علّنا نستطيع بعون الله وقوته أن نساهم في توضيح الأسلوب الصحيح في استقاء النبأ والتعامل به من خلال تقويم أساليب وكالات الأنباء والمصادر الحديثة في التعامل مع الخبر . . . ورأينا أن تكون هذه الدراسة على قسمين :

الأول منهما يتناول المصادر كما هي ومن حيث هي وكما تطورت إلى وضعها الراهن .

والثاني: يتناول بالتحليل تحكيم مقياس الإسلام في هذه المصادر لنرى كم هو ضرورة (الحل الإسلامي) في المجال الإعلامي وفي الأخبار على وجه الخصوص .

مصدر الخبر في الإعلام الحديث

عند البحث في مصادر الأخبار لا بد أن نحدد مفهوم المصادر من الناحية العلمية. . . فالمصدر هو منبع الخبر الناشئ عن التواجد في مكان الحدث وملاحقته ورصده وتسجيله، كما يشمل أساليب نقل الخبر أو ما يعرف «بمسالك الأخبار».

وهذا التصور جاء من تميز كيان المصدر عن جهاز الوسيلة الإعلامية المستخدم في نقله واختياره وتحريره ونشره وتوزيعه وإذاعته، ونتيجة للتطور الكبير في الوسائل الإعلامية وتضخمها حتى أصبحت مؤسسات كبرى في المجتمعات (المليونية) الحديثة تعددت المصادر والأجهزة التي تتعامل بالخبر.

والأمر الملاحظ بوضوح أنه رغم تشعب عمل الأجهزة الإعلامية وخاصة في الوسائل الكبرى الثلاث: الصحف والإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية، ورغم تعدد مجالات نشاطها، وتنوع برامجها، إلا أن الأخبار لا تزال مادة أساسية في جميع وسائل الإعلام. فأى برنامج إعلامي يقدم بالضرورة خبراً عن أمر يهم الجمهور الواقع في مجال التأثير أو ما يعبر عنه بالتعرض الإخباري.

ويتأثر الخبر الإعلامي بجميع صوره - وأنواعه - بالمصدر الذي يأتي منه وبالمسلك الذي يسير فيه حتى يصل إلى الوسيلة الإعلامية. . . ولا نقصد (بالمسلك) الوسائل المادية فقط وإنما نقصد الأفراد والمؤسسات من حيث

كونها أجهزة فكرية ذات أهداف وأغراض ومصالح تلون الخبر وتوجهه .
وعموماً يقسم الباحثون مصادر الأخبار في الوقت الحاضر إلى قسمين
هما :

أولاً : المصادر الخارجية (أي خارج جهاز المؤسسة الإعلامية) : مثل :

- ١ - وكالات الأنباء العالمية .
- ٢ - وكالات الأنباء المحلية .
- ٣ - وكالات الأنباء النوعية المتخصصة .
- ٤ - الإذاعات ومحطات (التلفزيون) .
- ٥ - جهاز العلاقات العامة في المؤسسات والمصالح .
- ٦ - الصحف والمجلات بجميع أنواعها .
- ٧ - أجهزة الإعداد للاحتفالات والندوات والمؤتمرات .
- ٨ - النشرات والكتيبات الدورية العامة والمتخصصة .
- ٩ - الدوريات العلمية والثقافية .
- ١٠ - مطبوعات أجهزة الدراسات والمعلومات والإحصاء .
- ١١ - الهواة والمتطوعون .
- ١٢ - المصاحفون .
- ١٣ - المخبرون الأحرار .
- ١٤ - هواة مراسلة الصحف والمجلات .
- ١٥ - خطابات القراء .
- ١٦ - الكتب الجديدة .
- ١٧ - أصحاب المصلحة الخاصة في نشر أخبارهم^(١) .

ثانياً : المصادر الذاتية : أي التي تعتمد عليها المؤسسة وتكون ضمن
تشكيلها الإداري وهيئتها الفنية فيما يعرف بقسم الأخبار في المؤسسة الإعلامية
وهذا بدوره يتعامل مع مصدرين :

(١) دكتور محمد أدهم : فن الخبر ص ١٤٠ .

- أ - المصادر الخارجية السالفة الذكر.
- ٢ - المصادر التابعة للصحيفة وأهمها المندوب الصحفي .
- وهناك تقسيم آخر لمصادر الأخبار الحديثة :
- أولاً : مصادر تقليدية ، وتشمل :
- ١ - كراسة الصحفي . وتقابل المخبر الصحفي في التقييم السابق .
 - ٢ - التقويم العام .
 - ٣ - الأحداث الدولية المتوقعة .
 - ٤ - كبار المسؤولين .
 - ٥ - الشخصيات البارزة في المجتمع .
 - ٦ - الشخصيات الأجنبية الكبيرة .
 - ٧ - أصدقاء وأقارب وأطباء الشخصيات المشهورة .
- ثانياً : مصادر غير تقليدية ، مثل :
- ١ - الأخبار نفسها التي قد تقود إلى أخبار أخرى .
 - ٢ - البيانات والنشرات والخطب والأحاديث .
 - ٣ - المجلات المتخصصة .
 - ٤ - الإعلانات .
 - ٥ - رسائل القراء .
 - ٦ - الإشاعات والأخبار غير المؤكدة .
 - ٧ - الصدفة^(١) .

والحقيقة أن هذا التقسيم الأخير يفرق بين المصادر الثابتة والمصادر المتحركة ويعتبر الأخيرة مسالك للأخبار غير أن التصور الصحيح لمصدر الخبر هو: الفرد أو المؤسسة أو الوسيلة التي لاحقت الأخبار في أماكن الأحداث أو في وسائل نقلها وتسجيلها، ثم عملت على نشرها لتحقيق أغراض معينة في

(١) دكتور وليم الميري : الأخبار مصادرها ونشرها، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣٢ .

المحيط الذي يصل إليه تأثيرها .

وهذا التقسيم للمصدر يصوره بصورة سلسلة متتابعة من المصادر التي تأخذ الواحدة عن الأخرى وتعتبر السابقة مصدراً لللاحقة وهذه مصدراً لمن يقع في نطاق تأثيرها وهكذا .

فوكالات الأنباء مثلاً جهاز كبير ذي استعدادات ضخمة يعتمد على مندوبين منتشرين هنا وهناك وفي مواقع الأحداث الحقيقية أو المتوقعة، وعلى درجة عالية من الكفاءة والقدرة على التواجد الإخباري : فهؤلاء مصادر أخبار لجهاز الوكالة الذي يثبه المشتركين أو العملاء المتعاملين مع الوكالة بموجب اتفاق أو تنظيم معين . . . فالوكالة مصدر لأجهزة الإعلام ، وهذه الأخيرة مصدر للوسائل الأخرى التي تأخذ عنها، وكل وسائل الإعلام «مصادر أخبار» للأفراد والجماعات التي توجه للتأثير فيهم . . . ومن تعرض لتأثير المصدر يصبح مصدراً لغيره ممن لم يتعرض وهكذا تنتشر شبكة التأثير الإخباري على أوسع مساحة ممكنة في سلسلة من المصادر المتتابعة والمتشابكة .

وهذه الحقيقة توضح القيمة العظمى لعملية متابعة الأخبار ونقلها ونشرها وتحريرها أو إذاعتها مسموعة أو مصورة . . . وقد تعلمنا نحن المسلمين من دولتنا الأولى في عهدنا المدني ، ثم فيما تلا ذلك من عصور الازدهار الحضاري في العالم الإسلامي كيف كانت الأخبار ومصادرها من عوامل النصر للإسلام ولأهله ، وكيف أن انعزال المسلمين عن واقعهم وعن الأحداث حولهم أوقعهم في حبال الشر والأضرار .

وعند الحديث عن مصادر الأخبار ينسحب فكرنا تلقائياً إلى الأخبار الصحفية ومصادرها ، ورغم أن الإذاعة المسموعة والمرئية تتعامل مع الأخبار ، غير أن الصحافة طغت في تعاملها بالخبر وغطت على الوسائل الأخرى .

ولأجل ذلك طورت وسائل الإعلام الأخرى نفسها في تعاملها بالخبر لتنافس الإعلام المطبوع ، وأصبحت الأخبار تنقل مسموعة ومصورة نابضة بالحركة واضحة التفاصيل . . . فعند اختيارنا لدراسة نماذج من مصادر الأخبار

الحديثه فإن ما ينطبق على الصحافة المقروءة ينسحب بالضرورة على الإعلام المسموع والمرئي .

ونكتفي بالدراسة التفصيلية لمثلين من مصادر الأخبار يجمعان فيهما وظيفياً وفنياً محصلة العمل الإخباري منذ أقدم العصور حتى بلغ درجة عالية من التفوق الفني والإتقان المهني :

الأول : مثال من المصادر الذاتية : المندوب الصحفي والإذاعي .

الثاني : مثال من المصادر الخارجية : وكالات الأنباء .

من المصادر الذاتية :

المندوب الصحفي أو الإذاعي

١ - المندوب الصحفي عضو فريق الأخبار في كل صحيفة أو مجلة، وهذا الفريق يتكون من مجموعة من المندوبين والمراسلين والمحربين، وهو عصب العمل في كل مؤسسة صحفية، ويشكل في اتصاله ببقية الأقسام حجر الزاوية في العمل الإخباري : فهو الذي يشكل المادة الإخبارية، ويحولها إلى مواد أخرى تعتمد على الخبر، ويلحق الأخبار ومصادرها .

٢ - واجبات المندوب الصحفي :

أ - اكتشاف إمكانية الأخبار بتوجيه من المسؤولين المتخصصين .

ب - الحصول على الوقائع التي تجفل من هذه الإمكانيات قصة إخبارية .

ج - نقل القصة الإخبارية في أسرع وقت .

د - كتابة القصة في وضوح ودقة .

هـ - متابعة القصة وخاصة إذا كانت تتعلق بحدث هام^(١) .

(١) د . وليم الميري : الأخبار ومصادرها ونشرها، مرجع سابق، ص ٣٨ - ٤٠ .

٣ - ويساعد المندوب على القيام بعمله :

أ - متابعة قراءة صحيفته والصحف والمجلات الأخرى بدقة ووعي .

ب - تفسير الأخبار في وضوح وأمانة وموضوعية .

ج - استخدام سجل خاص يستعين به لاستقاء المعلومات .

د - توطيد علاقات الصداقة والمودة بأكبر عدد من الناس وخاصة

المسؤولين .

كيف يحصل المندوب الصحفي على الأخبار :

لكي يجمع الأخبار عليه أن يعرف أين ومتى يبحث عنها وماذا ومن يرى؟ لماذا وكيف يميز الوقائع؟ وبالطبع فإن المهارات المطلوبة في المندوب في صحيفة تختلف عن مهارات المندوب الإذاعي أو المندوب «التلفزيوني» .

وهناك ثلاث طرق يحصل المندوب على الأخبار بواسطتها وهي :

أولاً - التواجد في مجال الأخبار^(١) :

يتم تغطية معظم الأخبار من هذا الطريق حيث يذهب لمشاهدة الأحداث والحصول على أخبارها بالتحدث أو المراقبة في المباريات والمحاكم وأماكن الكوارث والحوادث فهو يشاهد الحدث ويلاحظه . . . ومثل هذا المندوب يفهم طبيعة الواقعة، ويحسن تغطيتها، ويتعرف على الأسباب والشخصيات، ويسجل الملاحظات الميدانية، وقد تكون بعض المعلومات دقيقة وهامة . وبواسطة هذا التواجد يكتب بسرعة وبدقة الحقائق والأفكار والوقائع .

ثانياً - التحدث إلى الناس :

يجمع المراسلون الكثير من الأخبار من أحاديثهم مع الناس، إما مباشرة

Laurence R. Compbell, Roland Wolseley: How to Report and Write the news (١)
pp. 26-30

لودفس . ار . كومبل وروланд ولزلي : كيف تعد وتكتب الأخبار (مرجع سابق)
الصفحات من ٢٦ - ٣٠ .

أو باستخدام الهاتف. وقد يحدث أن يتصل المحرر بأشخاص بعيدين عن الحدث ولكن معلوماتهم تفيد في تغطيته فيرسل من فوره مندوباً صحفياً للحصول على المعلومات.

وفي كل مؤسسة أو دائرة يوجد من يعرف «بالناطق الرسمي» key-Official يتحدث من واقع المسؤولية. ورجال العلاقات في المؤسسات والشركات والمصالح الحكومية من المصادر ذات القيمة للمعلومات.

وكثير من الناس يتحاشى الحديث إلى المراسلين ويتجنبون الخوض في التفاصيل، ولكن المندوب الماهر يلح في إلقاء الأسئلة حتى يظهر الاستعداد للإدلاء بالمعلومات لدى الشخص أو الأشخاص المعنيين.

ثالثاً استعمال المصادر الثانوية :

لا يمكن الاعتماد كلياً على ما يخبر به الناس فيجب أن يستعمل المندوب السجلات والتقارير وملفات الوثائق، ويتقن استقاء الأنباء، من الأرقام والسجلات الرسمية دون أن يتعارض ذلك مع الأنظمة الحكومية والإدارية.

ولكي يكون في تمام كفاءته يراعى الأمور الآتية :

- ١ - أن يعرف ما الذي عليه أن يأخذه معه إلى مواقع الأخبار من أدوات.
- ٢ - كيف يتعامل مع الأجهزة التي قد تكون معه.
- ٣ - كيف يمكن أن يتصل بإدارته في الوقت المناسب.
- ٤ - أن يعرف خطة جهازه في الاتصال وتلقي الأخبار.
- ٥ - كيف يدون ملاحظاته بسرعة ويكتبها بدقة.
- ٦ - كيف يمكنه التمييز بين الصادق والكاذب من الأخبار.
- ٧ - كيف يتجنب عبارات التشهير بالآخرين.
- ٨ - أن يعلم آخر موعد لإصدار صحيفته.
- ٩ - كيف يتصرف إذا عجز عن الاتصال بصحيفته.
- ١٠ - فهمه الكامل الواعي للوسيلة الإعلامية التي يعمل بها ونظامها ومن

هو المسؤول المباشر عن الأخبار^(١).

تختلف الصحف في مدى توفر إمكانيات إرسال مندوب صحفي إلى مواقع الأحداث، فليس جميعها في مستوى مادي يسمح لها بذلك ولذلك فمعظم الصحف تعتمد في استقاء الأنباء إما على الوسائل الأخرى غير المكلفة، أو على وكالات الأنباء المحلية والخارجية وخاصة في مجال الأخبار الخارجية التي لا يمكن تغطيتها بالمندوب أو المراسل.

فالعامل المادي حاسم في هذا المجال... وتمتاز الأخبار بسرعة تجددتها «فليس أقدم من صحيفة الأمس» ومن هنا ظهرت ظاهرة السبق الصحفي... إذ تقاس قوة المؤسسة الصحفية بمدى حداثة وآنية الأخبار التي تقدمها.

وكثير من الصحف لديها قسم خاص للتصنت الإذاعي لمتابعة أخبار الإذاعات المحلية، والأجنبية، لاختيار الأخبار المتفقة مع خط الصحيفة وسياستها إذا أعوزتها الإمكانيات لإرسال المندوب إلى موقع الحدث... وصحف أخرى تعتمد على رسائل القراء، والأخبار التي يرسلها المراسلون الهواة أو المصاحفون... وغير ذلك من الأساليب.

غير أن أكثر من ٨٠٪ من أخبار الصحف الكبرى تستقيها من وكالات الأنباء، ولهذا رأينا اختيار هذا المصدر المتغلب في تأثيره الإعلامي الذي حل محل جميع وسائل استقاء الأخبار، وأعطى العمل الإعلامي خصائص جديدة ما كانت الصحف تتطلع إليها يوماً من الأيام.

وعالم الوكالات غريب وطريف، عالم زاخر بالمنافع والإمكانيات الإخبارية غير المحدودة، ولكنه في نفس الوقت عالم مشحون بالأخطار الفكرية، ورأينا إعطاء فكرة عن هذه الوكالات، وخاصة الوكالات الأجنبية الكبرى، وبعد ذلك نقوم عملها في ضوء مقياس الإسلام في استقاء الخبر والتعامل معه.

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

وكالات الأنباء

أولاً - ما هي وكالات الأنباء :

« اتخذت وكالة الأنباء اسمها من طبيعة عملها في أول الأمر كوكيل أو ممثل للصحف، وهي بمثابة جمعية تعاونية تشترك فيها الصحف لجمع الأخبار، لأن كل صحيفة بمفردها لا تستطيع أن تقوم بهذا العمل، ولا بد من المشاركة في النفقات»^(١).

وهذا التعريف ينطبق على الوكالات في بداية نشأتها وعلى بعضها في الوقت الراهن في بعض البلاد الأوروبية وأمريكا مثل وكالة «الأسوشيتدبرس»، أما البعض الآخر فهو مؤسسات تجارية سلعتها الأخبار والمعلومات مثل وكالة «اليونيتدبرس أنترناشيونال»، والبعض الباقي كما في بلاد الكتلة الشرقية وفي معظم البلدان النامية، فإنها مؤسسات حكومية موجهة لخدمة أغراض الدولة وفق النظام الاجتماعي الذي تكون فيه.

وفي تعريف آخر نلاحظ أن «وكالة الأنباء هي الجهاز الذي يتولى استقاء الأخبار من مصادرها الأساسية في مناطق متفرقة من العالم وتوزيعها على الصحف والإذاعات المرئية والمسموعة بأجهزتها الخاصة»^(٢).

ثانياً - كيف نشأت وكالات الأنباء وكيف تطورت وكيف أصبحت؟ :

١ - يرتبط تاريخ نشأة وكالات الأنباء بالإعلام المكتوب ثم المطبوع، أكثر من ارتباطه بالإعلام المسموع أو المرئي . . . ويرتبط تطورها بتطور وسائل الاتصال السمعية ثم المرئية، ذلك التطور الذي فرض أوضاعاً جديدة على

(١) د. إبراهيم إمام : وكالات الأنباء، ط ١، (القاهرة، دار النهضة العربية).

(٢) شفيق محمود عبد اللطيف : وكالات الأنباء رؤية جديدة، سلسلة كتابك، (القاهرة، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٨ م) ص ١٠.

الإعلام المطبوع جعله يعتمد اعتماداً - يكون يكون تاماً - على وكالات الأنباء بجميع أنواعها وهذا ما جعل الصحافة بشتى صورها ظاهرة فريدة في هذا العصر.

٢ - نقل المسلمون إلى الأوربيين فيما نقلوه من مظاهر الحضارة وفنون الصناعة: صناعة الورق... وكان لهذه الصناعة دور كبير في ظروف الوظائف الإخبارية في أوروبا إلى جانب مظاهر ما يعرف بالنهضة الأوربية مع بداية القرن الثاني عشر الميلادي وما تلاه.

٣ - كان أول ظهور للصحافة الأوربية ما يعرف «بالرسائل المنسوخة»، وقد استخدمت في نقل أخبار حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا التي نشبت سنة ١٣٣٧ م، وكذلك في نقل أخبار الحروب والمعارك الأخرى، وأخبار الملوك والحاشية في الممالك الأوربية.

وظلت الرسائل المنسوخة أهم وسائل الإعلام في أوروبا في القرون الوسطى، وكانت مدينة البندقية تعج بالمكاتب الإخبارية التي يشرف عليها كتاب الأخبار كما انتشر هذا النشاط الإخباري في سائر العواصم الأوربية^(١).

٤ - وباختراع الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي، دخلت صناعة الأخبار مرحلة جديدة من حيث الكم والكيف، ورافق ذلك أحداث كبرى في أوروبا، مثل الكشف الجغرافية، وتميز كيان الدول والحكومات، وانتشرت معالم حياة جديدة في جميع البلاد الأوربية، نتيجة لازدياد الثروات، وتبنى برامج الإصلاح الاجتماعي، وتوفير الخدمات.

٥ - وباكتشاف أميركا، وبداية استيطانها، وظهور مجتمعات جديدة في نصف الكرة الغربي، نشطت حركة تبادل البضائع والمسافرين، وتمت في ظل ذلك الخدمات البريدية، تلك الخدمات التي قدمت للصحف مجالاً واسعاً للانتشار والتوسع، حتى أن مواعيد صدور الصحف في أميركا كانت تتفق مع

(١) د. إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص ١٢.

مواعيد توزيع البريد.

٦ - واستتبع كل ذلك تطور كبير في وسائل المواصلات بشتى أنواعها المعروفة في ذلك الوقت، فبدلاً من استخدام الدواب سَيرت المركبات التي تجرها الخيول السريعة، ثم جاءت البواخر والسكك الحديدية والسيارات، فأحدثت ثورة في عالم الاتصال، ودخلت الصحافة طوراً جديداً اعتمدت فيه على الأخبار الحديثة السريعة.

٧ - ولما توسعت الخدمات الصحفية، وتنوعت واعترفت بها المجتمعات كوسائل تثقيف ومنابر للرأي، ومظهر من مظاهر التحضر، وعاملاً من عوامل الإصلاح، أخذت تنافس في تقديم أفضل الخدمات للجمهور، وهذا التنافس زاد من الأعباء المالية التي تتحملها الصحيفة في سبيل الحصول على الأخبار، فظهرت وكالات الأنباء كاتحاد يضم مجموعة من الصحف، يوفر لها جميعاً خدمات إخبارية بتكاليف أقل... فليس كل الصحف قادرة على تعيين مراسلين يلاحقون الأخبار، ويرصدون الأحداث، ويوفرون تغطية إعلامية ناجحة لها.

٨ - ولكن لم يكن ظهور جميع وكالات الأنباء نتيجة لهذا العامل، فإذا انطبق ذلك على وكالة أسوشيتدبرس الأميركية مثلاً، فلا ينطبق على وكالة الأنباء الفرنسية، التي هي وريثة للوكالة الأم: وكالة هافاس... فقد كانت الوكالات الأولى تطوراً للمكاتب الإخبارية التي كانت منتشرة في أوروبا مع بداية النهضة الأوروبية...

وظهرت وكالة هافاس - التي أسسها اليهودي البرتغالي الأصل - بهدف تجاري صرف، عندما استخدم لأول مرة في تاريخ الخدمات الإعلامية لفظ «وكالة أنباء» بعد أن حول مكتبة الإخباري في باريس إلى شكله الجديد «وكالة أنباء هافاس» سنة ١٨٣٥ م^(١).

(١) المرجع السابق، ص ٤٧.

٩- وفي تاريخ الخدمات الإخبارية تستوقفنا معالم هامة دفعت هذه الخدمات دفعات قوية إلى الأمام، وحسنت من مستواها من حيث الكم والنوع، وكان المستفيد الأكبر من هذه المعالم الجديدة في عالم الاتصال وكالات الأنباء بمختلف انتماءاتها ومن هذه المعالم:

أ- اختراع «التلغراف سنة ١٨٣٧ م».

ب- اختراع «الهاتف» سنة ١٨٧٥ م واستخدمته الوكالات سنة ١٩٢٧ م.

ج- اختراع «الراديو المذياع» سنة ١٨٩٦ م على يد الإيطالي ماركوني.

د- سنة ١٩٠٦ م وجه فيون رسائل لاسلكية مختصرة إلى السفن.

هـ- سنة ١٩٠٨ م استخدم دي فورست الفرنسي برج ايفل في باريس للإرسال الإذاعي.

و- سنة ١٩١٥ م قام الألمان بإنشاء محطة إذاعية ضخمة في ناون تديع أخبار ألمانيا إلى جميع أنحاء العالم.

ز- سنة ١٩١٧ م أثناء الحرب العالمية الأولى، طور الكثيرون الإذاعة الصوتية.

ح- دخلت وكالات الأنباء عالم استخدام الأقمار الصناعية منذ ستينات القرن الميلادي الحالي، وبذلك فتحت آفاق واسعة في عالم الاتصال الخارجي والداخلي^(١).

ثالثاً- العوامل التي ساعدت على ظهور الوكالات وتطورها:

١- تكامل الحالة العامة في أوروبا المعروفة «بالنهضة الأوروبية»: وما صاحبها من تغييرات شاملة في نمط الحياة، وأساليب التفكير الغربي... وما صاحب ذلك من ظهور حركة الكشف الجغرافية، التي تحولت إلى تنافس استعماري تدفعه وتغذيه الأطماع التجارية والسياسية، ثم أخيراً دخول الإعلام في ميدان الصراع وربط العمل الإخباري بالسياسية الاحتكارية والاستعمارية.

(١) المرجع السابق، من ص ١٨ - ٢٤.

٢ - الدافع المادي أو العامل الاقتصادي : فإن أول شكل من وكالات الأنباء كان مشروعاً تجارياً خاصاً، اتخذ سلعته من الأخبار والمعلومات والبيانات، عندما فطن «شارل لوي هافاس» الفرنسي البرتغالي المولد، إلى أهمية الأخبار في ميادين السياسة والتجارة والحرب... وكان هدفه الأول هو البحث عن الربح المادي، ثم توالى المشاريع المماثلة مثل مشروع ولف اليهودي الذي أنشأ وكالة ولف في ألمانيا، ووكالة رويترز اليهودي الذي أنشأ وكالة رويترز في بريطانيا... والتقت غاية أصحاب الوكالات (المشاريع) الأولى، مع غايات الحكومات والصحافة الحديثة مما أوجد سوقاً رائجة للأخبار.

٣ - تطور الاختراعات في مجالات الاتصال (المبرقات - الهاتف - اللاسلكي) أدى إلى اقتناع أصحاب المؤسسات الصحفية: بأنه لا حاجة إلى صرف نفقات باهظة على مراسلين منتشرين هنا وهناك لجمع الأخبار، وأنه لتوفير النفقات من الأفضل إنشاء اتحادات تعاونية بين هذه الصحف لجمع هذه الأخبار وتوزيعها عليها وكالة عنها. فظهرت نتيجة لهذا العامل كثير من الوكالات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ - النهضة التعليمية والعلمية الحديثة التي جعلت في الإمكان الاعتماد على عناصر ذات كفاءات عالية ثقافياً وعلمياً في جميع فنون العمل الإعلامي وفي التعامل مع الخبر جمعاً ونقلًا وتحريراً ونشرًا وتوزيعاً. وهذا هو عمل الوكالات في الواقع.

٥ - تحول الصحف من منابر للرأي ونشر المقالات إلى أجهزة متنقلة تعرض الوقائع وتنشر الأنباء بشيء من الموضوعية.

٦ - ظهور حركة الاستقلال الوطني في الشعوب المستعمرة وإدراكها المتزايد لدور وكالات الأنباء في التعبير عن الرأي العام وتكوينه وترشيده ومحاربة الشائعات وشتى أشكال الحرب النفسية والتخلص من التبعية الإعلامية إلى جانب التخلص من التبعية السياسية والاقتصادية وهذا أدى إلى

ظهور وكالات الأنباء الوطنية أو المحلية وهي وإن كانت أقل في مستوى خدماتها من الوكالات الكبرى الدولية إلا أنها تشكل بداية وحداً أدنى في حدود إمكانيات هذه الدول حديثة الاستقلال لا غنى عنه .

وقد ساعد على ظهور وكالات الأنباء الوطنية انحراف الوكالات الكبرى عن الموضوعية التي تدعيها وعن الحياد الذي جعلته شعاراً وعن المنهج الصحيح في التعامل بالخبر فاستخدمته سلاحاً فتاكاً في الحرب الباردة وفي الحرب النفسية والفكرية تنفيذاً لسياسات حكوماتها .

٧ - التغيرات الاجتماعية في المجتمعات الأوروبية والمجتمع الأميركي على وجه الخصوص ، أدت تدريجياً إلى تمييز الوظائف الإعلامية ، وخاصة استقاء الأنباء وملاحقة الأنباء ، ورصد الأحداث ثم في النهاية إلى رسوخ هذه الوظيفة كمهنة فعالة تتدخل في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعلمي ، وتستخدم في السياسات الدولية ، وفي العلاقات بين الشعوب ، وفي شتى أشكال الحرب النفسية ، مما جعل عمل الوكالات يزداد تخصصاً يوماً بعد يوم حتى غدت مؤسسات كبرى تتعامل بالمعلومات ، وتحقق أرباحاً طائلة ، ونفوذاً وتأثيراً عظيم الأثر متشعب الأبعاد .

رابعاً - عمل وكالات الأنباء :

١ - منذ أن تطورت وكالات الأنباء عن المكاتب الإخبارية في فرنسا ، ثم في بقية أوروبا ، وإلى ظهور اتحادات الصحف في أميركا : في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، ثبت دورها كمصدر رئيسي لأكثر من ٧٠٪^(١) من المواد الصحفية لمعظم وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم بلا استثناء ، وخاصة الصحف والمجلات والمحطات الإذاعية المسموعة

(١) دكتور إبراهيم إمام ، وكالات الأنباء ، مرجع سابق ، ص ٣ . وقدرها كاتب آخر بنسبة

٨٠٪ (انظر : وكالات الأنباء رؤية جديدة) ص ١٠ شفيق محمود عبد اللطيف .

والشاهد أن هذه نسبة مرتفعة جداً لاعتماد أجهزة الإعلام على وكالات الأنباء ، وهي مؤشر له خطورة البالغة .

والمرئية . . . لأن الوسائل الذاتية لهذه المؤسسات لم تعد كافية من حيث الكم والكيف لتزويدها بسيل جارف من الأخبار طوال أربع وعشرين ساعة كما تفعل وكالات الأنباء .

٢ - تستخدم وكالات الأنباء المبرقات الكاتبة : التي تبث رسائلها الإخبارية فتلتقطها أجهزة أخرى في الصحف المرتبطة معها، وتستخدم الوكالات أحدث ما يتوصل إليه العلم عاماً بعد عام، بل إنها نفسها طورت أجهزة الاتصال المتطورة في مراكز الأبحاث التابعة لها .

٣ - استغلال إمكانيات الأفراد ومواهبهم، فهي تستخدم أعداداً هائلة من الصحفيين والمراسلين والمترجمين والمححرين والفنيين والإداريين مما لا يمكن أن يتاح لأية صحيفة منفردة .

٤ - تحاول إضافةً إلى مهماتها الإخبارية الأساسية، أن تتكامل وظائفها الإعلامية في الإنتاج والتوزيع والإعلام، فهي مؤسسات اقتصادية في نشأتها وإدارتها وهدفها وأسلوب تعاملها، وخاصة الوكالات الغربية منها .

٥ - الاستفادة من الإمكانيات الفنية التي تتيحها الاختراعات الدائمة التطور والتحسين في مجال الاتصال، وأحدث أسلوب للاتصال هو استخدام الأقمار الصناعية، الذي دخل الخدمات الإعلامية منذ ستينات القرن الميلادي الحالي .

٦ - تستخدم وكالات الأنباء العالمية كوسيلة من وسائل الترويج لسياسات الدول الكبرى الخاضعة لها، ويتبع ذلك الترويج لنفوذ تلك الدول وسيطرتها ومصالحها، وقد استخدمت في الحرب في جميع البلدان المتحاربة كوسيلة للحرب النفسية، وبعد الحرب أصبحت أداة من أدوات الحرب الباردة بين الكتل الكبرى في العالم . . . وسنلقي المزيد من الضوء عن الدور الذي تلعبه الوكالات في المجالات السياسية في موضع آخر من هذا الفصل .

٧ - تقوم وكالات الأنباء الوطنية (المحلية) بالمساهمة في عمليات التنمية في دولها، وتوظف الخبر في مجالات التوجيه الاجتماعي والإرشاد

العام، وتحاول أن تقلل من اعتماد أجهزة الإعلام في البلد الذي توجد فيه على الوكالات الدولية الكبرى ذات الأغراض الاحتكارية أو السياسية الخارجية، التي قد تتعارض مع نظام هذه الدول، وهذا يفسر لنا كثرة ما ظهر من وكالات الأنباء في آسيا وإفريقيا بعد أن نالت دول هاتين القارتين استقلالها في الآونة الأخيرة.

٨ - وتعتبر وكالات الأنباء القنوات الرئيسية لبث وتدفق الأنباء في العالم، فهي المصدر الرئيسي للصحافة والنشرات الإخبارية، والمواد التي تذيعها محطات الإذاعة بقسميها أي أنها أداة رئيسية في تشكيل الرأي العام العالمي، حيث ترى الشعوب الأحداث والوقائع والزعامات والأشخاص والقيم بالمنظار الذي تروج له هذه الوكالات. وتستخدم في ذلك أحدث ما توصلت إليه الدراسات النفسية والاجتماعية من نظريات وأبحاث.

٩ - ولا تكتفي وكالات الأنباء بمجرد استقاء الأنباء وبثها ولكنها تقوم بتفسير الأخبار وكشف الخلفيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية الكامنة خلفه والمصاحبة للخبر وهذا التفسير هو الذي يفتح المجال لتلوين الأخبار.

خامساً - تصنيف وكالات الأنباء :

أدى تقدم الخدمات الإعلامية وتزايد قيمة الوظيفة الإخبارية للرسالة الإعلامية، إلى تشعب اهتمامات وكالات الأنباء وتنوع أعمالها، واختلاف مدى كفاءتها وتغلغل نفوذها ونميز بين الوكالات وفق مقاييس منها :

أ - حسب مقياس الحجم والكفاءة وانتشار وتشعب نشاط الوكالة :

قسمها كتاب منظمة اليونسكو عن الوكالات إلى قسمين^(١) :

١ - وكالات أنباء عالمية، وهي :

وكالة أنباء رويترز (البريطانية).

(١) فيل أولت، وراء الأخبار ليلاً ونهاراً، ترجمة أحمد قاسم جودة، ص (ل) من التقديم بقلم المترجم.

ووكالة الأنباء الفرنسية .

ووكالة تاس (السوفيتية) .

ووكالة الأسوشيتدبرس (الأمريكية) .

ووكالة اليونيتدبرس أنترناشيونال (الأمريكية) .

٢ - وكالات أنباء محلية أو وكالات وطنية خاصة بكل دولة .

ب - حسب نوع النشاط الذي تمارسه وكالة الأنباء :

١ - وكالات أخبار كالوكالات السابقة الذكر والوكالات الوطنية .

٢ - وكالات مصورة تجمع الصور وتبيعها كما تفعل وكالات الأخبار

بالأخبار وتنقلها من مكان إلى مكان . فقد أصبحت الصور وسيلة للتعبير عن الأفكار والآراء كما تعبر الأخبار عنها وغالباً ما تحمل الصور رأي الوكالة والسياسة التي تمثلها .

«وقد نقلت أول صورة بالتليفون سنة ١٩٣٠ م ثم نجح الخبراء في نقلها بالراديو وبدأ إرسال الصور بالأقمار الصناعية سنة ١٩٦٢ م»^(١) .

ج - حسب مقياس العقائد تصنف الوكالات كالآتي :

أ - وكالات أنباء إسلامية وهي مستويات مختلفة في التزامها بالإسلام :

- بعضها قام على أساس إسلامي سليم مثل وكالة الأنباء الإسلامية .

- بعضها يوجد في بلاد إسلامية ولكن التزام حكوماتها بالإسلام ليس التزاماً كاملاً «كوكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية» .

- وبعضها ليس لها من الإسلام إلا كونها توجد في بلد إسلامي . وذلك لسيطرة قوى الضلال على مجريات الأمور في هذه البلاد الإسلامية .

ب - وكالات أنباء مسيحية الانتماء، صليبية المنطلق، رغم ادعائها

(١) د. إجلال خليفة: الصحافة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، سنة ١٩٧٦ م) ص ١٣١ .

الموضوعية والحياد والدقة فإنها تنطلق من عداء مبدئي للإسلام، ومثال هذه الوكالات (وكالتي رويترز البريطانية ووكالة الأنباء الفرنسية) والقارىء المتفحص للرسائل الإخبارية الصادرة من هاتين الوكالتين لا يعوزه ذكاء عال ليستنتج هذه الحقيقة... وهذا وضع ناشئ من رضا المسلمين بأن يكونوا عالة على غيرهم في التعامل بالأخبار مع أنهم أمة الخبر الحق.

ج- وكالات أنباء علمانية لادينية صريحة، وهذا حال كثير من الوكالات في البلاد العربية.

د- وكالات أنباء شيوعية الحادية الاتجاه والمنبع، وثنية المنطلق، مادية الفكر، مكرسة لنشر وتأصيل الكفر والضلال والإضلال في داخل بلادها وخارجها، ووكالات الأنباء في البلاد الشيوعية جميعها هي من هذا الصنف، ونموذجها (وكالة أنباء تاس السوفيتية ووكالة صينهاو الصينية). فقد قال أحد زعماء الصين الشيوعيين وهو (لوتنج بي) مدير إدارة الدعاية في الحزب الشيوعي سنة ١٩٥٧ م بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاماً على إنشاء وكالة (صينهاو) التابعة للصين الشيوعية يقول هذا الزعيم:

«إن لوكالة أنباء الصين الجديدة من الأهمية مثلما للحزب والحكومة والجيش ودور القضاء وهي السلاح الماضي في حرب الطبقات»^(١).

ويقول الدكتور إبراهيم إمام في مقدمة كتابه «وكالات الأنباء»:

إن الوكالات التي تعمل لحساب الدول الكبرى (تمارس احتكاراً وضغطاً شديدين على الصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية وكذلك على وكالات الأنباء المحلية ومن ثم على الرأي العام العالمي)^(٢).

سادساً - نبذة عن وكالات الأنباء الكبرى:

١ - من أجل استكمال الصورة الموضوعية لمصادر الأنباء الحديثة، نلقي

(١) فيل أولت، وراء الأخبار ليلاً ونهاراً، المقدمة بقلم أحمد قاسم جودة، ص (ع).

(٢) دكتور إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص ٤.

مزيداً من الضوء على الوكالات الدولية الكبرى التي تحتكر التغطية الإعلامية «لـ ٩٩٪ من سكان العالم»^(١) . . . والهدف من إيراد مزيد من الحقائق عن هذه الوكالات، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على أصولها الفكرية ومنطلقاتها العقدية، ومناهجها في التعامل مع الخبر ليس الهدف منه الترف الفكري أو الزهو الثقافي . . . بقدر ما هو معرفة لما هو قائم في الواقع الإعلامي لبلاد الإسلام إن لم تنفض عنها غبار السنين، وتستدرك سنوات طويلة ضاعت من عمرها مهمة لهذا الأصل الهام من أصول التوجيه الفكري . . . فلا بد أن يواجه المسلمون احتكار الأنباء والتلوين الإخباري والتفسير المغرض للخبر وتوظيفه لنشر الضلال، ولتفتير همم المسلمين، وإشعارهم باليأس . . . نقول لا بد من مواجهة ذلك كله بمنهج واضح مرتكز إلى أصول الحياة الإسلامية الصحيحة، التي تستمد مقوماتها من الكتاب والسنة وتراث السلف الصالح . . . وتوظيف كامل نشاط للأموال التي يلقي بها هنا وهناك في إنشاء مؤسسات إعلامية نطمح أن تكون في مستوى المؤسسات الاحتكارية الضالة إن لم تتفوق عليها . . . والأمة الإسلامية تملك الإمكانيات الفكرية والعزيمة والإمكانيات المادية والفنيين ولا يعوزها إلا جهود تنظيمية مخلصية . . . ولنا أمل في الله ثم في المخلصين من أبناء الإسلام ليدخلوا هذا الميدان العظيم من ميادين الخير والإصلاح.

٢ - أن الوكالات الكبرى في العالم خمسة وهي :

- أ - وكالة الأسوشيتدبرس (الأمريكية) .
- ب - وكالة اليونيتدبرس أنترناشيونال (الأمريكية) أيضاً .
- ج - وكالة الأنباء الفرنسية (فرنسا) .
- د - وكالة أنباء رويترز (البريطانية) .
- هـ - وكالة أنباء تاس (السوفيتية) .

(١) شفيق محمود عبد اللطيف، وكالات الأنباء رؤية جديدة، مرجع سابق، ص ١٦ .

«وعلى الرغم من أنه يوجد في الوقت الحاضر أكثر من (١٥٥) وكالة أنباء وطنية في أكثر من (٨٠) دولة وعلى الرغم من أن هذه الوكالات تعقد اتفاقيات ثنائية أو إقليمية لتدعيم كيائها، وتقوية إمكانات تغطيتها للأنباء المحلية والعالمية، إلا أن الوكالات الخمس الكبرى الشهيرة دولياً ما زالت تحتكر سوق الأنباء ومؤثرة فيه إلى حد كبير»^(١).

ونبدأ الآن باستعراض بعض الحقائق عن حفيذة أقدم الوكالات وهي وكالة الأنباء الفرنسية:

A. F. P. وكالة الأنباء الفرنسية (Agence France Presse)

١ - هذه الوكالة مؤسسة عامة مستقلة تعمل على أسس تجارية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي ويعين لها مدير عام بموجب مرسوم حكومي .

٢ - تم إنشائها سنة ١٩٤٤ م وآلت إليها ملكية وكالة هافاس القديمة التي ظلت محتكرة للنشاط الإخباري منذ أن حول هافاس مكتبه الإخباري في باريس إلى وكالة أنباء هافاس في سنة ١٨٣٥ م . . . فعندما اجتاحت الجيوش النازية فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م)، استولت على مقر الوكالة الرئيسي في باريس وجعلته فرعاً لوكالة الأنباء النازية، واشترت حكومة فيشي ممتلكات الوكالة ومعداتنا وحولتها إلى مكتب للدعاية باسم المكتب الوطني للأنباء . . . وأنشأ ديجول في المنفى وكالة فرنسا المستقلة في لندن سنة ١٩٤٠ م . . . وكان على صعيد العمل الإخباري الفرنسي (وكالة الأنباء والوثائق) في أرض فرنسا نفسها .

فاندمجت هذه التنظيمات كلها بعد الحرب وأصبحت باسم: «وكالة الأنباء الفرنسية» واتخذت مقراً لها في المبنى الذي كانت تشغله وكالة هافاس

(١) الدكتور أحمد بدر: الإعلام الدولي، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٦ م) ص ٢٢٠ .

وأصبح معظم محرريها وموظفيها من وكالة هافاس السابقين^(١).

٣ - حقائق عن وكالة الأنباء الفرنسية^(٢):

لهذه الوكالة الأجهزة الآتية:

- ١٦٥ مكتباً خارجياً.

- ١٨ مكتب في الأقاليم الفرنسية.

- ٥٠٠ مراسلاً أجنبياً.

- ١٨٠٠ موظفاً.

- ٧٩ مراسلاً أجنبياً في مدن ليس فيها لها مكاتب.

- تستفيد (٣٩) وكالة خارجية من خدمات هذه الوكالة.

- توزع الأخبار على (١٠٤) دول.

- تمتلك ٢٥٠٠٠ كم من الأسلاك التليفونية المتصلة بالعواصم متصلة

بأجهزة التيكروز.

- تمتلك أيضاً ١٢٠٠٠ كم من الكابلات التلغرافية.

- تذيع يومياً أكثر من (٥٠٠٠٠٠) كلمة يرسل ثلثها بالتيكروز والثلثين

باللاسلكي.

- تتبادل الأخبار مع الوكالات الكبرى الأخرى.

- تمتلك الوكالة جهازاً أتماتيكياً إلكترونياً يتكون من (٣٨) خطاً وله أكثر

من (٣٠٠) اتجاه في جميع أنحاء العالم.

وكالة أنباء رويترز

«وكالة الأنباء البريطانية»

١ - أسسها اليهودي الألماني بول جوليوس رويترز الذي كان اسمه

(١) فيل أولت، وراء الأخبار ليلاً ونهاراً، مرجع سابق من المقدمة: بقلم أحمد قاسم

جودة.

(٢) أحمد بدر، الإعلام الدولي، ص ٢٢٠ - ٢٣٢. أيضاً إبراهيم إمام، وكالات الأنباء،

من ص ٦٦ - ٦٩ - ٧١.

إسرائيل بير وغير اسمه إلى بول جوليوس رويتر بعد أن أصبح مسيحياً سنة ١٨٤٤ م . . . وقد عمل رويترز مع هافاس في مكتبه ولما «أخذ عنه أسرار مهنة الأخبار وأتقن فنونها وأدرك قيمة المعلومات في ميادين السياسة والصحافة والتجارة والمال»، حاول أن يفتح له مكتباً خاصاً للأخبار، ولكنه لم يقو على منافسة هافاس فرحل إلى اكس لاشابل، ثم حط رحاله في لندن سنة ١٨٥١ م وافتتح مكتباً للأخبار مقتضياً آثار هافاس، ولكن الصحف البريطانية لم تقتنع بالفكرة حتى سنة ١٨٥٨ م، حيث غيرت مواقفها نتيجة لظهور الأحزاب البريطانية، وتحول الصحافة لتكون منابر لها. ثم تحولت من حالتها هذه إلى الاهتمام بالخبر نتيجة لظهور وكالات الأنباء وتعدد مصادره.

٢ - استغل رويترز اختراع مورس للتلغراف سنة ١٨٣٧ م في نقل أخبار الحروب والأحداث العظمى التي وقعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كالحرب الفرنسية النمساوية، والحروب الأهلية الأمريكية، وجعل شعاره المساواة بين الصحف المتعاقدة معه فاكسب سمعة طيبة.

٣ - أصبحت وكالة رويترز شركة سنة ١٨٦٥ م رأسمالها ٣٥٠٠٠٠ جنيه واستفادت من الاختراعات والتقدم (التكنولوجي) مما جعلها تحقق كثيراً من مظاهر سبق الصحفي فزادت شهرتها.

٤ - احتدم التنافس بين الوكالات الثلاث رويترز و وولف وهافاس وانتهى الأمر بتقسيم العالم فيما بينها «إلا أن الوكالة كانت تتهددها الكوارث المالية، فوجدت الحكومة البريطانية فيها سلاحاً ملائماً تستخدمه في أسلوب سياستها الاستعمارية فأمدتها بالمعونات وتيسير أسلوب عملها، لكنها أحست بوطأة القيود التي تكبلها وتقيدها أمام نشاط وكالتي هافاس و وولف فسارعت بنزع تلك القيود الحكومية، ومدت يدها للاتفاق مع الوكالتين في مجال التعاون في إطار الخدمة الإعلامية»^(١).

(١) شفيق محمود عبد اللطيف، وكالات الأنباء رؤية جديدة، ص ٢٤.

٥ - امتد نفوذ رويترز الإخباري الاحتكاري مع امتداد نفوذ الامبراطورية البريطانية الاستعماري وبسطت نفوذها على المستعمرات، واحتكرت التغطية الإخبارية لجميع الأقاليم الواقعة تحت السيطرة البريطانية، وأصبحت أداة استعمارية تستخدمها الحكومة البريطانية لتحقيق سياستها، وبدأ ذلك في الاحتلال البريطاني لمصر والسودان والانتداب البريطاني على فلسطين وفي سيطرتها على جنوب إفريقيا وإيران والهند ومعظم بلدان الشرق الأقصى في المجالات الإعلامية.

وظهر هذا الاتجاه واضحاً قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، عندما كان دور الإعلام في الصراع بين دول الحلفاء ودول المحور في حرب إذاعية شديدة.

٦ - بعد الحرب العالمية الثانية اصطدمت الوكالة بمنافسة خطيرة من الوكالات الأميركية والوكالة الفرنسية، وفي نهاية الأمر نظمت نفسها بطريقة تجعلها بعيدة عن إشراف الحكومة البريطانية، فأصبحت اتحاداً يمثل صحافة العاصمة والأقاليم ويديرها مجلس يشترك فيه أعضاء من دول الكومنولث.

٧ - يعمل بالوكالة حوالي (٢٠٠٠) موظف نصفهم خارج إنجلترا، لأنها تستعين بمراسلين من أهل البلاد: لأنهم أكثر دراية بمصادر أخبار أوطانهم، ولتوفر النفقات إذ تدفع لهم الوكالة مرتبات محدودة أقل بكثير مما تدفعه للإنجليز.

ولها مكاتب في (٦٠) دولة، وتوزع أخبارها في (١١٠) دول، ولها اتفاقات مع ٢٢ وكالة في أوروبا و ١٤ وكالة في آسيا ومع ٥ في إفريقيا و ٢ في أمريكا الشمالية.

وكالة الأسوشيتدبرس^(١)

١ - الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية استثمار اقتصادي، ووسيلة

(١) هذا الاسم تعريب لكلمتين (انجليزيتين) ترجمتهما الصحافة المتحدة.

لتحقيق الربح، . . . والأخبار بضائع قابلة للبيع والشراء . . . والقوانين التي تحكم العمل الإعلامي هي نفسها القوانين التي تحكم العمل الاقتصادي . . . من حيث السعي وراء الربح والمنافسة والنظرة المادية للخبر، والتحسين الدائم في أساليب الإنتاج التي تؤدي إلى إنتاج أكثر لتقليل سعر الوحدة الإنتاجية . . . ومن هذه المفاهيم وبتأثير تلك القوانين ظهرت وكالات الأنباء على هيئة (اتحادات صحف) أقدمها اتحاد أخبار الميناء في نيويورك سنة ١٨٤٨ م ثم تحول سنة ١٨٥٦ م إلى (نيويورك أسوشيتدبرس).

٢ - مارست هذه الوكالة احتكراً شديداً الوطأة على الصحف التي تشترك فيها ومنعت بتعنت تزويد أية صحيفة خارجها بأخبارها مما قاد الصحف الأخرى إلى إنشاء اتحادات مماثلة لاتحاد نيويورك. كان أقواها اتحاد الأسوشيتدبرس بالينوى بالولايات الوسطى الشمالية سنة ١٨٩٢ م وظل التنافس بين هذه الوكالة ووكالة أسوشيتدبرس نيويورك قوياً حتى تميزت وتفوقت وكالة أسوشيتدبرس الينوى. وبدأ نفوذها يقوى حتى حطمت احتكارات اتحاد نيويورك وكل الوكالات الأخرى سواء في الجنوب الأمريكي أو الغرب وبدأت وكالة الينوى تنافس الوكالات الأوروبية هافاس ورويتز وولف بعد أن أصبحت فارس الميدان بتجميعها لكل الوكالات المحلية بالإضافة إلى الوكالة الأولى التي تأسست في نيويورك سنة ١٨٤٨ م.

٣ - ثم انتقلت الوكالة سنة ١٨٩٥ م إلى نيويورك باسم أسوشيتدبرس بعد أن صفت أعمالها في ولاية الينوى وسقوط القضايا المرفوعة عليها من الصحف نتيجة لتصفية نفسها^(١).

٤ - مضت هذه الوكالة في سياسة الاحتكار القديمة، ودخلت في صراع مرير مع الوكالات الأوروبية الكبرى، لكسر احتكار الأخبار في البلاد التي تقع تحت نفوذها، حتى انتهى الأمر إلى توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٣ م، انتهت بانتزاع حق توزيع الأخبار في الولايات المتحدة من يد وكالة رويترز. ثم شمل الامتياز

(١) د. إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، ص ١٧٣.

كندا واليابان وأخيراً اقتحمت ميدان الأخبار في جميع أنحاء العالم وأصبحت كبرى الوكالات الدولية .

٥ - حقائق عن الوكالة^(١) :

عدد المشتركين ٧٥٨٢ مابين صحيفة ومحطة إذاعة مسموعة ومرئية .

لها ٨٥٠٠ وسيلة اتصال في أكبر من ٨٠ بلداً .

الموظفون ٣٣٠٠ موظفاً .

المكاتب الخارجية ٥٧ مكتب في الخارج .

تنتج أكثر من مليون كلمة في اليوم .

لها ١١٠ مكتباً في الولايات المتحدة .

أنشأت مكتباً للبحوث الإلكترونية لتحسين خدماتها الإخبارية .

يشارك فيها ٤٥٪ من صحف الولايات المتحدة، ويشارك فيها وفي

اليونيتدبرس معاً ٢٥٪ من هذه الصحف .

٦ - وهذه الوكالة جمعية تعاونية لا يملكها أحد وإنما تعمل لخدمة

الجميع كما تزعم أنها لا تتقاضى إعانات من أية جهة .

وكالة اليونيتدبرس أنترناشيونال^(٢)

١ - أنشئت هذه الوكالة في البداية باندماج ثلاث وكالات تخدم سلسلة

(١) انظر :

- د . إبراهيم إمام ، وكالات الأنباء .

- د . أحمد بدر ، الإعلام الدولي .

- شفيق محمود عبد اللطيف ، وكالات الأنباء رؤية جديدة .

- فيل أولت ، وراء الأخبار ليلاً ونهاراً .

(٢) اسم هذه الوكالة تعريب لكلمتين انجليزييتين معناهما : الصحافة المتحدة الدولية ، لأن

هذه الوكالة تكونت من اندماج وكالة الصحافة المتحدة القديمة ، والوكالة التي كانت

تعرف باسم الوكالة : الدولية .

صحف «سكريبس - ماكري» وذلك سنة ١٩٠٧ م ، لانتهاج سياسة جديدة في مجال الأخبار تعتمد على محاربة الاحتكار، وفتح الباب أمام جميع المشتركين وكان اسمها في البداية (اليونيتدبرس) وخاضت حرباً مريرة مع الوكالات الأربع الكبرى السابقة عليها والتي كانت قد قسمت امتيازات الأخبار فيما بينها وهي : هافاس ورويترز وولف وأسوشيتدبرس .

٢ - وبلغت أوج نجاحها ونفوذها بانفتاحها على الإذاعات منذ سنة ١٩٣٥ م فجنت أرباحاً طائلة، وقد اكانت أسوشيتدبرس تغلق الباب أمام الوكالات وقد عملت على تطوير الخدمات الإذاعية إلى درجة كبيرة .

٣ - وهذه الوكالة ليست اتحاداً تعاونياً ولكنها شركة تجارية ذات شخصية معنوية وقانونية، وتطبق الأسلوب اللامركزي في الإدارة والعمل الصحفي، وتعطي مديري الفروع والمكاتب حرية كبيرة في التغطية الإخبارية والتعامل مع المواد الإعلامية .

٤ - وقد اندمجت هذه الوكالة مع وكالة أنترناشيونال نيوز سرفيس سنة ١٩٥٨ م والتي أنشأتها سلسلة صحف هيرست سنة ١٩٠٩ م ، وأصبحتا معاً وكالة واحدة تعرف باسم (اليونيتدبرس أنترناشيونال) .

٥ - حقائق عن الوكالة :

لها ١٥١ مكتب في أمريكا .

لها ١١٠ مكتب في الخارج .

يعمل بها ١٠ آلاف موظف .

تظهر نشراتها في ٤٨ لغة في ١١١ دولة ومنطقة .

ويشترك فيها ٦٥٤٦ مشتركاً .

يوجد بها أكثر من ٦٠٠٠ آلة طباعة على البعد^(١) .

(١) أحمد بدر، الإعلام الدولي، ص ٢٢٩ .

وكالة تاس

١ - أنشئت سنة ١٩٢٥ م على أنقاض وكالة روستا، وكانت تحمل اسم مكتب الإعلام السوفيتي وهي وكالة رسمية تابعة للحكومة عن طريق مجلس الوزراء، وتعتبر جميع بياناتها بيانات حكومية.

٢ - والحقيقة أن الإعلام السوفيتي يسير وفق سياسة واضحة لا تخفيها الدولة وهي أن الكرملين وحده هو المفسر الأول والأخير للسياسة، وليس من حق الصحف مطلقاً أن توجه السياسة أية وجهة، أو تبدي رأيها في أي خط معين من خطوطها، وأن عليها أن تقوم بواجب الدعاية والتفسير والإقناع، وهنا يبرز دور وكالة الأنباء في إشاعة توجيه معين على كافة الصحف^(١).

٣ - لوكالة تاس مهمتان هما:

أ - جمع الأخبار من داخل الاتحاد السوفيتي عن طريق قسمها الداخلي سيوزي تاس.

ب - جمع الأخبار عن خارج الاتحاد السوفيتي عن طريق القسم الخارجي أنيو تاس ثم توزيع هذه الأخبار بنوعيتها على الصحف والمجلات.

٤ - لهذه الوكالة نشاط واسع في معظم أنحاء العالم، ولها اتفاقيات مع كثير من الوكالات لتوزيع الأخبار، وتركز نشاطها على بعض المناطق ذات القيمة الاستراتيجية تبعاً للسياسة العليا للدولة كمنطقة الشرق الأوسط وتتبع في نشاطها نظام المناطق الجغرافية.

٥ - هناك وكالة أخرى للمعلومات تسمى وكالة نوفوستي أنشئت في ١٩٦١ م، تمثل الجانب الشعبي داخل الاتحاد السوفيتي بغرض الدعاية والإعلام الثقافي في جميع ميادين الحياة السوفيتية.

(١) اسم هذه الوكالة مكون من الحروف الأولى لأربع كلمات روسية. ترجمتها: وكالة أنباء

الاتحاد السوفيتي: (إبراهيم إمام نفس المرجع، ص ٢٠٧).

(٢) نفس المرجع، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

٦ - ولا يخفي الروس أن وكالتي تاس ونوفوستي من أدوات السياسة الخارجية السوفيتية في المجال الخارجي كما أنها تعكس هذه المؤسسات السوفيتية بجانب قوتها الذاتية .

فهذه وظيفة المؤسسات الإعلامية في الدول الشيوعية ومن وسائلهما في ذلك :

أ - التركيز على أوليات السياسة الخارجية .

ب - توردان الأخبار والتعليقات بأسلوب يختلف عن الوكالات الأخرى .

ج - تركز وكالة تاس على الإطار المظهري في تفسير المواقف .

د - صب المواد الإعلامية في قالب «أيديولوجي يتفق مع الفكر الشيوعي» والترويج لذلك بالإقناع وغسيل الدماغ والتلقين المذهبي .

هـ - لا تعرف الوكالة سبق الإخباري مثل وسائل الإعلام الغربية ، فقد تحدث أحداث جسيمة ولكن تقدير السلطات المعنية لها قد يؤدي إلى عدم نقلها ، ولذلك فإن إمام المواطن السوفيتي يعد إماماً من نوع خاص ولا يعرف الكثير من شؤون العالم وقد يذاع الخبر بعد عدة أيام^(١) .

(١) د. محمد علي العويني : الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ م) ، ص ٩٦ .

القسم الثاني وكالات الأنباء في الميزان

- تمهيد .
 - آراء غربية .
 - آراء محايدة .
 - رأي الإسلام في عمل وكالات الأنباء .
- (محاكمة وكالات الأنباء إلى المعيار الإسلامي)

تمهيد

سوف نحاكم وكالات الأنباء إلى معيارين :

المعيار الأول: هو المعيار الذي تدعيه هي لنفسها، وهو معيار التحرر من سيطرة الدولة، والموضوعية والدقة، والحياد، والحرية المطلقة والتحرر.

المعيار الثاني: هو المعيار الإسلامي الذي يضبط حركة الفرد والسلطة في متابعة الخبر وإذاعته، وهو معيار محكوم بكتاب الله، في الآيات التي تكون منهجاً كاملاً، وفي الأحاديث التي تمثل هدياً ثابتاً في مجال الخبر.

وقبل محاكمة الوكالات إلى المعيار الأول، نناقش بعض عناصره. وأول هذه العناصر الموضوعية.

فالموضوعية التي تقصدها الوكالات، هي في الأصل مسألة منطقية، ومعناها: (وصف لما هو موضوعي، وهي بوجه خاص، مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص، والشيء الموضوعي: هو ما تتساوى علاقته بجميع المشاهدين برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائلها، بعيدة عن التأثير بآرائهم وميولهم ومصالحهم فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة)^(١).

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ط ١، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ص ١٩٧.

وهذا المعيار يخرج بالضرورة الوكالات الشيوعية، لأنها وكالات تابعة ورسمية، وذات حرية محدودة، ومسخرة في خدمة الفكر الشيوعي، ونشر الإلحاد، وتفسير الخبر في ضوء مبادئ الماركسية اللينينية.

ويخرج كذلك وكالات الأنباء الوطنية، التي تشرف عليها الدول، وتعتبرها إحدى مؤسساتها الرسمية، فهي مقيدة في التزام خطة معينة، وتتعامل مع الأخبار في حدود سياسة مرسومة لتحقيق أغراض تختلف من بلد إلى آخر.

ولكن إخراج الوكالات الشيوعية بهذا الحد المنطقي من الخضوع للمقياس الذي سنحاكم إليه الوكالات - وهو مقياس الموضوعية والتجرد والنزاهة والاستقلال في التعامل بالخير - ليس معناه أنها فوق النقد، أو أنها بريئة نزيهة في منطلقها الفكري أو ممارستها العملية في هذا الميدان . . . ذلك لأن النظرية الشيوعية والقائلين بها والأنظمة التي تبناها في البلاد التي ابتليت بها - من أكثر النظريات الوضعية ادعاء للموضوعية والحرية بالمعنى الذي تفسر به الحرية والموضوعية، أي المعنى المادي المتجرد من القيم والمعنويات، وليس أدل على ما نقول ذلك التبسيط الساذج للتاريخ البشري، والمقولات المغلوطة التي تقدمها (الفلسفة) المادية لتفسير الفكر والحياة والمصير، ويقدمها أصحابها لتفسير التناقض الموجود في هذه النظريات، سواء كان ذلك في البناء الفكري أو الخطة الدعائية.

إن الشيوعية ذات طبيعة مزدوجة: فهي تفكير (فلسفي) وبرنامج دعاية وأعلام، وجهاز الدعاية الشيوعي لنشر الماركسية يزداد تأثيره في الأفراد الذين تخدمهم بشعاراتها البراقة الزائفة، أو الذين لم يتحصنوا ضدها بعقيدة صحيحة قوية فهي تزدهر حيث تنفرد بتأثيرها في النفوس الخاوية: من الإيمان بالله، وبدين الله وبعقيدة صلبة راسخة.

وتنتمي الوكالات الشيوعية إلى الجانبين معاً: الجانب الفلسفي والجانب الدعائي، فهي أساليب وأجهزة إعلامية تنفذ خطأً فكرياً صارماً، لذلك فإن الشيوعيين لا يخفون، الأهمية القصوى للأجهزة الإعلامية - وعلى رأسها

وكالات الأنباء - فمذ قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ م اعتبرت وسائل الإعلام في النظام الشيوعي أداة جماعية للفكر الشيوعي الإلحادي . فهي أداة لنقل الكلمة أو الصورة أو الخبر، كما يراه (الكرومليين) ويفسره . ووسائل الإعلام كذلك هي أداة للتحويل الاشتراكي وللرقابة أي أنها في نظر السوفييت : أهدافاً إيجابية حادة^(١) .

ويعزي للاتحاد السوفيتي مسؤولية إدخال الدعاية في السلوك المنتظم للعلاقات الدولية، وسبب ذلك : المنطلق (الأيدلوجي) للشيوعية في نظر أصحابها باعتبارها رسالة في بداية حركتهم على الأقل .

وتضمن هذا المنطلق في بدايته العناصر الآتية :

١ - التضامن الدولي للعمال في جميع أنحاء العالم والدعوة الصريحة إلى الثورة .

٢ - تنظيم الحملات الدعائية على ثلاث جهات : داخل الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة ، والدول النامية لنشر النظرية الشيوعية والترويج لها .

٣ - أن التعايش السلمي يعني زيادة حدة الصراع الذي تقوم به الطبقة العاملة لانتصار الأفكار الشيوعية أكثر مما يعني : العلاقة والمهادنة مع المذاهب الأخرى^(٢) .

- ولكن لا يمكن فهم حقيقة الدور الذي تقوم به الوكالات الشيوعية للأنباء ما لم نتعرف على الأصول الفكرية التي تقوم عليها النظرية الشيوعية . وبيان فسادها وتهافتها دينياً وعقلياً ، لأن الوكالات جهاز مروج للفكر الشيوعي عن طريق الصورة والخبر والمقال وكل الأساليب الإعلامية المعروفة والمؤثرة .

(١) د. أحمد بدر، الإعلام الدولي، مرجع سابق، ص ٣١٧ .

(٢) د. أحمد بدر، الاتصال بالجمهير والدعاية الدولية، ط ١، (الكويت : دار القلم،

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) .

الأسس الفكرية للنظرية الشيوعية^(١)

١ - الأساس المادي للفكر: إن النقطة المركزية في الفكر الشيوعي تبدأ من اعتبار المادة سابقة على العقل في الوجود، ولهذا فإن العالم المادي هو الذي يُكوّن العقل، وأصبح الجانب المادي والاقتصادي في الحياة صاحب الأثر الأول في تكوين العقل وقواه وتشكيل نشاطه، ولا مكان للفكر الذي يأتي عن طريق الوحي وهذا هو الهدف الرئيسي لهذه المقولة: إنكار الدين السماوي، وكل ما يمثله من: علوم وتعاليم وإنكار قدرة العقل على التخلص من قيود المادة، وبذلك يتحول الناس إلى قطيع لا يهتمهم ولا يشغلهم إلا شهوة البطن والفرج، يبدأون الحياة ويساقون طوال حياتهم، ثم ينتهون دون أن يكون لأحد منهم الحق أو القدرة على السؤال: من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟.

وجعلت القيم والجماعة من بين الأشياء:

- ونتيجة لتطبيق هذا المبدأ في دائرة القيم، أصبحت القيم تتغير، أصبح الاعتقاد بثباتها وهماً.

- ونتيجة لتطبيقه في دائرة الجماعة: أصبحت الجماعة غير مستقرة، وينتظر فيها التحول حتماً ثم الانقلاب من وقت لآخر.

وإذ تدعو الماركسية إلى تغيير القيم: تكافح ضد المثالية والتقاليد والمعاني الأخلاقية في نفوس الأفراد والجماعة.

- إذ تدعو إلى تغيير الجماعة وتحولها إلى جماعة ذات طبقة واحدة فهي تكافح أصحاب العمل الذهني وأصحاب رؤوس الأموال أو أصحاب المزارع الواسعة وأصحاب السلطة والنفوذ: المالي والوراثي والعلمي.

- ولأن الشيء الطبيعي يتغير إلى مقابلة: والقيمة الخلقية إلى نقيضها والجماعة إلى ضد نظامها: أصبح الحال الجديد هو المنتظر، وهو الأفضل،

(١) الدكتور محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، الصفحات من ٣١٨ - ٣٢١.

فالحال الجديد للشيء وللقيمة وللجماعة أفضل من الحال السابقة ولو تحول إلى إباحية جنسية أو فوضى في الملكية، أو فقر مدقع، أو ضياع فكر، أو استبداد طبقة من الناس في طبقة أخرى تحت اسم (دكتاتورية البروليتاريا)^(١).

٣ - مبدأ التعويض في الدين : أصبحت الدولة في النظام الشيوعي إله الإنسان المعبود، وجعلت العلم المادي الوضعي مصدر التوجيه في حياة الإنسان الشيوعي بدلاً من وحي السماء أو العقل كمصدر للمعرفة. ولأن الدولة هي معبود الإنسان فإن الجزء لا يكون في الآخرة، والقريب لا تكون بتقرب العبد إلى الله، بل تكون في إنكار الفردية وفي العمل من أجل الدولة.

٤ - مبدأ العقل المجرد: تستخدم الشيوعية هذا المبدأ على نحو نفسي وفسولوجي، وليس على أساس فكري، وذلك لتشرح نمو الإنسان وتطوره واتجاهاته. وترتب على ذلك وجوب العناية بكل ما هو شعبي من لغات عامية وفن وعادات، وأن تقدم دراسة هذه الجوانب على دراسة القضايا الفكرية الكبرى ذات الأثر الهام في حياة الإنسان ومصيره: كالموت والحياة والجنة والنار والحساب والجزاء والبعث والنشور والقضاء والقدر وغير ذلك من العقائد التي جاء بها الدين.

تلك هي الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوى الشيوعية وهي مبادئ ظاهرة البطلان، وتنطلق جميع مظاهر الحياة في الأنظمة الشيوعية من هذه المبادئ، ولا شك أن الإعلام الشيوعي يستلهم هذه المبادئ، ويعمل بلا كلل أو ملل على مدار اليوم على ترسيخ هذه الأفكار، ووكالات الأنباء هي من أكثر أجهزة الإعلام التزاماً بالنهج الفكري، والمنطلقات العقائدية، وتستخدم جميع الفنون الصحفية والإعلامية في الترويج لهذه المبادئ.

وإذا كانت الوكالات الغربية مشروعات اقتصادية فردية أو اتحادات صحفية تبني المبادرات الفردية، والمنافسة في العمل الإعلامي في ميدان الأخبار... فإن الوكالات الشيوعية مؤسسات حكومية ملتزمة لا يمكنها

(١) أي الحكم التسلطي لطبقة العمال.

الخروج عن الخط الذي ترسمه لها الدولة ولا يسعها إلا الالتزام المطلق بالنهج العام للدولة . .

وفي موضع آخر من هذا الفصل مزيد من التفاصيل عن طبيعة الوكالات الشيوعية وأنظمتها .

وتبقى الوكالات الغربية الأوروبية والأمريكية العريقة في التعامل مع الخبر والتي رفعت الشعار السابق الذكر وكانت هي أول من خرج عن هذا الشعار وحطمه . . .

ولكن على أي حال يجب أن نسلم بأن وكالات الأنباء قدمت وتقدم خدمات فريدة من نوعها للإنسانية في السلم والحرب، ورغم تلوين الأخبار وإخضاع تفسيرها لسياسات الدول، ورغم محاولات التضليل الفكري وأساليب الحرب النفسية، وفنون الدعاية، فإن هذه الوكالات أصبحت مؤسسات راسخة الأقدام في توفير الخدمات الإخبارية . . . وإنما ينشأ الانحراف في عمل الوكالات من وجود الضلال في الأصل الفكري الذي تنطلق منه، ومن انتشار هذا الضلال في الممارسات العملية التي اقتحمت الميدان الإعلامي نتيجة لأن السابقين في هذا الميدان كانوا ممن نفضوا أيديهم من الأديان، وجعلوها وراء ظهورهم، وانطلقوا وفق أنظمة وقوانين وإجراءات لا تدخل في حسابها فكرة الإيمان والحساب والجزاء، وغير ذلك من أصول العقائد على ضعفها وذبول تأثيرها في النفوس . . . وباختصار يرجع ذلك إلى تحكيم شرائع البشر ونبد شرائع الله . . .

وصحيح فإن الوكالات استطاعت أن تستوعب وتتمثل جميع ما توصل إليه العقل البشري من الاختراعات وفنون الصناعة في مجال الاتصالات، غير أن العنصر البشري الذي يتعامل مع هذه الفنون الصناعية عنصر خواء من الإيمان ولذلك يجيء المضمون الإعلامي مضموناً خاوياً باهتاً وتشتد الحاجة إلى دعوة الحق ومعايير الإسلام وقوة الإيمان لتقدم الخدمات الإعلامية بنبض جديد وحيوية غابت عن ساحة الإعلام حتى وقتنا الحاضر .

محاكمة وكالات الأنباء إلى المعيار الأول المعيار الذي تدعيه لنفسها

معيار: التحرر من سيطرة الدولة والحرية والموضوعية والدقة والتجرد والحياد.

عناصر هذا المعيار: نجد هذا المعيار في أمثال هذه العبارات في الكتب الإعلامية.

١ - جعل «شارل لوي هافاس» مؤسس وكالة هافاس شعاره بعد أن أسس وكالة سنة ١٨٣٥ م «الإعلام من أجل الإعلام».

وأن لا يقدم الخبر كشائعة أو اتجاه أو تلاعب بالأفكار وإنما يقدم كتقرير واقعي صحيح وسريع عن حادث معين أو واقعة محددة^(١).

٢ - وبعد قيام وكالة الأنباء الفرنسية على أنقاض هافاس جاء في مرسوم إنشائها ما يلي^(٢):

أولاً: لا يجوز للوكالة بأي حال من الأحوال أن تتأثر بأي نوع من أنواع النقود أو أي شكل من الاعتبار التي من شأنها أن تعرض صحة الأنباء للخطر أو موضوعيتها للضرر.

ثانياً: يجب على الوكالة أن تزود عملاءها سواء الفرنسيين منهم أو الأجانب بخدمة منتظمة ومستمرة من المعلومات والأخبار الصحيحة الصادقة والجديرة بالثقة.

ثالثاً: تلتزم الوكالة بأن تكون لها صفة عالمية من حيث الانتشار وقوة

(١) د. إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٦١.

المصادر وتعددتها. كما تؤمن بوجود شبكة من المؤسسات التي تستطيع أن تمنحها تلك الصفة^(١).

٣ - ويوضح رئيس تحرير وكالة رويتر مهام الوكالة بقوله: «ويتحدد شكل خدماتنا لأننا نضع نصب أعيننا صحفاً مثل:

التيتمز والمانشستر جارديان وجلاسجوهيرالد، وذلك لأن الصحف الرفيعة الجودة تهتم بوكالات الأنباء كما تهتم بها صحف الأقاليم فالوظيفة الأولى لوكالات الأنباء هي:

- إمداد الصحف بالأخبار الهامة والحقائق الموضوعية والمعلومات المجردة^(١).

٤ - ويقول ويس جالاجار (المدير العام للأسوشيتدبرس):

«إن الصحفي في الأسوشيتدبرس ليس مشاركاً في الخبر ولكنه مسجل له»^(٢).

٥ - إن الأساس الأول في عمل الوكالة هو الحيادة والموضوعية الكاملة فيما تقدم من أخبار وتفسيرات للأخبار والقول أن وكالات الأنباء تحرص على حيادتها ولذلك تحرص على توصية مراسليها ومندوبيها على تحري الأمانة، فمن تعليمات إحدى الوكالات إلى مراسليها:

إذا كان لديك آراء شخصية عن الموضوع الذي تكتب فيه فضع هذه الآراء جانباً، تجنب تمجيد الشخصيات التي يجيء ذكرها في الأخبار اكتف دائماً بالحقائق ولا تلجأ إلى المبالغة والتهويل إذا كانت الحقائق والوقائع تنقصك^(٣).

(١) نفس المرجع، ص ٨٦.

(٢) وليم ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ط ١، ترجمة إبراهيم إمام؛ (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٥ م)، ص ٢٣٠.

(٣) دكتور وليم الميري، الأخبار: مصادرها ونشرها، ص ٤٥ - ٤٦.

٦ - «وقد نص قانون رويتر الاتحادي الذي صدر في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤١ م على المبادئ التي تخضع لها الوكالة وهي :

أ - يجب ألا تنقل ملكية رويتر في يوم من الأيام إلى أيدي جماعة واحدة ذات مصالح معينة أولون سياسي معين .

ب - يجب ضمان استقلالها وحريتها المطلقة .

ج - يجب أن تعمل على نحو يتيح لها تقديم خدمة إخبارية دقيقة ومحايدة إلى صحف ووكالات الأنباء في بريطانيا والكونغولث البريطاني وفي البلاد الأجنبية على السواء .

د - يجب ألا تدخر وسعاً في سبيل توسيع نطاق عملها وتنمية نشاطها بحيث تحتفظ دائماً بمكانتها باعتبارها الوكالة العالمية الأولى^(١) .

٧ - وتعرف وكالات الأنباء في القوانين العامة بأنها : مؤسسات إعلامية الغرض منها تقديم الخدمة الإخبارية المجردة للصحف والإذاعات المرئية والمسموعة^(٢) .

ونورد الآن نماذج من كتابات من درسوا وكالات الأنباء وقيموا عملها وأصدروا عليها أحكاماً في ضوء الشعار الذي رفعته والمنهج الذي لا تزال تردده وتروج له .

وإنصافاً يجب أن نعترف بأن الوكالات تقدم خدمات جلية للصحافة ولوسائل الإعلام عامة «ولا يمكن أن تخلى الصحف نفسها من المسؤولية فيما يتعلق بعيوب وكالات الأنباء»^(٣) .

- ويجب أن يفرق بين نوعين من الأخبار التي تأتي عن طريقها :

(١) وليم الميري ، مصادرها ونشرها ، مرجع سابق ، ص ٤٦ و ٤٧ .

(٢) شفيق محمود عبد اللطيف ، وكالات الأنباء رؤية جديدة ، ص ٥٥ .

(٣) د . وليم الميري ، الأخبار مصادرها ونشرها ، ص ٥٣ .

النوع الأول: أخبار الحوادث والكوارث الطبيعية والاختراعات وأخبار الأمور المتعلقة بالطبيعة.

في هذا النوع من الأخبار تقل فرصة التلبس والتلوين الإخباري والخداع ونشر الضلال.

النوع الثاني: الأخبار ذات العلاقة بالفكر والعقائد وأمور الحياة الأخرى المتعلقة بمنهج الفكر والسلوك ففي هذه الأخبار تكمن مخاطر الخداع والتزوير ونشر العقائد الفاسدة.

وعموماً يعاب على وكالات الأنباء ما يأتي:

١ - تغلب على بعض هذه الوكالات نزعة التعصب لأوطانها وخاصة تلك التي تأخذ إعانات من حكوماتها.

٢ - بعض تفسيراتها للأخبار، مجهولة المصدر من كتاب غير متخصصين أو حتى مغرضين.

٣ - أدت المنافسة بين الوكالات إلى السرعة مما جعل من العسير التحقق من الأخبار.

٤ - أدى فيضان الأخبار إلى صعوبة اختيار الأخبار في وسائل الإعلام.

٥ - تقع الوكالات في أخطاء بسبب الترجمة وقد تخلط الأخبار بعضها ببعض.

٦ - لا تغطي الوكالات المناطق المختلفة بدرجة واحدة وإن فعلت فلاحدات ذات قيمة خاصة.

٧ - تعتمد على مراسلين وطنيين غير مؤهلين يعيهم خوفهم الدائم من حكوماتهم أو خضوعهم للنزعة الوطنية^(١).

(١) وليم الميري، الأخبار، مرجع سابق، ص ٤٨ - ٤٩.

٨ - تقتسم الوكالات العالم إلى مناطق نفوذ وتحتكر الأخبار كل في منطققتها وقد أدى ذلك: «إلى احتكار قلة قليلة في العالم لمصادر الأنباء العالمية من خلال هذه الوكالات وعن طريق الإذاعات الدولية الهامة والصحف والمجلات الدولية البارزة والتحكم في الأقمار الصناعية والعتاد اللازم للإعلام»^(١).

٩ - عدم التوازن في تغطية جوانب الحياة في البلاد الأجنبية: «فإن الصحافة الأمريكية لا تقدم صورة صادقة للشرق الأوسط... أجل إنها تستوفي أخبار الأحداث الهامة ولكنها تهمل ما وراء الأخبار ذات الأثر الكبير في العلاقات الدولية ثم إن الأخبار ليست متوازنة من حيث النوع فالاهتمام كبير بالأخبار السياسية وأما أخبار التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تكمن وراء الأحداث والتطورات السياسية مهمة كما أن الأخبار ذات الطابع الإنساني قليلة أيضاً وناقصة»^(٢).

١٠ - قدم أحد العاملين بجريدة نيويورك تايمز الأمريكية وهو الصحفي (لستر ماركيل) مثلاً يوضح فيه خرافة الموضوعية عن المخبرين الصحفيين فقال:

«إن المخبر الصحفي بل أشد المخبرين الصحفيين موضوعية يجمع خمسين واقعة، ويختار منها اثنتي عشرة واقعة... ليضمنها تقريره الإخباري (فهناك شيء اسمه تحديد المساحة) وهكذا فإنه يترك ٣٨ واقعة وهذا هو الحكم رقم (١). ثم يحدد المخبر أو المحرر، الوقائع التي سوف تكون الفقرة الأولى من التقرير الإخباري، وهكذا يؤكد واقعة على حساب إحدى عشرة واقعة أخرى وهذا هو الحكم رقم (٢).

(١) د. محمد علي العويني، - الأعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) معهد الصحافة الدولي بزيورخ، أخبار الشرق الأوسط في الصحافة العالمية، ط ١، (القاهرة: مطبعة الشرق العربي، ١٩٦٠ م)، ص ٩٦.

وبعد ذلك يقرر المحرر، إذا ما كان الخبر سوف ينشر في الصفحة الأولى أو في الصفحة الثانية عشرة. فإذا نشر في الصفحة الأولى فإنه سوف يجذب انتباهاً يزيد أضعافاً كثيرة عما تجذبه الصفحة الثانية عشرة. وهذا هو الحكم رقم (٣).

وهكذا فإن ما يسمى بالعرض الواقعي للأخبار يخضع لثلاثة أحكام تصدر كلها بطريقة بشرية للغاية وأبعد ما تكون عن القدسية^(١).

١١ - إن في خلط الوظيفة الإعلامية للوكالات بالإعلان فرصة لتقع هذه الوكالات تحت التأثير الخفي للمعلنين وتتهافت الشركات الاحتكارية الكبرى على وكالات الأنباء لتلوين أخبارها وفقاً لمصالحها^(١).

١٢ - أدى احتكار الوكالات للأخبار وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ لها إلى أن تفقد الصحافة حريتها وشجاعتها وشخصيتها وقوتها على النقد وقدرتها على أن تكون أداة للإصلاح والتوجيه فتصبح مجرد سوق لتوزيع الأخبار.

١٣ - لا تكتفي الوكالات بأن تكون أدوات سياسية في يد الدول التي تنتمي إليها بل إنها تتورط في سياسات هذه الدول الاستعمارية وتاريخ وكالة رويترز أيام الامبراطورية البريطانية زاحر بالأمثلة التي تثبت ذلك حتى أن بعض مراسليها عينوا حكاماً في الأقاليم التي كانت تستعمرها بريطانيا مثل «ريجنالد وينجت» مراسل الوكالة المرافق للحملة الإنجليزية لإخماد ثورة السودان عام ١٨٩٦ م فقد أنعم عليه بلقب سير وأصبح حاكماً عاماً للسودان فيما بعد^(٢).

ويقول كنت كوبر أحد مديري الأسوشيتدبرس السابقين:

«إن الوكالات الأوربية ما هي إلا أدوات في أيدي الحكومات وأنها لم

(١) وليم ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام في المجتمع الحديث، مرجع سابق، ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

(٢) د. إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص ٥٣.

تكن تتعامل في الأخبار إلا اسماً، ولكنها كانت تقوم بالدعاية فعلاً»^(١).

١٤ - أن تاريخ الوكالات مرتبط منذ نشأته بأسماء مشبوهة مثل اليهود الثلاثة المؤسسين لأكبر الوكالات الأم:

هافاس في فرنسا وريتز في بريطانيا وولف في ألمانيا، وقبل الوكالات المذكورة كانت تجارة الأخبار معظمها في يد اليهود... وحتى في السنوات الأخيرة اقتحم ميدان الإعلام وتجارة الأخبار مجموعة من العناصر المشبوهة التي هي أبعد ما تكون عن مجال القيم والمثل العليا ونورد نصاً من كلام أحد هؤلاء الدخلاء على المجالات الإعلامية هو ويليس سكريس مؤسس الوكالات والصحف الأمريكية يقول:

«لا أستطيع أن أدعي أنني دخلت الصحافة لأنني كنت صاحب دعوة لخدمة الإنسانية، فلم تخطر لي مثل هذه الفكرة في أيامي الأولى كصحفي أو أن علي واجباً نحو الناس، ولا أستطيع الآن تذكر متى واتتني لأول مرة فكرة العمل من أجل الآخرين أكثر مما أعمل من أجل نفسي»^(٢).

١٥ - وأخيراً لا نجد مغراً من الإقرار بأن الوكالات التي تعلن سياستها كالوكالات الشيوعية ووكالة ستيفاني الإيطالية والوكالة الألمانية زمن الحكم النازي لا تشكل خطراً كبيراً^(٣) لأنها معلومة المنبع والغرض ولكن يأتي الخطر الأكبر من الوكالات التي تدعي الموضوعية والحياد والأمانة والصدق والدقة والإتقان وهي أبعد ما تكون عن تلك القيم بل إنها تستغل تلك القيم لتحقيق أغراضها.

١٦ - يقول الدكتور إبراهيم إمام في كتابه بعنوان «وكالات الأنباء»:

(١) - دكتور إبراهيم إمام، وكالات الأنباء، ص ١٩٣.

(٢) - وذلك ليس راجعاً إلى قلة خطورتها، أو خطورة منطلقاتها الفكرية، وما تذييعه من السموم، ولكن لأن عملها واضح الضرر، وأهدافها في التخريب الفكري معلنة غير خافية مما يجعل من السهل على أي إعلام راشد أن يرسم البرامج المضادة لها.

«والواقع أن الإعلام الإنجليزي ليس إعلاماً صادقاً بقدر ما هو إعلام واقعي عملي يتحرى الدقة في تجنب كل ما يمكن أن يكتشف كذبه. فلا مانع لدى الداعية الإنجليزية من الكذب ولكن بشرط ألا توجد الوسائل لدى الجماهير لاكتشاف ذلك الكذب»^(١).

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٠٣.

رأي الإسلام في عمل وكالات الأنباء

«محاكمة وكالات الأنباء إلى المعيار الإسلامي»

عناصر المعيار الإسلامي في تلقي ونقل ونشر الأخبار:

أ - يركز هذا المعيار إلى هَدي كامل في الكتاب والسنة . . . ومن ملامح هذا الهدي :

١ - الارتباط الوثيق بين الأخبار وبين عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك وتسفيه الضلال بشتى صوره .

٢ - علو الخبر وقيمته مستمد من علو مصدره .

٣ - تحديد وظيفة الأخبار في ضوء الأخلاق بمعناها الإسلامي .

٤ - أن العمل في مجال الأخبار عمل متبع مقتد .

٥ - الأخذ بالأسباب في مجال التفوق العلمي والفني أمر واجب على

كل مسلم .

ب - هَدي الإسلام في المفاصلة التامة بين أمة الكفر وأمة التوحيد، وفي تكفير اليهود والنصارى وضرورة مخالفتهم وعدم الثقة فيهم، والنهي عن تقليدهم في أي شكل من أشكال معتقداتهم أو سلوكهم، والأولى أن تتم المخالفة في المجالات الإعلامية وفي مصادر وطرق الأخبار، لأنها لصيقة بالعقيدة والفكر والمنهج .

ج - قياس الضلال الموجود في أجهزة الأخبار عند الكفار على ضلال أسلافهم ممن قتلوا الأنبياء، وكفروا بخبر السماء ونبذوا كتاب الله، وتنكروا

للمرسلة الخاتمة وحاربوها ولا زال ذلك ديدنهم إلى هذه الأيام .

ولكن قبل توضيح عناصر هذا المعيار، يثار السؤال التالي :

- ما مناسبة المعيار الإسلامي في الخبر لوكالات الأنباء؟ .

- وللإجابة عن ذلك نقدم الحقائق الآتية :

١ - إن غياب أي شكل من أشكال العمل الإسلامي البديل لعمل الوكالات الأجنبية جعل جميع الصحف ووسائل الإعلام الأخرى تستقي النسبة العظمى من الأخبار من هذه الوكالات ذات الأصول والارتباطات المشبوهة، وهذا أمر لمسه كل من درس عمل هذه الوكالات منذ نشأتها وحتى هذه الأيام، وكل من يدقق النظر في البرقيات الإخبارية والرسائل والنشرات والصور التي تبثها وتوزعها .

ونتيجة لعدم توفر الكفاءات الإعلامية الملتزمة إسلامياً، فقد لجأت الصحف خاصة إلى نشر المواد الإعلامية بلا تدقيق في مراميها البعيدة، وإن كانت أحياناً تفهم مراميها الظاهرية .

٢ - أن مَنْ كتب عن الوكالات الأجنبية من الكتّاب المسلمين لم يُصدر عليها حكماً إسلامياً صحيحاً، وإنما اكتفى بترديد ما قرأه في تحليل وظائفها أو نقدها في كتب مترجمة، أو لَمَّح إلى المخالفات الاقتصادية أو السياسية لها . . . ولم أجد في كل ما كتب عن هذه الوكالات وكشف مخالفاتها إشارة إلى كلمة (حرام) أو الحكم عليها من منطلقات إسلامية .

وهذه نصيحة مقدمة من أحد المؤلفين^(١) يصف طريقة التعامل مع هذه

الوكالات :

«على أن يتم ذلك دائماً وفي كافة الظروف والأحوال وبالنسبة لعمليات الاختيار والترجمة في ضوء ما تقره مصلحة الوطن العليا والسلام العالمي، فإذا

(١) دكتور محمود أدهم، فن الخبر، مرجع سابق، ص ١٥٨ .

تعارضت المادة الإخبارية مع هذه (المبادئ) ومع التقاليد والآداب المرعية، فإن من الواجب استبعاد التفاصيل المتعارضة، وحتى إذا أدى الأمر إلى استبعاد الخبر كله، خاصة بالنسبة للصحف الشعبية، أو تلك التي يقبل أفراد الشعب على قراءتها، وأما صحف الصفوة أو تلك التي تمثل دور القيادة الفكرية، فإن الخوف يقل تبعاً لدرجة وعي القراء، كما يمكن تناول الخبر الذي لا يتفق مع هذه الاعتبارات كلها في مقال «نزالي» نعيد ما جاء به ويقدم التحليل الصحيح إلى القراء». ومن وجهة النظر الإسلامية ففي هذا النص توجد التجاوزات الفكرية الآتية:

أ- جعل مصلحة الوطن هو المقياس لاختيار الأخبار وكثير من المسؤولين^(١) في أوطان المسلمين يرون مصلحة الوطن فيما هو في غير مصلحة الدين ومعاداة منهج الله.

ب- جعل أيضاً مصلحة السلام العالمي مقياساً آخر للاختيار والسلام العالمي كلمة غامضة تفسرها كل دولة تفسيراً مستقلاً ذاتياً حسب مصلحتها، وهي من الشعارات التي أشاعتها الدول الكبرى لخداع الدول الضعيفة.

ج- جعل التقاليد والآداب المرعية مقياساً: ومن التقاليد والآداب المرعية في معظم بلاد المسلمين ما يخالف أبسط حقائق الإسلام ويتناقض مع التوحيد الخالص.

د- تعبير (صحف الصفوة) والسماح لها بنشر أخبار الوكالات بدون تدقيق أمر ينطوي على خطورة فكرية... فإن الإسلام ما غُزي في عقر داره إلا من باب هؤلاء الصفوة الذين تتلمذوا على المستعمرين وأصبحوا يقدمون ولاءهم لهم على ولائهم لله ولدينهم.

(١) يقصد الباحث تحديداً الفئات التي لا تحكم منهج الله في الحياة العامة والخاصة، الذين تابعوا الكفار في ضلالهم، والذين والوهم، وتنصلوا من أصول فكر أمتهم الإسلامية، وانحازوا إلى أمم الكفر يدعون لضلالهم ويروجون لأفكارهم، ويتشبهون بهم في الفكر والسلوك.

إن وكالات الأنباء فارس الميدان الأكبر في مجال الخدمات الإخبارية، ونتيجة لطوفان الأخبار باستخدام أحدث ما توصل إليه الاختراع البشري، مكنها من السيطرة الطاغية في هذا المجال، مما جعل معظم - إن لم يكن - كل صحف بلاد الإسلام تبعاً لها، تأخذ أخبارها في الغالب بلا تدقيق، مع أنها مؤسسات إضلال وإفساد في غالب الأحيان، وما يصدق على الوكالات يصدق على المصادر الأجنبية التي تمتلئ كتب الإعلام بعبارات الإغراء للدارسين بتزيينها مصادر رئيسية للخبر، ولأن الوكالات أيضاً ليست وكالات أخبار، وإنما تخصص في إعداد صفحات كاملة من الصحف وتستثمر أحدث وأعقد الأساليب في نقل الحدث بالصورة، واستغلال الطاقات والإمكانات الكبرى بوسائل التصوير والبث وتوفر ذلك بكميات لا تصمد أمامها منافسة تقريباً.

٤ - إن هذه الوكالات قد صفت حساباتها بعضها مع بعض نتيجة لتلاقي أهدافها وأهداف دولها في الكيد للإسلام والمسلمين، وتفرغت لبث سمومها وتشويه صورة الإسلام والمسلمين للتفنير منهم، ويزيد من خطورتها ما أسلفناه عن استخدامها الناجح لأرقى أساليب الاتصال واكتفاء بلاد المسلمين بدور المستهلك أو المتفرج.

٥ - إن الوقت قد حان لتقوم الأمة الإسلامية بواجبها في استخدام أساليب الإعلام والاتصال استخداماً راشداً، وأن تؤدي وظيفتها التي كلفها الله تعالى بها لمديد العون للشعوب والحكومات والأفراد الذين غرقوا في أحوال المادية، وتقدم لهم صورة صحيحة للمنهج القويم في الفكر والسلوك والحياة، وفي ذلك فائدة مزدوجة: ففيها أجر من الله تعالى وثواب عظيم، لمن يؤدي هذا الواجب، وإنقاذ وخلاص من الضلال المدمر لمن يهتدي ويقوده إلى الصراط المستقيم.

٦ - إن وكالات الأنباء مصدر لغيرها من مصادر الأخبار الأخرى، وتعتبر بهذه الصفة مقياساً لغيرها من وسائل الإعلام، ومصادر الأخبار، فالنقد الموح-

إليها ينسحب بدرجة أو بأخرى على بقية المصادر، غير أن المصادر الأخرى
بينه سهلة من حيث اكتشاف الضلال ولكن وكالات الأنباء أجهزة متشعبة
الاختصاصات، متنوعة النشاط، وكثير من أساليبها لا يزال خافياً حتى على
العاملين بها.

هدي الإسلام في استفتاء ونقل ونشر الأخبار

قال تعالى :

١ - ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦].

فالمسؤولية في الوظيفة الخبرية تمتد إلى الأعضاء والجوارح وليست أمراً هيناً أو شكلياً.

٢ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا إن كانوا قوماً بجهالة . فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [الحجرات : ١٦].

- إن المؤمنين واجب عليهم أن يتثبتوا قبل إصدار حكم والقيام بالحركة أو النطق بالكلمة .

٣ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات : ١٢].

- في هذه الآية جماع من الخير، وينسحب النهي فيها على أمر داخلي، وعلى التجسس والغيبة وهما من الأمور الظاهرية .

٤ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ [الأحزاب : ٧٠].

- إن الأخبار في أصلها قول، وقول المؤمن لا بد أن يكون سديداً،

والالتزام بالمنهج السديد في القول مظهر من مظاهر تقوى الله، ومن مقتضيات التقوى.

٥ - ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: ١٦، ١٧، ١٨].

- يمتاز المسلم بأنه يعلم أن حركاته وسكناته مرصودة محسوبة عليه فلا يقول إلا صدقاً ولا يخبر إلا حقاً.

٦ - ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [النور: ١٩].

هذه أمثلة من المنهج الذي يرسمه القرآن الكريم في تتبع الخبر ونقله وتلقيه وإشاعته في المجتمع المؤمن، ويوضح القيود التي تضبط هذا الجانب في المجتمع المسلم - مجتمع التوحيد. وتوضح هذه الآيات الارتباط الكامل بين الإيمان والعقيدة وبين هذه الوظيفة الإنسانية، ويحذر من الخلل المحتمل فيها وما يترتب عليه من نتائج تنافي الإيمان الصادق.

وإذا كان هذا التحذير ينصب على الوظيفة الإخبارية عند الإنسان المسلم فالحذر من أخبار الكفار أولى وأكثر إلحاحاً. ونلاحظ كذلك ارتباطاً كاملاً بين الوظيفة الخبرية وبين المنهج الأخلاقي في الإسلام. ذلك المنهج النابع من العبودية المطلقة لله، ومن المساواة تحت مظلة هذه العبودية، فلا يُخاطب فيها مسلم من طبقة معينة دون آخر، أو من مستوى تعليمي دون المستوى الآخر.

ونجد انسجماً كاملاً بين المنهج القرآني في مصادر الخبر والمنهج الذي ترسمه السنة القولية والعملية، وبين المنهج الإسلامي في الأخلاق العملية:

١ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١) متفق عليه .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»^(٢) متفق عليه .

٣ - وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال :

«إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»^(٣) .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسُّبَّة» .

٥ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ، قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» .

٦ - وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» .

٧ - وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال :

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما تفق عليه الشيخان ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما تفق عليه الشيخان ، ج ٣ ص ١٩٠ .

(٣) جميع هذه الأحاديث رواها أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

«من حمى مؤمناً من منافق أراه قال: بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

٨ - وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت (أن) تفسدهم». فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها.

٩ - وعن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة عن النبي ﷺ قال:

«إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم».

ومن هذا الهدى النبوي تتضح معالم المنهج الإسلامي في استقاء وتلقي ونقل الخبر وإشاعته، وارتباطه الوثيق بمنهج الإسلام في الأخلاق.

فقول الخبر علامة من علامات الإيمان وإلا فالصمت أولى.

فالقول في الخبر وغيره يجب أن يكون بنية الإصلاح ونشر الفضيلة. وفي بقية الأحاديث الشريفة قواعد أساسية تحدد النهي عن التجسس والتحاسد والتباغض وتسقط عورات المسلمين أو محاولة إيذائهم لما في ذلك من العواقب السيئة على الفرد والمجتمع المسلم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة.

ورغم هذا المنهج الإسلامي الصريح، فإن كثيراً من الصحف في البلاد الإسلامية جعلت همها تقليد الأساليب الغربية في الصحافة الأميركية الجديدة التي تسعى للإثارة ونشر الفضائح، بهدف ما يسمى بالسبق الصحفي، لضمان أكبر نسبة توزيع... مما كان له أكبر الأثر فيما لحق ببلاد المسلمين من المصائب والهزات الاجتماعية وتغير في العلاقات الشرعية بين أفراد الأسرة الواحدة أو الجماعة الواحدة.

وفي مقدمة هذه الصحف: صحيفة «أخبار اليوم» ومجلة «آخر ساعة»

التابعة لنفس الدار، ومن عجب أن المؤرخين للصحافة في البلاد الإسلامية يعتبرون أصحاب هذه الدار أصحاب مدرسة في الصحافة الحديثة.

يقول أحد الكتاب :

«فمدرسة أخبار اليوم هي تقليد لا نقول أعمى للصحافة الأمريكية الجديدة، الذي زعمت أنها جاءت به إنما هو مجرد تقليد للصحافة الغربية عامة والصحافة الأمريكية خاصة، وليس من الغريب أيضاً أن صحف ومجلات أخبار اليوم عندما سلكت سبيل صنع الأخبار كانت تهدف من ورائها نفس أهداف الصحافة الأمريكية :

إشباع نهم القراء إلى الأخبار: والأخبار المثيرة بالذات أو حجب أخبار ذات أهمية سياسية داخلية أو خارجية عن المواطن العربي»^(١).

والأصل في المسلم أن يكون أصيل الفكر والسلوك، وإذا أخذ من الفنون والصناعات فليكن ذلك بدرجة لا تفقده ذاته وتميزه، وفي ميدان الإعلام على وجه الخصوص. وفي عقيدتنا وتراثنا ما يغنينا عن تقليد الآخرين في المنهج، وإن كان الأخذ بأسباب الفنون والعلوم واستخدام أحدث الآلات وتوظيفها لخدمة الإسلام والمسلمين أمر واجب في الإسلام.

ثم إن أخبار المسلم العظمى وقضاياه الفكرية الكبرى، لا يستمدّها من الشرق ولا من الغرب ولا من «راديو لندن» ولا من «صوت أميركا» ولا من «النويورك تايمز» أو «وكالة تاس» بل يستمد أخباره من كتاب الله وسنة رسوله ويحكمها فيها يعرض له من أحداث وما يواجهها من قضايا.

ويجب ألا ينخدع الإخباري المسلم ببريق الدراسات الإعلامية الحديثة التي تعتمد في أصولها الفكرية على منهج المسيحيين واليهود، وهو منهج كافر ضال. ويجب ألا ينخدع في تحديد قيمة الخبر بما تلبسه عليه المصادر الكافرة في استعمالها للاصطلاحات والتراكيب اللفظية الجديدة مثل قولهم :

(١) وليم الميري، الأخبار: مصادرها ونثرها، ص ٣٦.

القرب المكاني والقرب النفسي والجدة والإنسانية والضحامة والدلالة الإعلامية والشهرة والغربة والإثارة والتشويق والطرافة وغير ذلك من المقاييس التي تقاس بها القيمة الإعلامية للخبر.

وسوف أختار معادلتين تحددان قيمة الخبر من كتاب (المندوب الصحفي)^(١) تأليف الكاتب جلال الدين الحمامصي ليرى المسلم ماذا يمكن أن تكون أخباره إذا جرى مناهج الضلال في استفتاء وتلقي ونقل ونشر الخبر.

المعادلة الأولى:

نبأ عن صراف بنك + زوجة + ٧ أولاد = صفر (هذا ليس خبراً) بينما أن نبأ عن صراف بنك - ١٠ آلاف جنيه من الخزينة = خبراً أو نبأ عن صراف بنك + زوجة + عشيقة - ١٠ آلاف جنيه = خبراً أكثر أهمية. (هكذا)!!.

المعادلة الثانية:

نبأ عن رجل عادي عمره ٨٠ سنة + حياة عادية = صفرًا.
ونبأ عن رجل عادي عمره ٨٠ سنة + رحلة مغامرة = خبراً.
رجل عادي عمره ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة = خبراً.
رجل عادي ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة + ٣ توائم = خبراً أكثر أهمية.

فليتأمل المسلم تفاهة التفكير الذي يدل على خوار في الإيمان وضعف في البصيرة.

فمن وجهة النظر الإسلامية: إن الصراف + الزوجة + ٧ أولاد = لا يساوي صفرًا وإنما هو الذي يساوي الخبر والقضية الحقيقية للإعلام الإسلامي وليس الصراف والعشيقة والزوجة ونقص الـ ١٠ آلاف جنيه هو الخبر بل هذا زنا وسفاح يطبق عليه الحد الشرعي إذا ثبت.

وكذلك الرجل العادي ذو الثمانين سنة + المغامرة هي الخبر الحقيقي

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٨.

إذا كان مسلماً مستقيماً أنعم الله عليه بالعافية نتيجة لالتزامه بالحدود الشرعية وهو القضية الأساسية للإعلام الإسلامي أما عندما يرزقه الله بالزوجة الشابة والتوائم الثلاث فإن الله على كل شيء قدير، ويخلق ما لا تعلمون ولا يمكن أن يكون هذا الرجل العجوز مجالاً للتساؤلات وتشويه السمعة بل على المسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم مهما كانت ظروفه، وتمد له يد المعونة والمساعدة، وهؤلاء التوائم الثلاثة خير وبركة، ولا يمكن للإعلامي المسلم أن يثيرها قضية سوء نية في أخيه المسلم.

إن القيمة الحقيقية للخبر في الإسلام يستمدّها من قيمة مصدره، وقيمة القضية التي يمثلها، وقيمة الهدف الذي يسعى إليه، ولما كانت أعظم أخبار المسلم قيمة هي الأخبار المتعلقة بالعقيدة ونشر الفضيلة، والعمل لسعادة الدارين، فإن قيمة أخبار المسلم مستمدة من مدى التزامها بتعاليم الشرع في القول الصادق النافع الخير السديد، وفي التزامها بمنهج الإسلام في الأخلاق المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، والأولى بدارس الإعلام المسلم أن يلقي جانباً بتلك الكتب الخبيثة التي ترسم له منهجاً ضالاً في استقاء النبأ وتقدير قيمته، ويسترشد بخبر الوحي، ويحكمه في القضايا الكبرى، فإن قضايا الفرد والمجتمع المسلمين بالضرورة هي قضايا الفرد المجتمع غير المسلمين.

ولا يمكن أن تكون مناهجهما في التفكير والسلوك، وقياس قيمة الخبر هي نفس ما ينبغي أن نتبعه ونعمل بهداه.

هدي الإسلام في تكفير اليهود والنصارى والنهي عن تقليدهم أو التشبه بهم

وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية في النهي عن تقليد اليهود والنصارى، والكفار كافة، وتحث على مخالفتهم في السلوك والعادات والأعياد، وفي مجالات الفكر والاعتقاد فإن مخالفتهم أولى، وهذا أصل من أصول العمل الإعلامي.

وأيضاً دل الكتاب والسنة المشرفة على كفر اليهود والنصارى.

قال تعالى في بيان كفر اليهود:

﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، من لعنه الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ [المائدة: ٦٠].

﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب عليهم ﴾ [آل عمران: ١١٣].

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة: ١٥٩].

والآيات كثيرة تدل على كفر اليهود.

أما في كفر النصارى فقال تعالى:

﴿ لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٧].
من السنة المشرفة:

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه:

«أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: «هذا عدي بن حاتم، وجئت بغير أمان ولا كتاب. فلما دُفعت إليه أخذ بيدي وقد قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي».

قال: فقام بي فلقيته امرأة وصبي معها.

فقالا: إن لنا إليك حاجة. فقام معهما حتى قضى حاجتهما.

ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره. فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله، وأثنى عليه.

ثم قال: ما يفرك؟ أيفرك أن تقول: لا إله إلا الله؟.

فهل تعلم من إله سوى الله؟.

قال: قلت: لا. ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما يفرك أن تقول: الله أكبر أو تعلم شيئاً أكبر من الله؟.

قال: قلت: لا، قال: فإن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال.

قال: فقلت: فإني حنيف مسلم. قال: فرأيت وجهه ينبسط فرحاً^(١).
رواه الترمذي.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله:

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم: مخالفة أصحاب الجحيم (الرياض - مطابع المجد التجارية) ص ٣ و ٤.

«واليهود مقصرون عن الحق، والنصارى غالون فيه».

«وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق:

«ولا يتبعونه قولاً، أو عملاً، أو لا قولاً ولا عملاً» وكفر النصارى من جهة عملهم:

«بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون. ولهذا كان السلف، كسفيان بن عيينة وغيره يقولون: من فسد من علمائنا: ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»^(١).

فإذا كان كفر القدماء من اليهود والنصارى أمر بائن صريح، وقد كانت فيهم بقية من خبر الأنبياء، مع ما أدخلوا عليه من التحريف والتغيير، فإن كفر أجيالهم الحالية أمر أشد تأكيداً وثبوتاً، وقد نبذوا القليل الذي كان لديهم، وابتكروا مذاهب وأفكاراً ونظريات شطوا بها عن المنهج الصحيح الذي لا يخالف الدين فحسب، بل يخالف بديهيات المنطق السليم والفطرة الصحيحة، والفهم البسيط والتفكير البديهي.

ولذلك فقد رسم القرآن الكريم والسنة المشرفة منهجاً كاملاً في ضرورة مخالفة كل من اليهود والنصارى، وعدم التشبه بهم والحذر في التعامل معهم، ولا تكفي مصلحة الوطن، أو المصلحة القومية، أو مصلحة السلام العالمي، أو العلاقات بين الشعوب، أو الضوابط العلمانية اللادينية، لمراقبة واختيار الأخبار والتعامل الإعلامي مع وكالات الأنباء ومصادر الأخبار الأجنبية الأخرى، بل لا بد من تحكيم الكتاب والسنة وتراث السلف الصالح في هذا المجال فلو جعلنا المقاييس السابقة ضوابط للتعامل مع هذه المصادر، فسوف يتساوى المسلم وغير المسلم في هذا الأمر، ولن يكون بين اليهود والنصارى

(١) ابن تيمية: نفس المرجع السابق، ص ٥.

وبين (المسلمين بالبطاقة) كبير اختلاف، وإنما ضوابط سلوك المسلم في التعامل مع هذه المصادر الإخبارية نجدتها في الآيات الآتية:

قال تعالى:

١ - ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية: ١٦ - ١٩] .

قال تعالى:

٢ - ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل : إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وإليه مآب . وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهوائهم بعدما جاءك من العلم مالكَ من الله من ولي ولا واق ﴾ [الرعد: ٣٦ - ٣٧] .

قال تعالى:

٣ - ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالكَ من الله من ولي ولا نصير ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

قال تعالى:

٤ - ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن

يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . . . ﴿ الآية . [المائدة: ٤٨ ، ٤٩] .

وقال سبحانه :

٥ - ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

قال شيخ الإسلام بن تيمية : «هم اليهود والنصارى الذين افرقوا على أكثر من سبعين فرقة ﴾ .

وقال شيخ الإسلام :

«واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير، مثل قوله لَمَّا ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثالات :

﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر: ٢] .

وقوله : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ [يوسف: ١١١] ^(١) .

والخطاب موجه في هذه الآيات إلى الرسول ﷺ وإلى جماعة المؤمنين في كل زمان ومكان فإذا كان هذا الخطاب موجه إلى الرسول وهو نبي معصوم وإلى جماعة المؤمنين في عهده وهم مصابيح الهدى بعد رسول الله ، فعمومه لمن أتى بعدهم أجدى وأولى . وخاصة في هذا الزمان الذي ظهرت فيه مكائد اليهود والنصارى للمسلمين في صور كثيرة وبشكل سافر ولا يصلح حاضره هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وقد دلت السنة المشرفة في أحاديث صحيحة كثيرة وفي كتب السنن على أن التشبه باليهود والنصارى واقع لا محالة ، وأن هناك جماعة من المؤمنين سيظلون متابعين للرسول ﷺ ، يحملون نبراس الحق إلى آخر الزمان ،

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم : مخالفة أصحاب الجحيم، ص ١٦ - ١٧ .

وقد قام علماء الأمة في كل زمان ينبهون المسلمين إلى هذه الحقيقة ليتجنبوا الوقوع في شبهة التشبه باليهود والنصارى والكفار عامة . . . ونحن في هذا الزمان أولى بأن نبتعد عن التشبه بهم وخاصة في مجالات الفكر والسلوك، والمجالات الإعلامية ميدان خصب لدخول اليهود والنصارى والكفار بفكرهم، والأمثلة شاهدة لا تحتاج إلى تعداد، ذلك لأنهم يملكون زمام التفوق في المجالات المادية في النواحي العسكرية والاقتصادية والعلوم وفنون الصناعة، وهم يحرصون في التعامل مع غيرهم من الشعوب على الحفاظ على نسبة معينة من التفوق، ولكن مهما كان التفوق عسكرياً وعلمياً وصناعياً فإن عدوك لا يجبرك على اعتناق فكره، أو يمنعك من التمسك بعقيدتك، وتظل العقيدة هي الميزة الأساسية للإنسان المسلم، ويظل التوحيد الخالص هو الجدار الذي يعزله عن الوقوع في مظاهر الشرك ومسببات الهلاك.

البديل الإسلامي في مصادر الأخبار الحديثة

يزداد اعتماد المسلمين يوماً بعد يوم على مصادر الكفار للخبر، وتصل الحالة أحياناً إلى الاعتماد الكلي على هذه المصادر، وليت الأمر يقتصر على مجرد الآلات أو الأساليب الفنية في التعامل بالخبر، بل امتد إلى المنهج والمنطلقات الفكرية، وتبنى الشعارات الإعلامية المعبرة عن الفكر المنحرف، والمنطلقة من المنهج الضال، ذلك لأن الأخبار والقصص الإخبارية والفنون الأخرى، التي تتكون من الأخبار ليست مجرد مادة محايدة يمكن عرضها كما نعرض معادلة كيميائية ولكنها وسيلة شكلية تعبر عن مضامين فكرية خطيرة.

ولهذا تمس الحاجة إلى البديل الإسلامي في استقاء الأخبار ونقلها وتوزيعها ونشرها. . . وهذا البديل ليس فكرة خيالية أو أمراً مستحيلاً حتى مع وجود خلافات في السياسات لأنه يعتمد على نقاط الالتقاء والاتفاق ويستفيد من الأساس الفكري للأمة الإسلامية جمعاء، ويمكن إذا وضع موضع التنفيذ أن يغني الأمة من الاعتماد على المصادر الضالة أو الأساليب القاصرة في عالم أصبح للأخبار ومصادرها الدور الأول في نشر الهدى أو تسلسل الضلال إلى حياة الناس الخاصة والعامة.

ويمكن لهذا البديل أن يكون عامل إسهام للبشرية جمعاء كما كان الإسلام بمصادره في الخبر في كل زمان ومكان.

وتتضح معالم البديل الإسلامي في مصادر الأخبار إذا تفهمنا الحقائق

الآتية:

١ - لقد تعلمنا من تاريخ نشأة وكالات الأنباء العالمية وتطورها وتخصصها، أو تاريخ تكوين الوكالات الوطنية أو المحلية: أن هذه الأخيرة تبقى هزيلة محدودة التأثير في مواجهة الاحتكارات الإعلامية الكبرى، فلا تجد مفرأً من ربط نفسها بإرادتها بوحدة أو أكثر من الوكالات الكبرى لتضمن لنفسها (الدقة والجدية) بالمقياس الذي تخضع له الوكالات الكبرى... ولكي تتمكن من أداء دورها الإعلامي في مجال الأخبار.

فالوكالات الوطنية أو المحلية ليست حلاً ناجحاً على الأقل على مستوى خدمة الدعوة الإسلامية والنهوض بالبلاد الإسلامية فكرياً لا في داخل بلادها ولا في البلاد الإسلامية الأخرى بالإضافة إلى أن هذه الوكالات أنشأتها الحكومات وتنفق عليها وتخضع خضوعاً مطلقاً في سياستها الإعلامية لسياسة الدولة... ولا خطورة أو مأخذ على هذا الأمر... إلا أن كثيراً من الحكومات في البلاد الإسلامية لا تحكم منهج الله لا في الفكر ولا في السلوك ولا في الحكم. مما يجعل الوكالة المحلية وسيلة من وسائل التضليل وينسحب هذا الحكم على جميع أنواع مصادر الأخبار عندما يكون المنطلق بعيداً عن الإسلام.

٢ - إن مشروع وكالة الأنباء العالمية تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة مشروع نظري خيالي كغيره من الأفكار الخيالية التي تلمع في الأفق ثم تخبو... إذ أن مثل هذه الوكالة تتعامل مع البشر بدون تمييز في الفكر والمعتقدات، ناهيك أنها ستقع تلقائياً تحت سيطرة الكفار الذين سبقوا المسلمين في الخدمات الإخبارية في عمل الوكالات على وجه الخصوص... وبالإضافة إلى ذلك فإن من بديهيات الفكر الإسلامي: إن المسلم - فرداً أو جماعة أو دولة - يجب أن يعترفوا بالتمييز المطلق بين الكفار بشتى مسمياتهم وبين المسلمين والدولة الإسلامية كما يريد الله ورسوله... فلا يمكن أن تكون أخبار الكيانات الكافرة واهتماماتها وأهدافها هي نفسها للفرد والمجتمع المسلمين... فإذا اتفق المسلم والكافر في نظرتهم لقماش معين، أو سلعة معينة، وفي طول طريق ما أو شكل سيارة ما فالأمر يختلف

اختلافاً جذرياً عندما يتعلق الأمر بالمعتقدات والفكر والأهداف والغايات والممارسات ومصادر الأخبار والقيمة الإخبارية.

٣ - لا مجال للبدايات الضعيفة والجهود المبعثرة والطاقات المشتتة هنا وهناك ويجب أن تختلف أهداف وكالات الأنباء في البلاد الإسلامية عن تلك التي في البلاد الكافرة، فلا مبرر لخضوع أي جهاز إخباري إسلامي لما خضعت له الوكالات الكافرة من مراحل تطويرية، ذلك لأن هذه الوكالات كانت أصلاً مشاريع اقتصادية، وظلت سياسة البحث عن الربح المادي هي المسيطرة على عملها بل إن دخولها الميادين الفكرية بشتى صورها إنما كان تحت إلحاح المنافسة وفتح مجالات للربح المادي . . . أما أي جهاز إخباري إسلامي فيجب أن يسمو عن هذا المستوى من التعامل بالخبر.

ومن ناحية أخرى لماذا يُضنُّ على الإسلام بجهاز أو مؤسسة إخبارية قوية تكون أداة للخير والإصلاح والدعوة إلى الله على مستوى العالم الإسلامي والعالم أيضاً . . . ونحن نرى كيف تنشأ الفنادق الضخمة، وتشق الطرق وينتشر العمران وتشاد العمارات في زمن قياسي وبتكاليف باهظة فهل يحتاج الناس في بلاد المسلمين إلى ما تقدمه هذه المظاهر العمرانية أكثر من مؤسسة إعلامية تغني الأمة عن استقاء أخبارها من مصادر الكفار؟.

٤ - إن المسلمين يدركون يوماً بعد يوم الهوة السحيقة التي تردت فيها أوطانهم نتيجة لخضوعهم سنوات طويلة لحكم الكفار ولذلك نجد صحة عامة في العودة إلى الله، وحبذا لو استغلت هذه الصحة وحركة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه في البلاد غير الإسلامية فنجنبد طاقات الشباب المسلم للعمل في مجال الخدمات الإخبارية.

٥ - إعادة النظر في الدراسات الإعلامية والكتب والمراجع في جميع أقسام الإعلام أو الكليات الإعلامية والتصدي لكل انحراف فكري يخالف عقائد الإسلام، والعمل على دفع الدراسات الإسلامية في التخصصات الإعلامية فمن الملاحظ أن معظم المراجع والمقررات لا تمت إلى الفكر

الإسلامي بصلة إن لم تكن مخربة لأفكار الشباب الذين اتجهوا إلى هذا الميدان ولا نقصد بذلك المراجع التي تعرض لفنون العمل الإعلامي وفنون الدراسات الإخبارية وإنما نقصد بذلك الكتابات التفصيلية والأمثلة والقواعد الفكرية التي يعرض بها الأساتذة والكتاب المادة العلمية.

٦ - لا أعتقد أن أسلوب الاتحادات الإذاعية أو الصحفية أمر كافٍ على مستوى العمل الإعلامي الإسلامي لأن جميع المؤسسات الإعلامية في بلاد المسلمين مرتبطة بالوكالات الأجنبية ولا مجال لإنكار ذلك ولذلك فلا مفر من وقوع هذه المؤسسات تحت التأثير الأجنبي في مجال الخدمات الإخبارية وتصبح هذه الاتحادات مجرد أجهزة هيكلية تتولى الإشراف والتوجيه دون أن يكون لها دور في توجيه طبيعة العمل الإعلامي الإخباري في المؤسسات الإعلامية.

إن أي جهاز إعلامي إسلامي سواء كان منظمة أو اتحاداً أو هيئة يجب أن يكون له قوة الفعل في متابعة الخبر ونشره ونقله وتحريره وتقديم البديل الإسلامي المقنع الذي يغني الصحف والإذاعات في البلاد الإسلامية عن الاتجاه إلى الوكالات الأجنبية وهذا يتطلب:

أ - تكوين شركة إسلامية أو هيئة إسلامية أو مؤسسة إسلامية محددة الأهداف واضحة السبيل ذات مخطط مدروس تنطلق من غايات الإسلام تسعى لنشره وتعليمه وتحكيم المقياس الإسلامي في التعامل مع الخبر وتقديم البديل العملي الواقعي النشط.

ب - توظيف الشباب الإسلامي الملتزم في هذا المجال.

ج - الاستعانة بشبكة واسعة من المراسلين المسلمين الملتزمين وبثهم في كل مكان بحيث نتق أن هذا الخبر صدر من مؤسسة إسلامية لا مجال للشبهة في أخبارها.

د - أن تستعين هذه الشركة أو المؤسسة أو الهيئة بكل ما توصل إليه العلم البشري في وسائل الاتصال ولا شك أن الإمكانات المادية والبشرية

متوفرة... وأطلب شخصياً من هيئات الاستثمار الإسلامي أن تتجه مباشرة إلى هذا الميدان.

هـ - إلزام جميع الدول الإسلامية بإعطاء عمل هذه الشركة أو الوكالة أو المؤسسة الإخبارية حرية كاملة عندما نثق في تنظيمها وإدارتها والتزامها بتحمل المسؤولية الإسلامية بتجرد كامل، وإعطائها الأولوية في تقديم خدماتها الإخبارية.

و - أن لا تعتمد هذه الشركة أو المؤسسة أو الوكالة الإخبارية الإسلامية على الحكومات الإسلامية وإنما تضمن التمويل من البنوك الإسلامية ومساهمات الأفراد وتقتصر الدول والحكومات على التسهيلات والإجراءات فقط.

ز - ليس من الضروري أن تكون أساليب الحصول على الأخبار وإذاعتها هي نفسها وسائل الكفار، كما أنه ليس ما يمنع شرعياً استخدام الطرق الحديثة التي لا تتنافى مع تعاليم الشرع... إذ أن الأساس الفكري للخبر في الإسلام هو خبر الوحي وهذا ما لا تهتم به أجهزة الأخبار الكافرة ولذلك فيجب بالضرورة أن تختلف مصادر ومسالك الأخبار في البلاد الإسلامية عن تلك التي للدول الكافرة، مع توظيف جميع الأساليب الفعالة إعلامياً في هذا المجال.

٧ - وهناك أمر آخر يجعل هذه الاتحادات غير ذات فعالية وهو أنها تجميع إما لوكالات أبناء محلية ضعيفة إذا قيسَت بالوكالات الكافرة الكبرى... وهذه الوكالات الكافرة لأنها تنفذ سياسات دول كبرى وتستمد قوتها من قوتها تحاول دائماً أن تحافظ على فارق كبير في التفوق الكمي والكيفي وفي التنظيم والإدارة والخدمات الإعلامية، بحيث تظل متفوقة دون أن تصل إليها المنافسة فلا تجد الوكالات الضعيفة. إذا أرادت الاستمرار - مفرراً من الارتقاء في أحضان هذه الوكالات والوقوع مختارة تحت تأثير نفوذها شاءت أم أبت.

٨ - هناك بديهية لا تخفى على أحد من المسؤولين في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية. ولكنها قد تخفي على العاملين في المجالات الإعلامية وخاصة أجهزة التعامل بالخبر وهي: أن أسباب قوة أعدائنا أصبحت سلعاً تخضع لقوانين السوق والمنافسة التجارية بين المنتجين، وهذا من فضل الله وكرمه ومنته على هذه الأمة: فرغم أن جميع البلاد الإسلامية عالة على غيرها من البلاد المتقدمة صناعياً - وحتى تلك البلاد الإسلامية التي تصنف أحياناً بأنها تحت خط الفقر - فإنها يمكنها أن تشتري الأجهزة والآلات التي تستخدمها في العمل الإعلامي حتى من الدول الكافرة التي لا تربطها بها أية علاقات، ناهيك عن البلاد التي وهبها الله الإمكانات المادية الكبيرة والاستعدادات الفكرية والثقافية، والطاقات البشرية، والموقع الجغرافي والمكانة التاريخية والدينية والدولية: كالمملكة العربية السعودية في عهدها الحالي.

إن البديل الإسلامي في مصادر الأخبار الحديثة: ينطلق من خبر الوحي، يبشر بعقيدة التوحيد، يدعو إلى طريق الهدى، وينأى عن المستويات الهابطة في التعامل بالخبر، ويسمو بالعمل الإعلامي إلى الدرجة الهابطة في التعامل بالخبر، ويسمو بالعمل الإعلامي إلى الدرجة التي أرادها الله سبحانه للإنسان بوصفه كائناً كرمه الله على سائر المخلوقات، وارتضى له وظيفة الاستخلاف في الأرض امتحاناً وابتلاء واختباراً.

إن المتأمل الدارس لأحوال الناس في هذا الزمان: يدرك أنهم ما كانوا في وقت من الأوقات في حاجة إلى خبر الوحي كحاجتهم إليه في هذه الأيام، وخاصة في المجتمعات التي ضعفت علاقاتها بمنهج الله، وهدى السماء، وتلك التي صاغت مذاهب وضعية تسوس بها شعوبها، أو التي ترزح تحت نير حكم الطواغيت - في كل هذه الأنماط من حياة البشر - تظل الحاجة ماسة إلى المنهج الإلهي القويم، الذي ينظم حياة البشر، ويضيء لهم الطريق إلى النجاة والفلاح.

ولذلك فإن الباب مفتوح أمام أمة الإسلام لتقدم للبشرية أجل الخدمات، وأن تقوم بأعظم المهام: مهمة اختارها الله تعالى لها، وجعلها لها تكليفاً وتشريفاً، مهمة هداية البشر إلى الخير، وإنقاذهم من التردّي في الهلاك الذي سيتردون فيه إذا ظلوا بعيدين عن الطريق المستقيم، طريق الوحي، وأخبار الوحي، طريق الإسلام.

مراجع البحث

أولاً: مراجع العلوم الشرعية

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أعظمي الدكتور مصطفى الأعظمي: كتاب النبي - المكتب الإسلامي - بيروت، لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣ - الأمدي: سيف الدين: الأحكام في أصول الأحكام، ج ٢، مؤسسة النور ١٣٨٧ هـ.
- ٤ - الباقلائي: أبو بكر محمد ابن الطيب: إعجاز القرآن - تحقيق السيد أحمد صقر - ط ٤ - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٥ - البهي: محمد البهي - الدكتور: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ط ٨ - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- البيهقي: الحافظ - الشيخ الإمام الزاهد أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي عبد الله بن موسى البيهقي ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ: دلائل النبوة - تقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان - ط ١ ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - الناشر محمد عبد المحسن الكتبي - المدينة المنورة.
- ٧ - تيمية: شيخ الإسلام - أبي العباس تقي الدين أحمد ابن عبد الحلیم المعروف بابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل - ج ١ - قسم ١ - مطبعة دار الكتب المصرية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.
- ٨ - تيمية: شيخ الإسلام ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم - مخالفة أصحاب الجحيم - مطابع المجد التجارية.
- ٩ - ابن حجر: العسقلاني - الإمام الحافظ أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني عاش

- بين عامي ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ: الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٣ - دار الفكر بيروت، لبنان - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٠ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الأجزاء ١، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٣ - دار الفكر ببيروت، لبنان.
- ١١ - حميد الله: محمد حميد الله - الدكتور: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٣ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - المكتب الإسلامي - بيروت، لبنان.
- ١٢ - خطاب: محمود شيت - العقيد الركن: الرسول القائد - الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة - بغداد ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ١٣ - دراز: محمد عبد الله - الدكتور: مدخل إلى القرآن الكريم - ط ٢ دار القلم، الكويت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٤ - دراز: محمد عبد الله: النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن، دار القلم الكويت - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ١٥ - راشد: محمد إسماعيل راشد: الدكتور: من الأصول الإسلامية للعلم والتعليم - من أبحاث الندوة العالمية للشباب الإسلامي - اللقاء الرابع - الرياض ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٦ - رضا: محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي - ط ٤ - المكتب الإسلامي بيروت - لبنان - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ١٧ - الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشف - عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٣ - دار المعرفة بيروت - لبنان.
- ١٨ - السبكي: علي يوسف: الرسائل النبوية - ط ١ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
- ١٩ - ابن سعد: محمد بن منيع البصري الزهري المكنى بأبي عبد الله: الطبقات الكبرى - الأجزاء ١ - ٢ - ٣، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٢٠ - السيوطي: جلال الدين: الإتيان في علم القرآن - دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢١ - الصالح: محمد صبحي الدكتور: علوم الحديث ومصطلحه - ط ٩ - ١٩٧٧ م. دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

- ٢٢ - ابن الصلاح: الإمام أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ٥٧٧ هـ - ٦٤٣ هـ: علوم الحديث - تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط ٢ - ١٩٧٢ م.
- ٢٣ - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري المعروف - تاريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ج ٢ - ط ٣ دار المعارف بمصر - ١٩٧٧ م.
- ٢٤ - عبد الباقي: محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.
- ٢٥ - عبد الباقي: محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان المكتبة الإسلامية - دار البناء، للنشر والتوزيع مكة المكرمة.
- ٢٦ - عون: عبد الرؤوف: الفن الحربي في الإسلام - دار المعارف بمصر ١٩٦١ م.
- ٢٧ - الغمراوي: محمد أحمد: الإسلام في عصر العلم - الغين والرسول والكتاب، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٨ م.
- ٢٨ - القطان: مناع خليل: مباحث في علوم القرآن - مؤسسة الرسالة - ط ٤، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٢٩ - قطب: سيد: في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت ١٣٩٧ هـ.
- ٣٠ - القشيري: الإمام مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صحيح الإمام مسلم - دار الفكر.
- ٣١ - ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ٤، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣٢ - ابن كثير: السيرة النبوية - ج ٤ - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.
- ٣٣ - المالكي - محمد بن علوي: المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف دار الفكر - بيروت، لبنان - ط ٣، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣٤ - المودودي: أبو الأعلى: تفسير سورة النور - دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م.
- ٣٥ - المنذري: الحافظ: مختصر صحيح مسلم - تحقيق ناصر الدين الألباني الدار الكويتية للطباعة والنشر - الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - ط ١،

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

- ٣٦ - ابن نبي: مالك: الظاهرة القرآنية - دار القرآن الكريم بيروت - لبنان - طبعة شنتجارت - ألمانيا الغربية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٣٧ - الندوي: أبو الحسن: السيرة النبوية - دار الشروق - جدة ١٣٩٩ هـ .
- ٣٨ - ابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ - الأجزاء ١، ٢، ٣، ٤ .
- ٣٩ - الواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٤٠ - ابن القيم: الإمام الحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزي: زاد المعاد في هدى خير العباد، الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م . مكتبة الرياض الحديثة - الرياض، المملكة العربية السعودية .
- ٤١ - ابن سلام: الإمام العظيم الحافظ الحجة أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأموال: تحقيق خليل محمد هراس دار الفكر - القاهرة - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

مراجع الدراسة الإعلامية

- ١ - أدهم: محمود - الدكتور: فن الخبر - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م مطابع دار الشعب بالقاهرة .
- ٢ - إمام: إبراهيم - الدكتور: وكالات الأنباء - دار النهضة العربية - القاهرة .
- ٣ - إمام: إبراهيم - الدكتور: دراسات في الفن الصحفي - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٢ م .
- ٤ - أولبورت: جوردون - وليو بوستمان: (سيكولوجية الإشاعة) ترجمة الدكتور صلاح مخيمر وعبد ميخائيل رزق دار المعارف بمصر - ١٩٦٤ م .
- ٥ - أولت: فيل: وراء الأخبار ليلاً ونهاراً - ترجمة: أحمد قاسم جودة . دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٦ - بدر: أحمد - الدكتور: الإعلام الدولي - مكتبة غريب القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٧ - بدر: أحمد - الدكتور: الرأي العام، (طبيعته وتكوينه ودوره في السياسة العامة) مكتبة غريب - القاهرة - ١٩٧٧ م .
- ٨ - بوتر: ديفيد - مخبرو الصحف: ترجمة محمد مصطفى غنيم - دار الفكر

- العربي القاهرة - مراجعة وتقديم : الدكتور /محمد حسان .
- ٩ - التهامي : مختار - الدكتور : الرأي العام والحرب النفسية - ط ١ : القاهرة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٤ م .
- ١٠ - جونسون : ستانلي - وجوليان هاريس : استقاء الأنباء فن - ترجمة : وديع فلسطين ، دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٠ م .
- ١١ - حاتم : محمد عبد القادر - الدكتور : الرأي العام وتأثره بالأعلام والدعاية - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٧٣ م .
- ١٢ - الحمامصي : جلال الدين : المندوب الصحفي - دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٣ - خليفة : إجلال - الدكتورة : الصحافة - دار الطباعة الحديثة ١٩٧٦ م .
- ١٤ - رشتي : جيهان أحمد - الدكتورة : الأسس العلمية لنظريات الأعلام ، طبعة ٣ - ١٩٧٨ م - دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر .
- ١٥ - ريفرز : وليم ريفرز وآخرون : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ترجمة الدكتور : إبراهيم إمام - دار المعرفة القاهرة - ١٩٧٥ م .
- ١٦ - شرف : عبد العزيز - الدكتور : فن التحرير الإعلامي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٧ - صابات : خليل - الدكتور : الصحافة مهنة ورسالة - سلسلة كتابك رقم ٣٧ - دار المعارف بمصر - ١٩٧٧ م .
- ١٨ - عبد الباقي : زيدان - الدكتور : علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية ، مكتبة غريب - القاهرة - ط ١ - ١٩٧٩ م .
- ١٩ - عبد القادر : حسين - الدكتور : الصحافة كمصدر للتاريخ - القاهرة - ١٩٦٠ م .
- ٢٠ - عبد اللطيف : شفيق محمود : وكالات الأنباء : رؤية جديدة - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٨ م .
- ٢١ - العويني : محمد علي - الدكتور : الأعلام الدولي بين النظرية والتطبيق مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٨ م .
- ٢٢ - كارليل : الكسيس - الدكتور : الإنسان ذلك المجهول ، ترجمة عادل شفيق - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٤ م .
- ٢٣ - مراد : يوسف - الدكتور : دراسات في التكامل النفسي ، مؤسسة الخانجي بمصر - ١٩٥٨ م .

- ٢٤ - معهد الصحافة الدولي بزيورخ: سويسرا - أخبار الشرق الأوسط في الصحافة العالمية - الطبعة الأولى - مطبعة الشرق العربي - مصر - ١٩٦٠ م .
- ٢٥ - الميري: وليم: الأخبار - مصادرها ونشرها، الطبعة الأولى - ١٩٦٨ م - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- ٢٦ - الندوة العلمية للشباب الإسلامي: اللقاء الرابع: الرياض - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . (الأعلام الإسلامي والعلاقات العامة) .
- ٢٧ - بدر: أحمد - الدكتور: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، دار القلم - الكويت - دولة الكويت .

المراجع اللغوية والمعاجم

- ١ - الأزهرى: أبي منصور: تهذيب اللغة - تحقيق عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٢ - التفتازاني: مسعود بن عمر بن عبد العزيز بن سعد الدين . توفي سنة ٧٩١ هـ شرح السعد - (مختصر المعاني في علوم البلاغة) جزء ١ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة محمد صبيح - مصر .
- ٣ - الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط - جزء ٢ - ٤ - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٤ - القزويني - جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: التلخيص في علوم البلاغة - بيروت - لبنان ١٩٣٢ م .
- ٥ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الفلسفي - الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٦ - ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، عاش بين عامي ٦٣٠ - ٧١١ هـ: لسان العرب - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٧٦ هـ - ١٣٥٦ هـ . المجلدات: ٢ جزء ٤ - ٥ جزء ٩ جزء ١٢ - ٨ جزء ١٥ ، ٩ جزء ١٧ - ١٠ جزء ١٩ .
- ٧ - ١. ي . ونسك وآخرون: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - مكتبة بريل في مدينة ليدن - هولندا - ١٩٣٦ م .
- ٨ - الريحاني: ألبرت وآخرون: الموسوعة العربية - الطبعة الأولى - ١٩٥٥ م . دار الريحاني للطباعة والنشر - بيروت .

ملحق تعريف بالمواقع الواردة بالبحث

الرقم	الصفحة	الموقع	التعريف بالموقع
١	١٢٢	المريسي	قديمًا كان ما غلبني الصادق من قبيلة غزاة وهو حالياً من أراضي إمارة الظبية في منطقة وادي قديد على بعد ١٢٥ كم. فمال مكة وعلى بعد ٣١ كم من الطريق العام ويطلق عليه حالياً وادي الفرع على خط الهجرة الجديد.
٢	١٧٢	صمد	تبعد عن عسفان حوالي ١٢ كم. وعسفان تبعد عن مكة شمالاً حوالي ٨٠ كم.
٣	١٧٣	جرش	مدينة قديمة أعلى وادي. حقق العلامة (حمد الجاسر) موقعها في كتابه: (في سراة غامد وزهران) وحدده بأنه: جنوب شرق مدينة أبها بما يقارب ٤٠ كم. ويقربها جبل يدعى حمومة أو حمة وهو جبل شكر الذي ورد في كتب السير. وهي وجبلها في وسط بلاد رفيدة.
٤	١٧٧	قديد	قديد تقع في واد يبعد ١٢٥ كم شمال

الرقم	الصفحة	الموقع	التعريف بالموقع
٥	١٩٧	قطن	مكة وكان سكانه في صدر الإسلام من قبيلة خزاعة، وللوادي إمارة تعرف بإمارة الطيبة.
٦	١٩٩	ذو العشيرة	مكان على وادي الرمة على طريق المدينة إلى نجد.
٧	١٩٩	الحوراء	كانت قديماً لبني مدلج بناحية ينبع وتبعد عن المدينة (تسعة برد) كما قال ابن سعد في الطبقات. أي حوالي ٢٠٠ كم وهي أحد شعاب ينبع النخل.
٨	٢٠٥	نخلة	مكان معروف على ضفة وادي أضم من الجنوب إذا اقترب من البحر ومكانها حالياً قرية (أم القصير) على بعد ١١٥ كم شمال أم لج.
٩	٢٠٦	الغابة	تسمى حالياً (السيل الكبير) وكانت تعرف قديماً (ببستان ابن عامر). قرب مكة على طريق الطائف.
١٠	٢٠٨	بطن أضم	تسمى حالياً العيون وتبعد (كيلومترين) عن ثنية الوداع شمال المدينة المنورة.
١١	٢١٨	الكديد	أضم واد عظيم يعرف حالياً بسواد الحمض يأخذ مياهه من مهد الذهب، ويسمى عند المدينة وادي قناة، وبعد المدينة عند السد يسمى الشظاة، وإلى أسفل عند البحر يسمى أضم وطوله حوالي ٤٠٠ كم.
			هو طرف وادي الحمض حالياً على بعد ١٤ كم من عسفان أو ٩٤ كم من مكة.

الرقم	الصفحة	الموقع	التعريف بالموقع
١٢	٢١٩	سيف البحر	ساحل البحر.
١٣		الخرار	واد غرب خط الهجرة الجديد.
١٤	٢٠٠	حمراء الأسد	جنوب المدينة بحوالي ٢٠ كم على يسار المسافرين إلى مكة
١٥	٢٢١	عسفان	تقع على مجرى وادي فيدة على بعد ٨٠ كم إلى الشمال من مكة.
١٦		الغميم	يسمى حالياً برقاء الغميم على بعد ١٦ كم شرقي عسفان.
١٧	٢٢١	مر الظهران	هو وادي فاطمة حالياً يقع شمال مكة بحوالي ٢٥ كم.
١٨	٢٢٩	ذو المروة	مكان يقع شمال المدينة.
١٩	٢٣١	الحديبية	تعرف اليوم باسم الشميسي بالتصغير، وهي غرب مكة خارجة عن الحرم بينها وبين المسجد الحرام قرابة ٢٢ كم وترى بالمعاينة أنها وعرفة والمسجد على خط واحد.
٢٠	٢٣١	غدير الأشطاط	مكان وراء عسفان.
٢١	٢٣٣	أوطاس	اسم يطلق على الصحراء الواقعة شمال شرق عشيرة. يسكنها حالياً (الروقة) من قبيلة عتيبة.
٢٢	٢٣٦	بئر معونة	يقع في بلاد بني سليم في سلسلة جبال أبلى شرق المدينة، ولا يذكر الآن باسمه، ويقع على مشارف نجد.
٢٣	٢٣٩	ذي أمر	ناحية النخيل من ديار غطفان في نجد قديماً، والأمر: الحجارة تجعل كالأعلام.
٢٤	١٩٦	فدك	تقع جنوب شرقي خيبر، وكانت قديماً من بلاد بني مرة من غطفان تعرف الآن باسم الحائط.

الرقم	الصفحة	الموقع	التعريف بالموقع
٢٥	٢٣٩	الهمج	ماء بين خيبر وفدك .
٢٦	٢٥٥	مكان خيمتي أم معبد	يبعد عن الطريق المعبدة بين مكة والمدينة عند قديد حوالي ٨ كم إلى الشرق .
٢٧	٢٣٦	الرجيع	يسمى حالياً (الوطية) عند قرية تبعد حوالي ١٠ كم عن مفترق الطريق بين مكة والمدينة عند الكيلو الرابع والستون من مكة في حرة الجابرية وكان قديماً ماء لهذيل في سهل الهدة .

المراجع

- ١ - الجاسر: حمد: في سراة غامد وزهران دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٢ - الجاسر: حمد: في شمال غرب الجزيرة (نصوص مشاهدات انطباعات) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٣ - ابن سعد: محمد: الطبقات الكبرى - المجلد الثاني، دار صادر بيروت - لبنان.
- ٤ - البلادي: عاتق بن غيث: على طريق الهجرة، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٥ - البلادي: عاتق ابن غيث: معجم معالم الحجاز - الأجزاء ١، ٣ الطبعة الأولى - دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٦ - معلومات حصلت عليها (هاتفياً) من الشيخ غالي ولد آفا: المدرس بمعهد إعداد المعلمين بالمدينة المنورة - سنة ١٤٠٢ هـ.

الفهرس

٩	المقدمة
١٩	مناهج البحث
٢١	ما يقدمه البحث
٢١	التعريف بالبحث
٢٣	الباب الأول: الوحي قاعدة الخبر في الإسلام
٢٥	الفصل الأول: الوحي مصدر العلم في الإسلام
٢٧	أولاً: الوحي
٣٢	ثانياً: علوم الوحي ، وعلاقتها بمنهج الإسلام في الخبر
٤٧	ثالثاً: محاولات التشكيك في الوحي والرد عليها
٦٣	الفصل الثاني: أخبار الوحي
	أ - طبيعة الخبر (النبأ) في اللغة والقرآن الكريم وعلوم المصطلح
٦٥	وعلوم البلاغة
٧٢	ب - طبيعة الخبر (النبأ) في الدراسات الإعلامية
٨٥	ج - الوحي مصدر الخبر في الإسلام
٩٧	د - بعض خصائص خبر الوحي

١١٩	الفصل الثالث : دراسة في الحدث
	(أحداث حسمها خبره البوحي)
١٢١	١ - حديث الإفك وفضح المنافقين
١٥٤	٢ - التوبة على الذين خلفوا
١٦٣	الباب الثاني : المصادر النبوية للأخبار
١٦٥	الفصل الأول : المصادر غير العسكرية
١٦٧	أ - الوفود
١٧٩	ب - الرسائل
١٩٢	ج - الأفراد
١٩٦	د - الرعاة
١٩٨	هـ - التجار
٢٠١	الفصل الثاني : المصادر العسكرية
٢٠٣	أ - السرايا
٢١٤	ب - الطلائع
٢٢٦	ج - العيون (الجواسيس)
٢٣٥	د - الأسرى
٢٤١	الفصل الثالث :
	القسم الأول : تطبيقات من السيرة النبوية على استخدام رجع الصدى
٢٤٣	الإعلامي في الحصول على الأخبار الجديدة
٢٥٢	القسم الثاني : مصادر الكفار في الحصول على الأخبار
٢٦١	الباب الثالث : الأخبار ومصادرها في العهد المدني والعصر الحديث

٢٦٣	الفصل الأول: تطور مصادر الأخبار في العهد المكي والعهد النبوي
٢٦٥	١ - تمهيد
٢٦٨	٢ - تطور مصادر الأخبار منذ بداية الدعوة في مكة وحتى نهاية العهد النبوي في المدينة المنورة
٢٨٠	٣ - العوامل التي ساعدت على تطور مصادر الأخبار في العهد المدني
٢٨٧	الفصل الثاني: أنواع الأخبار وحاملوها في العهد المدني
٢٨٩	١ - تصنيف الأخبار
٢٩٤	٢ - أنواع الأخبار في العهد المدني
٣٠٤	٣ - حاملو الأخبار في العهد المدني
٣١٠	٤ - مميزات الأخبار في العهد المدني
٣١٣	الفصل الثالث: المصادر الحديثة للأخبار في ضوء الإسلام
	(التركيز على: عمل المندوب الصحفي ووكالات الأنباء)
٣١٥	القسم الأول:
٣١٩	١ - طبيعة المصدر في الإعلام الحديث
٣٢٠	٢ - مصادر الأخبار الحديثة (من حيث هي)
٣٢٣	٣ - دراسة تفصيلية لمصدرين من مصادر الأخبار الحديثة
٣٢٣	الأول: مصدر ذاتي: (المندوب الصحفي)
٣٢٧	الثاني: مصدر خارجي: (وكالات الأنباء)
٣٤٧	القسم الثاني:
٣٤٩	وكالات الأنباء في الميزان
٣٥٥	أ - آراء غربية

٣٥٨	ب - آراء محايدة
٣٦٣	ج - رأي الإسلام في عمل وكالات الأنباء
٣٦٣	محاكمة وكالات الأنباء إلى المعيار الإسلامي
٣٦٣	عناصر المعيار الإسلامي في تلقي ونقل ونشر الأخبار
٣٦٣	أ - هدي كامل في الكتاب والسنة
٣٦٣	ب - هدي الإسلام في المفاضلة التامة بين أمة التوحيد وأمة الكفر
	ج - قياس الضلال الموجود في أجهزة الكفار في مجال الأخبار على
٣٦٣	ضلال أسلافهم
	د - تكفير اليهود والنصارى والنهي عن التشبه بهم ومن باب أولي في
٣٧٥	مجال الأخبار والخدمات الإعلامية
٣٨١	البديل الإسلامي في مصادر الأخبار الحديثة
٣٨٩	مراجع البحث
٣٩٥	ملحق تعريف بالمواقع الواردة بالبحث
٤٠١	الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com



دار صبري للنشر والتوزيع

رأس الخيمة، شارع الملك عبدالعزيز، الرياض ١١٥٥٣



تلفون: ٤٠٢٢١٤٢ فاكس: ٤٠٣١٧٨١ ص. ب. ٥١٦٦٧ الرياض

١١٥٥٣ - المملكة العربية السعودية